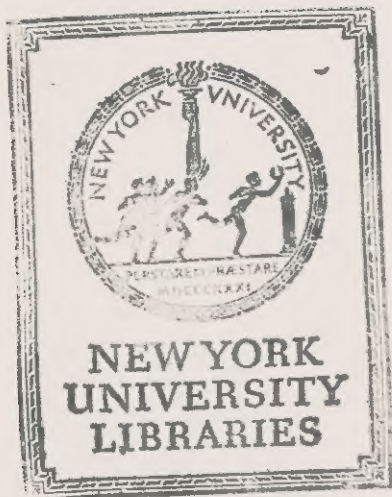


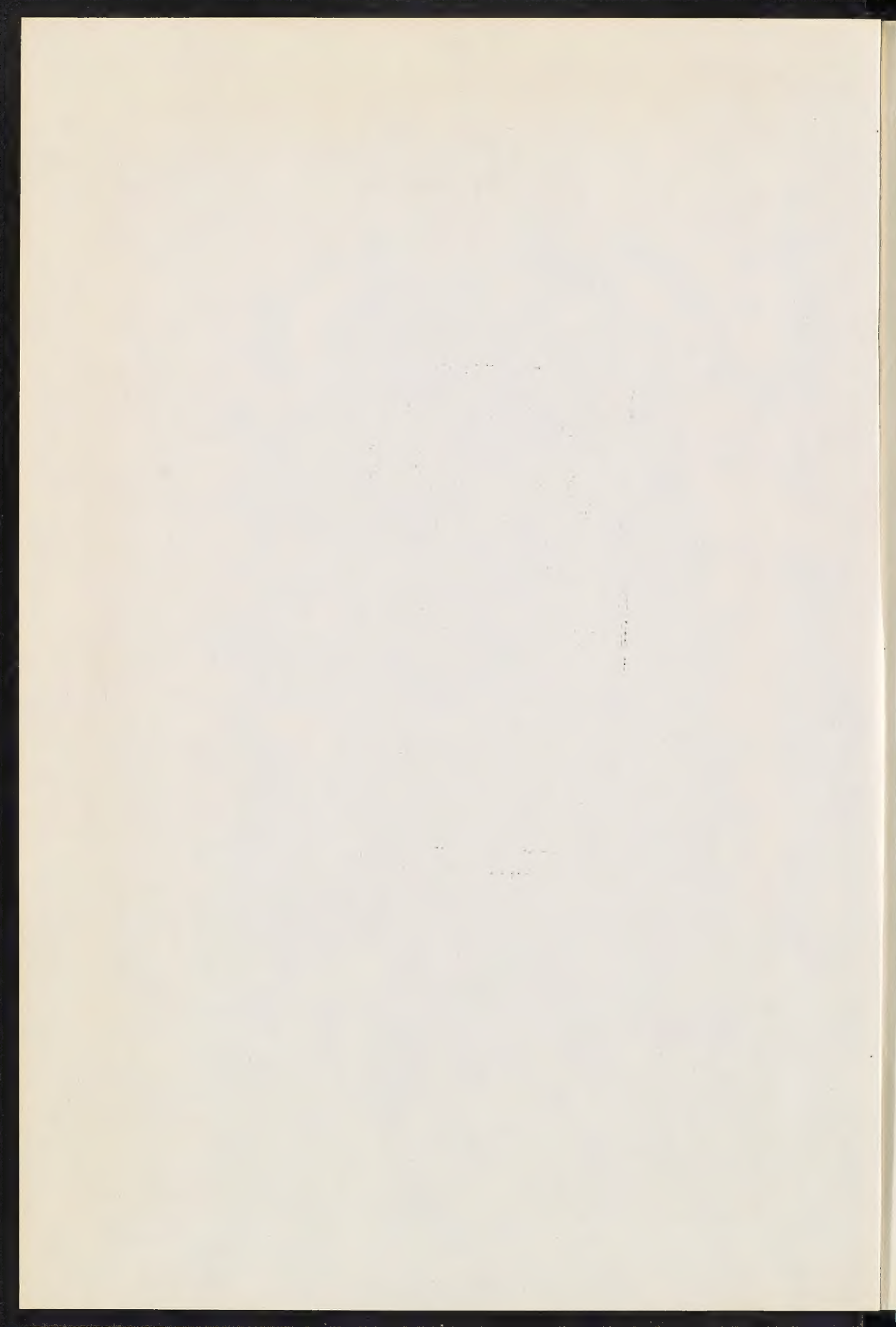
BOBST LIBRARY



3 1142 02885 6758



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY





al-Tāhir, 'Alī Jawād

علي جواد الطاهر

/al-Shi'r al-'arabi/

الشعر العربي

في العراق وبلاد العجم

في *front*

العصر السلجوقي

(من أواسط المئة الخامسة إلى أواسط المئة السادسة)

٧.١

N.Y.U. LIBRARIES

الجزء الاول

[ساعدت وزارة المعارف على نشره]

مطبعة المعارف - بغداد - ١٩٥٨

B

Near East

PJ

7557

T₃

V-1

e-1

NYPL LIBRARIES

المقدمة

يشتمل « العراق » على البصرة (حتى الحسا) والبطائح وواسط والسكوفة والحلة والنيل وبغداد وتكريت وهيت والأنبار^(١). وتشتمل « بلاد المعجم » على فارس وكرمان والجيل^(٢) وخراسان (حتى ما وراء النهر) . وقد كان بين هذين القطرين المختلفين ، من العلاقات ما هياً لهما - ولا سيما في المدة التي ندرسها - تأريخاً يكاد يكون واحداً ، وأدباً عربياً^(٣) متشابهاً مترابطاً ، وقد طاش أكثر الشعراء على ثرى القطرين .

وتكون مئة العام المبتدئة بدخول طغرل بك بغداد (٤٤٧هـ / ١٠٥٥م) والمنتهية بموت السلطان مسعود (٥٤٧هـ / ١١٥٢م) وحدة سياسية يشد أسرها البيت السلجوقي . وإذا نشدنا وحدة أدبية تسير هذه الوحدة السياسية وجدناها فيما كان للشعر من صلات بإساسة العصر وأحداثه ، وهي وحدة ضيقة ، أوسع منها وأدخل في طبيعة الأشياء ، تلك التي لا تتقيد بالسياسة والسياسيين ، وتبدأ بموت الشريف الرضي (٤٠٦هـ) أو بموت مهيار (٤٢٨هـ) وتستمر حتى موت سبط ابن التعاويذي (٥٨٢هـ) بل حتى سقوط بغداد ، وهي في مجموعها تسجل بداية الانحطاط في الشعر العربي وتؤلف مقدمة لفترته المظلمة . نخدم دراسة شعر هذا العصر التاريخ العام بما ترد إليه من أخبار نسبيها أو تناساها ، وبما تعيده إليه من صفحات عبثت بها يد الأيام ، ونخدم تأريخ الأدب ، لأنها حلقة ظلت - بحق وبغير حق - مجهولة أو شبه مجهولة . ولا يعدم الدارس المتذوق أن يجد - هنا وهناك - من الأبيات والمقطّعات والقصائد ما يستحث انتباهه أو يستدعي إعجابه .

- (١) هكذا ترد في تقسيمات العماد الاصبهاني للخريدة . وينظر ابن الأثير ١٠ : ٤٢ سن ٥١٥ .
- (٢) وقد ترد الجبل (وفيها اصفهان) في كتب التاريخ على انها العراق . وتميز جيند عن العراق العربي بالقرينة والسياق (ينظر البنداري) وابن الأثير ١٠ : ١٩٢ سن ٤٩٢ .
- (٣) ولا تسكلم هنا على الأدب الفارسي .

وللتأليف في مثل هذا الموضوع يمكن أن يقتصر الكتاب على كبار الشعراء فقط ، ويمكن أن يعنى بالشعر وحده ... أو أن يجمع بين هذا وذاك . وهو ما سلكه مؤلف هذا الكتاب ، بعد أن أضاف إلى القسمين قسماً درس فيه « الشعر والشعراء في الحياة » وبعد أن حسب حساب الشعراء « الثانويين » والمقلين ... والنظاميين ، وبعد أن أكثر من الشواهد الجيدة وغير الجيدة ، مما ناسب الذوق ومما لم يناسبه ، لكي تكون الفكرة أكمل والصورة أوضح . وإذا كان « المدخل » للتعريف بالعصر من بعض شرائط البحث الحديث ، فإنه في دراسة العصر السلجوقي ضرورة لا غنى عنها وعن الافاضة فيها . وكان المؤلف - في كل ذلك - مؤرخاً ، همه الأول أن يستشير أكبر عدد ممكن من المصادر ، ليعد كتاباً يسجل ظواهر العصر ويجمع بين الاستيعاب وسهولة المراجعة . وكان بعد ذلك ناقداً من غير إسراف ، يقدم بين الحين والحين رأياً قائماً على المقابلات والموازانات ، ملتزماً أن تكون عبارة هذا الرأي بحيث يحس القارئ أنها تمثل صاحبها ، وأنه غير ملزم بقبول أو رفض . وهذا منهج يضعف من شخصية المؤلف ويجور على أسلوب العرض ، ولئن كان هو المنهج المفضل في البحوث العلمية إن مبرراته لتزداد في دراسة يمكن أن تعد الأولى - زمنياً - في بابها ، ويراد منها أن تكون مرجعاً محبوباً جامعاً يقرن ما تتأثر من الأخبار إلى مجانساتها ، ليختصر للمراجع الطريق ويوفر عليه الوقت ، ويهيئ ، لمن يريد ، بداية يستطيع أن ينطلق منها بأسلوب يكون فيه أقرب إلى المنشئين منه إلى المؤرخين . وبعد ، فالكتاب في أصله الفرنسي ، إحدى اطروحتين أجازتهما السوربون . ومؤلفه إذ ينقله إلى العربية ، لا يتقيد بالحرفية ، وأنه أعاد إلى القسم الثاني ، الباب الثاني (الشعر والمجتمع) الذي كان موزعاً هنا وهناك في أثناء الرسالة ، كما أنه راجع جذائحه فاختار منها للنص العربي ما لم تحمله طبيعة النص الفرنسي وقيود إعدادة . ثم إنه أضاف إلى ذلك ، القليل الذي جدد لديه بعد تاريخ المناقشة والحصول على اللقب العلمي (في شباط من عام ١٩٥٤) .

المصادر والمراجع

- الأبشيهي - المستطرف في كل فن مستظرف ، القاهرة ، ١٣٢٧
- ابن أبي أصيبعة - طبقات الأطباء . القاهرة ، ١٨٨٠
- ابن الأنباري - نزهة الألباء في طبقات الأدباء . القاهرة (حجرية) ١٢٩٤
- ابن الأثير - الكامل في التاريخ (من غير نص) . ليدن ، ١٩٠٨ - ١٩٣٤
- » » » القاهرة (مطبعة الاستقامة)
- تاريخ الدولة الأتابكية - ملوك الموصل ، باريس ، ١٨٧٩
- ابن تغري بردي - النجوم الزاهرة ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٥ -
- ابن التعاويذي - ينظر سبط ابن التعاويذي
- ابن جماعة - التعليقة مخ . المكتبة الوطنية بباريس رقم ٣٣٦٤ من فهرس دسلان .
- ابن الجوزي - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . حيدرآباد ، ١٣٥٩ (من غير نص)
- تلبيس إبليس . القاهرة (مط . السعادة) ١٣٤٠
- دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة . دمشق (مط . الطارقي) ١٩٢٦
- ابن حجلة - ديوان الصبابة . القاهرة ١٣٢٨ (على هامش تزيين الاسواق)
- بروق الغيث . مخ . ليدن رقم ١٠٣٦
- ابن حنبل - كتاب تفضيل الأتراك على سائر الأجناد ومناقب الحضرة العالمة السلطانية . تصنيف الوزير أبي العلاء ابن حنبل ، نشره في استنبول المحامي عباس المزوي عام ١٩٤٠ ، والمخطوطة في مكتبة المتحف العراقي .
- ابن خلدون - المقدمة . القاهرة ، ١٩٣٠
- التاريخ (بولاق) ، ١٢٨٤ - ١٨٦٧

- ابن خلكان - وفيات الأعيان (من غير نص) مط . الوطن . القاهرة ، ١٨٩٩
 » مخ . المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٠٨٥ ، ٢٠٥٢ ، ٢٠٥٠
 » مخ . مكتبة المعارف بطهران
 » ج ١ طبع كوتنسك ١٨٣٩
 » طبعة ١٣٤٨ — ١٣٦٧
 » ينظر البارزي
 » طبعة دار المأمون ، ١٩٣٦
- ابن الحياط - الديوان . النجف (العلوية) ، ١٣٤٣ (وستصدر طبعة جديدة عن دمشق) .
- ابن دحية - النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس بغداد (مط . المعارف)
 ١٩٤٦
- ابن الديني - المذيل على تاريخ بغداد للسمعاني . مخ . باريس رقم ٢١٣٣
 من فهرس دسلان و ٥٩٢١ — ٥٩٢٢ من فهرس بلوشه
- ابن رجب - كتاب الذيل على طبقات الحنابلة . دمشق ١٩٥١
- ابن الزيات - ديوان ابن الزيات ، القاهرة (مخ . جميل سعيد) ١٩٤٩
- ابن الساعي - الجامع المختصر في عنوان التواريخ وغيوت السير (مخ . مصطفى جواد) بغداد ١٩٥٣
- ابن شاكر - فوات الوفيات (من غير نص) . القاهرة (بولاق) ،
 ١٢٨٢ — ١٢٨٣
- عيون التواريخ ج ١٢ . مخ . كبرج رقم ٢٩٢٢
- ابن الشجري - الأمل . حيدر آباد ، ١٣٤٩
- كتاب الحماسة . حيدر آباد ، ١٣٤٥
- ابن الصابوني - تكملة إكمال الاكمال ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ،
 مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٧

- ابن قاضي شهبه - طبقات الشافعية . مخ . باريس رقم ٢١٠٢
- ابن كثير - البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة . مط . السعادة ، ١٩٣٢
- ابن مبارك - نشر العلم في شرح لامية المعجم . القاهرة (؟) ، ١٣٢٠
- ابن الهبّارية - الصادح والباغم (من غير نص) . القاهرة (؟) ، ١٩٣٦
- وتنظر ط . بيروت (الأديسة) ١٨٨٨ و ط . القاهرة
- (وادي النيل) ١٢٩٢ و ط ٢ . بغداد (دارالسلام) ١٣٤٣
- تتألمح الفطنة في نظم كلية ودمنة . لبنان ، ١٩٠٠
- نظم حي بن يقطان ، ضميمه مجلة دانش ، السنة الثالثة ،
- طهران ١٣٣٣ (تحقيق محمد تقي دانش بڑوه)
- أبوالبقاء (هبة الله) - المناقب الزيدية . مخ . المتحف البريطاني
- أبو شجاع - ذيل كتاب تجارب الأمم لمسكويه . ط . امدروز ،
- القاهرة ، ١٣٣٤ / ١٩١٦
- أبو الفداء - تاريخ أبي الفداء ، استانبول ، ١٢٨٦ / ١٨٧٠
- الأيوردي - (من غير نص) . ديوان الأيوردي . بيروت ، ١٣١٧
- مخ . باريس رقم ٣١١٧ من فهرس دسلان
- مخ . دار الكتب المصرية . القاهرة ، رقم ٥٢٣ ، ٥١٠١
- العراقيات . مخ . المتحف البريطاني ، رقم ٧٥٥٧
- النجديات مخ . المتحف البريطاني ، رقم ١٢٠١
- النجديات . مخ . مجلس سراي ملي . طهران ، رقم ٣٤٥
- العراقيات (والمقطعات) مكتبة الاوقاف . بغداد رقم ٥٧٣٥
- الأخسيكتي - الأحسن للباخرزي . ينظر الباخرزي
- الأرجاني - (من غير نص) : ديوان الأرجاني . بيروت ، ١٣٠٧ (؟)
- ديوان . مخ . دار الكتب المصرية . القاهرة رقم ٥٤٠ ،

- ديوان . مخ . المتحف البريطاني . رقم ٣١٦٧
- ديوان . مخ . مكتبة ملك . طهران .
أنوشروان - ينظر العماد (النصر) والبنداري (الزبدة) .
الأنطاكي - تزيين الأسواق . القاهرة ، ١٣٢٨
الباخرزي - دمية القصر (من غير نص) . حلب (المط . العامية)
١٣٤٩ / ١٩٣٠ . مخ . ايران (سراي ملي) رقم ٣١٤
مخ . مكتبة المتحف العراقي رقم ١٥٢٤
- ديوان الباخرزي . مخ . مكتبة المتحف العراقي رقم ١٣٠٤ . بغداد
- الأحسن . مختارات عملها الأخسيكتي . مخ . المتحف
البريطاني . ١٣٥٩
- الملتقط من ديوان الباخرزي . طبع ملحقاً بالدمية حلب
١٣٤٩ / ١٩٣٠
البارزي - (مختصر الوفيات) . مخ . المكتبة الوطنية . باريس . رقم ٢٠٦
البارودي - مختارات البارودي . القاهرة (مط . الجريدة) ، ١٣٢٧
البستاني (المعلم) - دائرة المعارف . بيروت . ١٨٧٦ / ١٩٠٠
برهان الدين - شذرات الذهب (أشعار في الكيمياء) . مخ . المتحف
البريطاني ، رقم ٢٣
البنداري - زبدة النصر (من غير نص) . ليدن (تح . هوتسا) ، ١٨٨٩
- » » ط القاهرة ١٩٠٠ باسم (كتاب تاريخ دولة
آل سلجوق) ينظر العماد (النصر)
البهقي (علي بن زيد) - تاريخ حكماء الاسلام . دمشق ، ١٣٦٥ / ١٩٤٦
بهقي (محمد) - تاريخ بهقي . طهران ، ١٣٢٤ ، وترجمه الى العربية الخشاب
ونشأت ، القاهرة ، ١٩٥٧

- الجواليقي - المغرب من الكلام المعجمي . القاهرة (دار الكتب المصرية) ، ١٣٦١
- حاج خليفة - كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون . استانبول ، ١٣٦٠ / ١٩٤١
- حتي - تاريخ العرب (مطول) بقلم فليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور . بيروت (دار الكشاف) ١٩٤٩
- الحريري - مقامات الحريري . (بولاق) ، ١٢٨٨
- ملح الاعراب . باريس (حققه وترجمه الى الفرنسية ليون بنتو) ١٨٨٤
- الحسامي - المختصر من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار . مخ . دار الكتب المصرية . القاهرة رقم ٥٩٤٠ (ومنه صورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي)
- الحسيني (؟) - زبدة التواريخ (في أخبار الدولة السلجوقية) . لاهور (تح . إقبال) ، ١٩٣٣
- الحسيني (احمد موسى) - هل الأدباء بشر . بيروت (دار العلم للملايين ١٩٥٠)
- الحضري - نشر العلم في شرح لامية المعجم . القاهرة ١٣٠٩
- حمد الله المستوفي - تاريخ كوزيده . باريس ، ١٩٠٣ (مع الترجمة الفرنسية)
- حميدة (عبدالرزاق) - قصص الحيوان في الأدب العربي ، القاهرة ١٩٥١
- حتي (ممدوح) - الأبيوري . دمشق (دار اليعقبة العربية) (١٩٥٥ / ؟)
- الحنبلي (العماد) - شذرات الذهب في أخبار من ذهب . القاهرة ، ١٣٥٠
- حيص بيص - ديوان حيص بيص . مخ . مكتبة رامبور ، رقم ٣٤١٤ (ومنه مصور بمكتبة الجامعة العربية بالقاهرة ، رقم ٣٠٤٦)
- وعنه مصور بمكتبة المجمع العلمي العراقي (
- الخطيب (البغدادي) - تاريخ بغداد . القاهرة ، ١٣٤٩ / ١٩٣١
- الخو انساوي - روضات الجنات . فارس ، ١٣٠٤

- داعي الدعاة - ديوان داعي الدعاة . القاهرة (الكتاب المصري) ١٩٤٩
- داود جلبي - مخطوطات الموصل . بغداد ، ١٩٢٧
- الديبثي - ينظر ابن الديبثي .
- الدمامي - نزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية المعجم . مخطوطة . مخطوطة .
دار السكتب المصرية ، ٩٠٤١
- الدميري - شرح لامية المعجم . مخطوطة . كبرج ، رقم ١٠٦٢
- الذهبي - دول الاسلام ، حيدر آباد ، ١٣٣٣
- الذهبي (؟) - العبر في أخبار من عبر . مخطوطة . المكتبة الوطنية . باريس ،
رقم ١٥٨٤ ، ١٥٨٥
- الراغب (الاصفهاني) - محاضرات الادباء ومخاضرات الشعراء . القاهرة (؟)
- الراوندي - كتاب راحة الصدور وآيات السرور (في تاريخ السلاجقة)
ليدن (اقبال) ١٩٢١
- رضائي (علي) - عود الشباب (مختصر الخريدة ، ينظر العماد) مخطوطة . فينا رقم
٢٤٦ ونور عثمانية ٦٩ (وكلتاها مصورتان في المجموع
العلمي العربي بدمشق)
- الرضي - ديوان الرضي . ط . ١٣٠٦
- الزركلي - الأعلام . القاهرة . ١٣٤٧ / ١٩٢٨
- الزنجشري - ربيع الأبرار . مخطوطة . باريس ، المكتبة الوطنية ، رقم ٣٥٠٠
- زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية . القاهرة ، ط ١٢ ١٩٣٧
- الزيات - تاريخ الأدب العربي القاهرة . ط ٥ ، ١٣٤٩ / ١٩٣٠
- سبط ابن الجوزي - مرآة الزمان . مخطوطة . المكتبة الوطنية في باريس ، رقم ١٥٠٦
- » » ج ٨ (شيكاغو) ١٩٠٧
- » » ج ٨ (جزهان) حيدر آباد .
- سبط ابن التعاواني - ديوان . القاهرة ، ١٩٠٣

- السمعاني - الأنساب (نشر مار كوليوت) ليدن ، ١٩١٢
- ذيل تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ن. كبرج ، رقم ٢٩٢٤
- مزيل تاريخ بغداد . ن. ليدن رقم ٢٦ M
- سر كيس - معجم المطبوعات العربية (حتى عام ١٩١٩) . القاهرة ،
- ١٩٢٨ / ١٣٤٦
- السرياني - نزهة الالباب في حقائق الآداب ، الموصل ١٨٦٣
- السبكي - طبقات الشافعية الكبرى . القاهرة (مط . الحسينية) ١٣٢٤
- السيوطي - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . القاهرة ، ١٣٢٦
- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين . القاهرة (المط . الميمنية) ١٩٠٥
- الكنز المدفون . القاهرة ١٢٨٨ .
- شفق - تاريخ الأدب الفارسي . ترجمة موسى هنداوي . القاهرة .
- (الفكر العربي) ١٩٤٧
- الشهرستاني - الملل والنحل . لندن ، ١٨٤٢ — ١٨٤٦
- سرّ در - ديوان سرّ در . القاهرة (مط . دار الكتب المصرية)
- ١٩٣٤ / ١٣٥٣
- ديوان سرّ در . ن. ليدن رقم ١٠٥٧
- الصفدي - الوافي بالوفيات ج ٥ ن. المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٠٦٥
- الوافي ج ٨ ن. » » رقم ٢٠٦٤
- الوافي ج ٩ ن. المتحف البريطاني . لندن رقم ٢٣٣٥٧
- الوافي . استانبول ، ١٩٣١ — ١٩٥٣ ثلاثة أجزاء
- كتاب الغيث المسجّم (?) في شرح لامية العجم .
- القاهرة ، ١٣٠٥
- نكت الهميان في نكت العميان . القاهرة ، ١٣٢٩ / ١٩١١
- الصنهاجي - إيضاح المبهّم من شرح لامية العجم ن. المتحف البريطاني ، ٧٧٧

- الصنهاجي - إيضاح المبهم من شرح لامية المعجم مخ . دار الكتب .
القاهرة ، ١٠١٩
- الطفرائي - ديوان الطفرائي (من غير نص) . القسطنطينية
(الجواب) ، ١٣٠٠
- ديوان الطفرائي مخ . دار الكتب المصرية . القاهرة
رقم ٧٩١٧
- ديوان الطفرائي مخ . دار الكتب المصرية . القاهرة
رقم ١٥٢٨
- ديوان الطفرائي مخ . مكتبة الاسكوريال ، رقم ٣٠٤
- ديوان الطفرائي مخ . المتحف البريطاني . لندن ،
رقم ٧٥٥٨
- ديوان الطفرائي (صفحات) المتحف البريطاني . لندن ،
رقم ٧٥٣٠
- ديوان الطفرائي مخ . مكتبة الجامعة الاميركية . بيروت .
- مقطعات في الصنعة مخ . مكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٦١٨٩
- مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة مخ . المكتبة الوطنية .
باريس ، ٢٦١٤
- مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة مخ . مكتبة سراي ملي
- الطنطرائي - القصيدة الطنطرائية مخ . المتحف البريطاني ، رقم ٧٤٩
- الطوسي - الفهرست . النجف (الحيدرية) ١٣٥٦ / ١٩٣٧
- العباسي - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص . القاهرة ، ١٣٥٢
- العاملي (البهائي) - المخلاة . القاهرة (الميمنة) ١٣١٧ / ١٩٠٠
- العاملي (محسن الأمين) - أعيان الشيعة . دمشق (مط . ابن زيدون)
- عاطف - أدبيات اللغة العربية . القاهرة

- العسقلاني - لسان الميزان (تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر ، المتوفى ٨٥٢) ، الهند (مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن) ١٣٣١ هـ
- الحمد (الاصفهاني) - نصرة الفترة وعصرة القطرة (٢) مخ . المكتبة الوطنية . باريس . مخ . ٢١٤٦ (وينظر البنداري)
- خريدة القصر ج ١ (من غير نص) مخ . باريس . المكتبة الوطنية ٣٣٢٧
- خريدة القصر ج ١ مخ . باريس . المكتبة الوطنية ٣٣٢٦
- » » ج ١ مخ . لندن ، ٢١٢
- » » ج ١ مخ . طهران (سبسالار)
- » » ق ١ ج ١ (مط . المجمع العلمي العراقي) ١٩٥٥
- » » من بداية ج ٢ مخ . اكسفورد رقم ١٢٥٩
- » » ج ٢ . لندن مخ . رقم ٣٤٨
- » » قسم ١ شام مخ . باريس ٣٣٢٩
- » » ق ١ من ج ١ شام . دمشق (تحقيق الدكتور شكري فيصل)
- » » قسم الاندلس مخ . باريس ٣٣٣٢
- » » مصور في المجمع العلمي العربي بدمشق عن مخطوطة في الهند
- عوفي - لباب الألباب . لندن (تح . برون) ، ١٩٠٣-٦
- العيني - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . مخ . المكتبة الوطنية بباريس رقم ١٥٤٢
- الغزالي - احياء علوم الدين . القاهرة (بولاق) ١٢٨٩
- الغزي - ديوان الغزي . مخ . المكتبة الوطنية . باريس . رقم ٣١٢٦

- ديوان الغزي . نخ . دار الكتب المصرية . القاهرة ١٢٢
- وينظر ديوان الأبيوردي المطبوع بالاستماعة بكتاب
ممدوح حتي عن الأبيوردي)
- فهرس دار الكتب المصرية ، القاهرة
- فهرس معهد المخطوطات بالجامعة العربية . القاهرة
- القشيري - الرسالة القشيرية في علم التصوف . القاهرة (بولاق) ١٢٤٨
- القفطي - المحمدون من الشعراء في المكتبة الوطنية بباريس
- انباء الرواة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ثلاثة اجزاء .
دار الكتب . القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥٥
- تاريخ الحكماء . ليبسك ١٩٠٣ ، وتنظر طبعة القاهرة
- القيصري - شرح النجديات نخ . ليدن رقم ١٠١٩ (ينظر الأبيوردي)
كناله (عمر رضا) - معجم المؤلفين ، دمشق ، مطبعة الترقى ١٩٥٧ -
- الكفوي - شرح لامية المعجم . نخ . المتحف البريطاني ، رقم ٥٩٤،٢٣
- المافرؤخي - كتاب محاسن اصفهان ، طهران (مطبعة مجلس)
- المامقاني - تنقيح المقال في أحوال الرجال . النجف (المط .
المرتضوية) ١٣٥٠
- الماوردي - الأحكام السلطانية . القاهرة .
- محمد ابراهيم - تاريخ سلاجقة كرمان . ليدن ، ١٨٨٦
- محمود مصطفى - إجماع الأعلام . القاهرة (الرحمانية) ، ١٣٥٤ / ١٩٣٥
- الأدب العربي وتاريخه . القاهرة .
- الموسوي (العباس بن علي ابن نور الدين) - نزهة الجليس ومنية الأديب
الأنيس . جزءان (من مؤلفات القرن الثاني عشر)
- مهيّار - ديوان مهيّار . القاهرة (دار الكتب)
- ١٣٤٤ - ١٩٢٥ / ١٣٥٠ - ٣١

- الميناوي - تحفة الراي للامية الطغراني . القاهرة (بولاق) ، ١٣١١
- المقرزي - الدرر المضية . مخ . كرج .
- المعري - سقط الزند (شرح التنوير) . القاهرة (المعارف العامة) ، ١٩٤٢
- المتنبي - ديوان المتنبي (شرح البرقوق) . القاهرة ، ١٣٤٨ / ١٩٣٠
- مصطفى جواد - سيدات البلاط العباسي . بيروت (مطابع الكشاف) ١٩٥٠
- النايعة - ينظر ابن الصابوني
- النايعة - ديوان النايعة . باريس ، ١٨٦٩
- النظام (عمر) - شرح النجديات للابوردي . مخ . دار الكتب المصرية . القاهرة ، رقم ٥٢٧
- نظام الملك - سياسة نامه مترجمة للفرنسية بقلم شارل شفر . باريس ، ١٨٩٣
- نظامي عروضي - چهارمقاله . لندن ، ١٩١٠ ، ترجمة انكليزية بقلم برون لندن ١٨٠٠
- ترجمة عربية لعبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب (مع خلاصة حواشي محمد بن عبد الوهاب الفوزيني) القاهرة ١٩٤٩
- النقاش - كتاب كلية ودمنة على لسان الحيوانات والطيور . مخ . المتحف البريطاني ، ٣٦٢٦
- الهاشمي - جواهر الأدب . القاهرة ، ١٣٤٧ / ١٩٢٨
- الهمداني - تكملة تاريخ الطبري . مخ . المكتبة الوطنية بباريس ، رقم ١٤٦٩ (وطبع قسم منه في مجلة المشرق ، في اعداد متقطعة منذ سنتها التاسعة والأربعين ج ١ ج ٢)
- اليافعي - مرآة الجنان وعبرة اليقظان . حيد آباد ، ١٣٣٧
- ياقوت - (من غير نص) - إرشاد الأريب . القاهرة (طبعة مارغوليوت) ١٩٠٩ - ١٩٣١
- معجم الأدباء ط . دار المأمون . القاهرة
- معجم البلدان . ليزيك (تح . وستنفلد) ١٨٦٦ - ١٨٧٣
- اليزيدي - العراضة في الحكاية السلجوقية . لندن . ١٩٠٩

المجموعات

الآداب - بيروت ، السنة الأولى ، ١٩٣٥ العدد ٢ ، ٣ مختارات من ابن شبل
الاستاذ - بغداد ، ١٩٥٨ المجلد السادس مقالته للمؤلف عن حياة الطغرائي
الرسالة - القاهرة ، العدد ٢٠٩ كلمة لاسماعيل مظهر عن لامية المعجم
٨١٧ ومقالته لعبد الوهاب عزام عن الغزي

الزهاء - مصر م ٣ ص ٢٢٨ - ٢٤٢ مقالة لمحمد بهجت الأثري عن الغزي
الغري - النجف ، السنة السابعة مقالات الدكتور مصطفى جواد عن ادب
القرن الخامس - السادس

مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١ مج ٣ من ١٩٥٤ وفيه مقالة لنفيسي عن نظام
الملك ترجمها حسين محفوظ

ج ١ مج ٣ ١٩٥٦ مقالة للمؤلف عن « مصادر

دراسة الشعر العربي في العراق وبلاد المعجم »

الصباح - بغداد . نيسان ١٩٣٦ العدد الخامس . وفيه مقالة لطفه الراوي
عن لامية المعجم

المعلم الجديد - السنة ٦ (١٩٤٠) العدد ١ مقالة للدكتور مصطفى جواد عن
النظامية اول المدارس في العراق

سن ٨ (١٩٤٢) م ٥ المدرسة النظامية ببغداد

المشرق - بيروت ، السنة الخمسون ، الجزآن الرابع والخامس ، تموز - ت ١

١٩٥٦ وفيه مقالة لعارف تامر عن « مزيد الحلبي الأسدي » ، السنة

الرابعة ، الجزء (١٩) ١ تشرين الاول ١٩٠١ (نظم كلية ودمنة للأب

لويس شيخو اليسوعي)

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - الجزء الثالث والرابع من المجلد الحادي

والعشرين ، آذار ونيسان ١٩٤٦ وفيه (ديوان الغزي) - الجزء الثالث

والثلاثين ١ تموز ١٩٥٨ وفيه (ابن الخياط)

مراجع بلغات غربية

- Ah[wardt — Ms. de Berlin 1895, VI¹² vol. in. F^o
- Barthold — Turkestan down to the Mongol invasion.
Tran. from the original and revised by the
author with the assistance of H. A. R. Giub,
2^e ed. oxford, 1958; 1 vol. in-8^o
Histoire des Turcs d'Asie Central. adaptation
francaise Par Mme Donskis. Paris, 1948; 1 vol.
in 8^o "Initiation, à l' Islam."
- Blachère — Vue d'ensemble sur la poétique des Arabes.
Paris 1938 ; (Extrait de la revue des Etudes
sémitiques, 1933).
- Bloch — Catalogue des Manuscrits arabes desNouvelles
Acquisitions. Paris, 1925; 1 vol. in 8^o
- Brockelmann — Geschichte der Arabischen Litteratur, 2^e ed.
Leyde, 1943; 2 vol. in-8^o
— — — Supplementband. Layde, 1937-, 3 vol.
Histoire des peuples et des Etats Islamiques
depuis l'origine Jusqu' à nos jours. Traduction
francaise de M. Tazerout. Paris, Payot, 1949;
1 vol. in-8^o
وقد ترجم الى العربية بيروت .
- Browne (Ed.) — A Litterary History of Persia. Combridge,
1929-; 4 vol in-8^o.
وقد ترجم الدكتور ابراهيم الشواربي جزء منه .
- Chapellow. — The Traveler (Togrei). Campridge,
MDCCCLVIII.
- Chauvin — Bibliographie des ouvrages. Liège. 1892 - 1922;
12 vol. in 8^o
- Clouston (w.A.) — Arabian poetry. Glasgow, 1881(?); 1vol.
in - 12^o

De Slane — Catalogue des Manuscrits arabes. Paris, 1883-1895; 1 vol. in-4°.

Diehl (Ch.) — Le Monde oriental de 395 à 1081 Paris, 1936; 1 vol. petit in-4°

—— Encyclopédie de l' Islam. Leyde, 1913 suiv.; 4 vol. in-4°

—— La Grande Encyclopédie, par une société de savants et gens de lettres. Paris, le 29ème

Grousst (R.) L' Empire des steppes. Paris, (Payot), 1948. 1 vol. in-8°

Hartmann — Litteratur Araber. wien, 1850 - 56; 7 vol in - 4°

Herbelot — Bibliothèque orientale Dictionnaire universel. Paris, 1781 - 83. 6 vol in. 12°

Hitti — History of the arabs, 4^e ed. London, 1949. 1 vol. in - 8°

وقد ترجم الى العربية بيروت ١٩٤٩ .

Huart — Littérature arabe. Paris (Colin), 1902; 1 vol. petit in-8°

Lanc - Poole — The Mohammanadan Dynasties. Paris, 1925; 1 vol. in - 12°

Le Strange — The Lande of the Eastern caliphate. cambridge, 1905; 1 vol. in . 12°

وقد ترجم الى العربية ببغداد بشير فرنسيس وكوركيس عواد .

مطبعة الرابطة ١٩٥٤ (مطبوعات الجمع العلمي العراقي) .

Baghdad during the Abbasid Caliphate. oxford.

1 vol. in - 12° وقد ترجم الى العربية بشير فرنسيس ، بغداد

Lewis (B.) The origine of Ismà lisme. Cambridge. 1940; 1 vol. petit in. 8²

وقد ترجم الى العربية خليل أحمد جلو بعنوان «أصول الاسماعيلية» ، القاهرة ١٩٤٠

Msrçais (G.) V. Diehl

Minorsky — Hudud al - 'Alam (the region of the world). a persian geography, trad . en anglais par Minorsky. oxford 1937. 1 vol. in. 8°

- Nicholson— Litterary history of the Arabs. London, 1923;
1 vol. in-8°
- Raux (A.) — La Lamiyyat al - 'Adjam d'et. Togrü (traduc-
tion française). Paris, 1903;
- Rikabi — La Poésie profane sous les Ayyoubides Paris,
1949; 1 vol. in - 8°
- Sarton(G.)—Introduction to the History of science.
Washington, 1927; 3t. en 2 vol. in-4° .
- Schefert — Supplément à Siassat Nameh. Paris, 1 vol.
in - 8°
- Storey (— Persian Litrerature. (bio - bibliography)
London, 1927 - 39. in - 12°
- al - Tahir — Ibn al.Hajjaj (Introduction à la Durrat at Taj)
Thèse Complémentaire - Sorbonne
- Zambaur — Mannel de généalogie et de Chronobgie pour
l' histoie de l' Islam, Hanovre, 1927; 1 vol
in - 4°

وترجمه الى العربية الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود ، القاهرة ١٩٥١-١٩٢٥ .

هذا وبقيت مراجع عربية وغير عربية أقل أهمية ولا تكاد تذكر أكثر من مرة
واحدة - سيشار إليها في أماكنها .

دراسة المصادر

١ - دواوين الشعراء : مصدر أساسي في دراسة العصر وفي دراسة حياة شعرائه . وقد طبع منها ديوان صردر والايوردي والطفراني والأرجاني كما طبعت ملتقطات من شعر الباخري ملحقة بدميته ، وطبع - غلطاً - كثير من شعر الغزي مبعثراً في ديوان الأيوردي ، بينما بقي الديوان الكامل مخطوطاً في مكتبات القاهرة وباريس وغيرها . وتضم مكتبة المتحف العراقي نسخة من مخطوطة ديوان الباخري ، بينما يضم المتحف البريطاني مجموعة من شعر الباخري باسم « الأحسن » ، وتضم مكتبة رامبور مجموعة كبيرة من شعر حيص بيص (وفي المجمع العلمي العراقي صورة لها منقولة عن صورة معهد إحياء المخطوطات العربية في الجامعة العربية) . ولم تصل إلينا دواوين البارع وابن أفلح وابن القطان والحظيري ، وكذلك ديوان ابن الهبّارية الذي طبعت له « نتائج الفطنة في نظم كلية ودمنة » وكتاب « الصادح والبالغم » وأرجوزة منسوبة إليه باسم « حي بن يقظان » التي ألفها ابن سينا نثراً .

٢ - الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، محدث عراقي ، ولد عام ٣٩٢ هـ . قال ابن الجوزي : « وكان أبو بكر الخطيب قديماً على مذهب أحمد بن حنبل قال عليه أصحابنا لما رأوا من ميله إلى المبتدعة وآذوه فانتقل إلى مذهب الشافعي وتعصب في تصانيفه عليهم . ج ٨ ص ٢٦٧ » . « ... ولما جاءت نوبة البساسيري استتر الخطيب وخرج من بغداد إلى الشام .. ثم عاد إلى بغداد في سنة اثنتين وستين وأقام بها سنة ثم توفي » . طبع كتابه « تاريخ بغداد » في أربع عشرة مجلدة في القاهرة سنة ١٩٣١ ، ولم يشهد الخطيب إلا أوائل الحكم السلجوقي ، واسكن السمعاني وابن النجار اتخذوا كتابه أساساً يذيلان عليه ويستدركان .

٣ — الباهرى : علي بن الحسن ، من شعراء العصر الممدودين ، قتل عام ٤٦٧ هـ . وقد طبع كتابه « دمية القصر وعصرة أهل مصر » فى حلب عام ١٩٣٠ . ومن يقابل هذه النسخة بما فى ايران وغيرها من مخطوطات يجد فرقا ملحوظا ، ويعلم أن المطبوع لا يغنى عن المخطوط .

٤ — الرمزاني : محمد بن عبد الملك المتوفى عام ٥٢١ هـ . تمتلك المكتبة الوطنية فى باريس مخطوط الجزء الأول من كتابه « تكملة تاريخ الطبري » . والجزء يخص زمن بني بويه ، ولكن الكتاب كان مصدرا للمعاد الأصهباني وابن النجار وابن خلكان . وقد بدأت مجلة المشرق البيروتية نشره فى أجزاء متقطعة من أعدادها منذ سنتها التاسعة والأربعين (ج ١ مج ٢) . وللمؤلف كتاب آخر اسمه « المعارف » أشار إليه ابن خلكان ٢ : ٥٧٧ .

٥ — أنوشروانه : أنوشروان بن خالد ، وزير للسلطان محمد السلجوقي والخليفة المسترشد وتوفى عام ٥٣٢ هـ . وكتاب « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور » ضرب من المذكرات ، سجلها بالفارسية عن فترة تمتد من أواسط وزارة نظام الملك إلى موت طغرل الثاني . وقد فقد هذا الكتاب ، ولكن المعاد الأصهباني الذين اتخذوه أساسا لكتاب « نصره الفترة وعصره القطرة » يقول : إن أنوشروان لم يكن منصفاً .

ينظر عن أنوشروان كتب التاريخ ولا سيما عام ٥٣٢ عند ابن الجوزي ، وينظر عن الكتاب مقدمة النصره أو الزبدة ومقدمة هوتسما « Houtsma » على الزبدة ، وما ذكره Storey فى الكراسة الثانية ص ٢٥٤ من كتابه فى الأدب الفارسي .

٦ — السمعاني : أبو سعيد (أو أبو سعد) تاج الاسلام بن محمد بن منصور السمعاني (أو ابن السمعاني) ولد عام ٥٠٦ هـ وتوفى عام ٥٦٢ هـ ، وكان محدثا وفقها شافعيًا ، ساح كثيرا من الأقطار ، وشهد كثيرا من أحداث

عصره ورجاله ، وتلمذ لعدد من علمائه وشعرائه . (ينظر عنه ابن خلكان ٥٣٩ : ٢ ، مقدمة مارغوليوت على « الأنساب » ، ابن قاضي شعبة على الورقة ٤٩ ب ، بروكلان ١ : ٥٦٤ من ط ١ . وبهنا من مؤلفاته : -

أ - الأنساب : ومع أن التراجم التي يضمها هذا المعجم مختصرة ، فإنه يظل مصدراً له قيمته . ويلاحظ زيدان في كلامه على الطغرائي ٣ : ٦٩ من « تاريخ آداب اللغة العربية » أن الكتاب في الأصل أضخم مما عليه النسخة التي في أيدينا (وقد نشرها مارغوليوت مصورة) . واختصر ابن الأثير الأنساب وسماه « الباب » وقد طبع وستنقلد من الباب قسماً سنة ١٨٣٥ ثم طبع كاملاً بمصر ، وربما استدرك ابن الأثير على الأنساب (ينظر ابن خلكان ج ١ في ترجمة « صدقة ») .

ب - ذيل تاريخ بغداد : خمس عشرة مجلدة في صميم دراستنا ، ذيل بها السمعاني على كتاب الخطيب البغدادي ، ويظهر أنه كان يقرئ هذا الكتاب أو فصولاً منه بالجامع القديم (أو المتيق) في خراسان ، وصل إلينا منه :

١ - مختصر في ليدن بهولندية رقم MS9 ب ٢١٦ صفحة تبتدى بحرف الجيم .

٢ - لاحظ الدكتور مصطفى جواد أن في ثريفتي كوليج بكمبرج « الجزء الثاني من مختصر ذيل تاريخ بغداد » للسمعاني ، يبدأ بمحمد السنجي وينتهي بالحسن ابن أحمد البغدادي الأصبهاني وهو اختصار جمال الدين الأنصاري صاحب « لسان العرب » .

٣ - أسطروأخبار عند ياقوت والقفطي وابن الديبتي وسبط ابن الجوزي وابن خلكان والفتح بن علي البنداري في تاريخ بغداد .

ج - وطبع للسمعاني في ليدن عام ١٩٥٢ « كتاب الاملاء والاستملاء » .

٧ - الحظيري : أبو المعالي سعد بن علي الحظيري المعروف بدلال

الكتب المتوفى عام ٥٦٨ هـ ، من شعراء العصر المملوكي . وقد فقد كتابه

« زينة الدهر وعصرة أهل العصر » الذي جمعه ذيلًا على « دمية القصر » ولم يبقه لنا منه إلا استشهادات عند العماد الأصهباني وابن خلكان وغيرها . ولو وصلت إلينا « الزينة » لوصلت إلينا أخبار كثيرة .
وفي مكتبة أستان قدس بمشهد الرضا نسخة تسكاد تكون كاملة من كتابه « الاعجاز في الأحاجي والألغاز » .

٨ — السلفي : أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة ، محدث شافعي ولد بأصبهان حوالي ٤٧٢ وتوفي عام ٥٧٦ ولم يصل إلينا كتابه « طبقات الشافعية » ولكن السبكي وابن النجار يقتطفان منه (ينظر ابن خلكان ١ : ٥٣ — ٥٥ ، السبكي ٤ : ٤٣ — ٤٨ ، ابن قاضي شهبة « الورقة ٤٨ ب » ، الحنبلي ٤ : ٢٥٥) .

٩ — ابن النُبَاري : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد ولد عام ٥١٣ وتوفي عام ٥٧٧ ، نذكر من كتبه : « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » الذي كان أحد مصادر ياقوت . وقد طبع ثلاث مرات .

١٠ — ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي . . . فقيه وواعظ حنبلي ، ولد عام ٥٠٨ (أو ٥١٠) في بغداد وتوفي بها عام ٥٩٧ (ينظر مقال بروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية ، خريدة القصر » ابن خلكان ، الحنبلي) . وتكون الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتابه « المنتظم في تاريخ الملوك والأئمة » مصدرًا لا يستغنى عنه — على شدة لهجة المؤلف وعلى إهماله عددًا من الشعراء . وكثيرًا ما حدثنا ابن الجوزي عما رأى وسمع وما درس . ومن مصادره الهمداني (ينظر المنتظم ٨ : ٢٨٦) وتاريخ هلال بن الحسن (٨ : ٢٨٦) وتاريخ هبة الله بن المبارك بن يوسف السقطي (٩ : ٧٢ ، ١٨٣) وابن السمعاني (٨ : ١٧٨) . وقد اقتبس من ابن الجوزي سبطه وابن الأثير وابن خلكان وابن كثير وغيرهم كابن الديني وابن النجار .

ولابن الجوزي مؤلفات كثيرة ، نذكر منها « تلبيس إبليس » وقد ألفه قبل المنتظم (ينظر ٩ : ١٦٩) .

١١ — العماد الصبراني : أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد المعروف بعماد الدين الأصبهاني ، ولد بأصبهان عام ٥١٩ هـ في أسرة ثرية معروفة ، وأمضى بها طفولته وشطراً من صباه ، ونقله والده إلى بغداد فسكنها سنة ٥٣٤ وقد بلغت سنه (١٥) عاماً (تنظر الخريدة ج ١ من كلامه على علي بن أفلح ص ١٥٢ — ١٥٨ من نسخة ليدن والورقة ٩١ من نسخة طهران) . وقد درس الفقه والعلوم الأخرى ، وأتابه الوزير ابن هبيرة عنه في واسط حتى إذا مات الوزير فقد منصبه ولجأ إلى الأيوبيين في الشام ومصر . وبعد موت صلاح الدين عام ٥٨٩ اعتزل الحياة العامة وأرصد وقته للتأليف إلى أن توفي عام ٥٩٧ (تنظر عنه دائرة المعارف الإسلامية ، بروكلمان ١ : ٣١٤ — ٥ : ابن خلسكان ، ابن قاضي شعبة على الورقة ٥٤ ب ، (مقدمة خريدة العراق المطبوعة) .
ويهمنا من مؤلفاته :

أ - نصره الفترة وعصرة القطرة - وفي اسم الكتاب اختلاف وخلاصته انه تاريخ سلاجقة العراق . واتخذ العماد تعريبه لمذكرات أنو شروان السابقة الذكر أساساً للنصرة ، ثم أضاف إليها أخباراً معاصرة للمذكرات أو تالية لها حتى أصبح الكتاب ولا غنى عنه في دراسة العصر سياسياً واجتماعياً وأديباً . ومع أن العماد يظهر في كثير من المواقف أهلاً للثقة ، وأنه أخذ على نفسه الأمانة العلمية (ينظر البنداري ص ٤) فنحن لا نجد بداً من بعض التآني في قبول أحكامه ، لانه هو وأسرته زاولوا السياسة والادارة ، ولأنه شديد الإعجاب بعمه المستوفي عزيز الدين ، ولأن تدينه منعه أن يقول في الخليفة - أمير المؤمنين - شيئاً غير المدح والتعظيم .

ومن عيوب « النصره » اضطرابها وسوء نظامها . اما أسلوبها وما أثقله من سجع وصناعة فذلك يؤدي إلى صعوبة الفهم وإلى ضياع كثير من الحقائق

التأريخية وإلى حشو الكتاب بألفاظ لا طائل تحتها وجل غير مفيدة .
وفي المكتبة الوطنية بباريس مخطوطة من النصرة لعلمها الوحيدة في العالم
(ولدى مؤلف هذا الكتاب صورة منها) . تراجع مقدمة هوتسما على الزبدة
ومقدمة محمد بهجة الأنري على الخريدة

وفي القرن السابع للهجرة أراد البنداري (الفتح بن علي بن محمد ، مترجم
الشاهنامة ومختصر كتاب البرق الشامي) أن يخدم سلطانه الملك المعظم ،
فشرع عام ٦٢٣ في اختصار النصرة وهدفه أن يخلص الكتاب من اغلال
الصناعة اللفظية ، وقد أتم الاختصار وسماه « زبدة النصرة » ولكنه لم يستطع
تحقيق غرضه كاملاً ، وعجيب أن يقول هوتسما ، ناشر الكتاب ص ١١١ X X :
إن البنداري قد أدى مهمته أداءً يفوق كل مدح .

واختصر البنداري - فيما اختصر - كثيراً من الاستشهادات الشعرية التي
ذكرها العماد وهو يتكلم على أحداث العصر وأعلامه ؛ وخسارة مؤرخ الأدب
بذلك غير قليلة - وإن كان هوتسما ص ١١١ X X قد امتدح هذه الفعلة
وعذّها من المحاسن .

وإعجاب هوتسما بهذا المختصر هو الذي دفعه - كما يفهم من كلامه - إلى طبعة
بليدن عام ١٨٨٩ م في سلسلة تاريخ السلاجقة ، معتمداً مخطوطة اكسفورد ؛
راجعاً - مادعت الحاجة - إلى مخطوطة الزبدة ومخطوطة النصرة اللتين تضمنهما
مكتبة باريس ، فجاءت طبعة على كثير من الانقار . وقد حسب جرجي زيدان
في تاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ٦٢ الكتاين اللذين طبعهما هوتسما في هذه
السلسلة ترجمتين لكتاب البنداري ، وذلك غير صحيح ، لأن الكتاين -
وأحدهما بالفارسية والآخر بالتركية - يختلفان عن الزبدة كل الاختلاف^(١) .

(١) تضم المكتبة الوطنية بباريس ، رقم (٦١٥٢) مخطوطة هي : « الجزء الأول
من تاريخ بغداد للعلامة الفتح بن علي بن محمد البنداري - الأمصهاني - » وهو بخط مؤلفه .
فرغ منه بالورقة ١١٦ سنة ٦٣٩ بدمشق . والكتاب كما نص مؤلفه ، أخبار نقلها عن
الخطيب البغدادي وكتاب أبي سعد السهاني

ومن آثار القرن السابع كتاب اسمه « أخبار الدولة السلجوقية نجبل اسم مؤلفه الحقيقي - وهناك من ينسبه لأبي الحسن علي القفطي أو لأبي الحسن علي بن منصور بن ظافر بن الحسين الخزرجي المتوفي عام ٦٢٣ (تراجع مقدمة ناشره : محمد إقبال) وقد طبع بـ لاهور سنة ١٩٣٣ منسوباً لصدر الدين علي بن ناصر الحسيني . وتقرب نصوص هذا الكتاب من « الزبدة » حتى ليكاد يكون مختصراً آخر « للنصرة » - ولكنه لم يشر إلى « العماد » و « النصر » إلا في مكان واحد (ص ٦٩)

ب - خريدة القصر وجريدة العصر - تأثر العماد حين ألف خريدته بدمية البخارزي ويتيمة الثعالبي وغيرهما . وقد تكلم فيها - عن علم ودراية - على شعراء المئة السادسة خاصة ، موزعين بحسب اقطارهم : العراق ، بلاد العجم ، الشام الجزيرة ... مصر ... المغرب ، الأندلس (ينظروفيات الأعيان ٢ / ٤٩٧) . ولا يعتمد العماد - في تبويب الادباء - الاقطار أو النسب أو مدة الإقامة ، إنما يعتمد - أول ما يعتمد - المولد ، ولهذا تراه يدرس الأرجاني - مثلاً - في قسم بلاد العجم مع ثبوت عروبه ؛ ويدرس ابن الهبارية في قسم العراق مع طول ما أقام في بلاد العجم ، وفعل مثل ذلك اذ درس الغزي في قسم الشام .

بروي العماد في خريدته كثيراً مما رأى وسمع من حوادث وأخبار ، وينقل عن كتب لم تكن نسمع بأسمائها لولاه ، أو عن كتب عرفناها ولم تصل إلينا ، مثل « زينة الدهر » و « ذيل تاريخ بغداد » ، وإنه ليختار اختيارات كثيرة من دواوين الشعراء ، ومن بين هذه الدواوين ما لم يصل إلينا مثل ديوان ابن الهبارية . وكانت هذه الخريدة مصدراً لعدد من المؤلفين ، ولا سيما ابن خلكان . وليس لأحد أن يدعي معرفة العصر أو الكتابة عنه دون أن يقف على هذا الكتاب الضخم القيم .

يمكن القول اننا نمتلك مخطوطات أجزاء هذا الكتاب كاملة . وقد نشر

« أماري » الأوراق التي تخص شعراء صقلية ، ونشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة القسم الخاص بمصر سنة ١٩٥١ - ٥٢^(١) ونشر المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٦ الجزء الأول من شعراء الشام بتحقيق الدكتور شكري فيصل^(٢) . وربما كان مخطوط قسم العراق أكثر المجلدات وجوداً ، ففسخة - تامة أو غير تامة - في لندن وباريس وليدن ومونيخ والفاتيكان والقرويين وطهران (سبيلار) وغيرها . وقد نشر المجمع العلمي العراقي الجزء الأول منه مصدراً بمقدمة مستفيضة بقلم محمد بهجة الأثري . (منها التعريف بالخريدة ص ٨٢ - ١١٩) .

أما مجلد بلاد العجم ، فتحوي ليدن من مخطوطاته على نسختين (رقم ٢١ ، ٣٨٤) بخط مغربي - تشابهان كثيراً . ونعوزها صفحات من البداية وفصول - كالفصل المعقود على اصبهان - من الوسط . وفي المجمع العلمي العراقي « ميكروفلم » لأحدى هاتين النسختين ، وعلمت أن المكتبة الوطنية بطهران قد صورت كلتا المخطوطتين . وتضم مكتبة اكسفورد قسماً مما يعوز بداية ليدن ، وفي المجمع العراقي صورة له . وفي مكتبة القرويين نسخ لا يسهل الوصول إليها أو الحصول عليها . وسمعت أن المحامي عباس العزاوي يمتلك نسخة منه ، فلما سألته قال : إنها ناقصة ، وإنه أرسلها مع ولده إلى إيران .

وفي الهند مجلد مخطوطة باسم الخريدة (منها صورة في المجمع العلمي العربي بدمشق) يرجح الدكتور شكري فيصل أن تكون المسودة للمخطوط الأول لمجلدات الخريدة .

واختصر علي رضائي الخريدة في مجلد واحد سماه « عود الشباب » ، لا يخلو من فوائد ومن فقر وصفحات ضاع أصلها .

(١) ربما ضمت مكتبة جامع القرويين بفاس المجلد المصري أو شيئاً منه

(٢) ربما ضمت مكتبة جامع القرويين المجلد الشامي أو شيئاً منه . وللفصل الذي تقدمه الأصهباني علي الغزي (ص ٣ - ٥٧ من ط . دمشق) أهمية خاصة فيما يتصل بموضوعنا . ويعد الدكتور شكري فيصل الجزء الثاني إلى الطبع .

وللمعاد و- فيما يذكر - كتاب آخر استدرك به على الخريدة ما فاته وذكر ما جد عليه ، قال ابن خلكان في ترجمة المعاد : « وصنف كتاب « السيل على الذيل » جملة ذيلاً على الذيل لابن السمعاني . . هكذا قد سمعت ، ثم اني وقفت عليه فوجدته ذيلاً على خريدة القصر » . وقد نقل ابن خلكان عن هذا الكتاب وسماه مرة « الذيل » (ج ٢ ص ٣٨١ ترجمة محمد ... الشهرستاني) ومرة « السيل » (٢ / ٢٦٥ ترجمة الشهرزوري) . وفي كوبها كن بالذانمارك نسخة باسم « الذيل ... » تضم - أكثر ما تضم - تراجم مصرية ومغربية . وفي المجمع العالمي العراقي صورة لها لم يطمئن الأثري إلى أنها الذيل نفسه - ولعلها مختصر للذيل ولتراجم من القسم المصري أو المغربي . . . ونحن نعلم أن الذيل الأصلي في ثلاث مجلدات .

١٢ - ومع أنه المصادر الفارسية قليلة جداً ، بشهادة سوفاجه في مقدمته (١٤٦) ، ولا تفيد إلا في دراسة العصر أو في دراسة شعراء فرس يكتبون بالفارسية ، فإن الراوندي المتوفي عام ٥٩٩ هـ يتكلم في كتابه « راحة الصدور » علي الطغرائي ، والعموي في « لباب الألباب » علي البخارزي . كما ان مراجعة تاريخ « كزيدة » تأليف المستوفي لا تخلو من فائدة . و « كزيدة » مترجم إلى الفرنسية والانكليزية . وجهار مقاله الى الانكليزية والعربية .

١٣ - ياقوت : ولد أبو عبدالله ياقوت ببلاد الروم حوالي عام ٥٧٤ هـ وتوفي قرب حلب عام ٦٢٦ هـ بعد أن دخل كثيراً من البلاد الاسلامية ؛ وفي مرو - حيث مكث زهاء عامين - بدأ يجمع في مكتباتها الأخبار اللازمة لكتبه المهمة (ينظر Huart في دائرة المعارف الاسلامية . وابن خلكان) . ويهمننا من كتبه :

أ- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : طبع مرتين = الأولى بعناية

المستشرق الانكليزي مارغوليوت ، والثانية باشراف الدكتور أحمد فريد رفاعي بمصر ، ويحفظ المؤلف لنا في هذا الكتاب الضخم بعض ما انتهى إليه من مسموعات (إرشاد ط ، مارغوليوت ٦/١٧٢) . وكان ابن الديلمي أحد من روى عنهم ، فقد كان شيخه (الوافي ج ٣ ص ١٠٣) . كما أنه ينقل عن مصادر لم تصل إلينا مثل الوشاح (ينظر فهرس معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية) و « مشارب التجارب » (الارشاد ٤/٢٠٨ . وينص ياقوت في مقدمة كتابه على « نزهة الألباء » كما أنه يقتبس من السمعاني . وهكذا يظل ياقوت مهما على تأخر عصره — نسبياً . وقد استقى منه مؤلفون كثيرون ، كالسيوطي في « بغية الوعاة » . ومن المحتمل جداً أن يكون ابن خلكان - وقد ترجم لياقوت - قد استقى من الارشاد عدداً من أخباره .

حين يتكلم ابن خلكان (٣/١٦٢) على مؤلفات ياقوت ، يذكر - فيما يذكر - « إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء » وكتاب « معجم الشعراء » و « كتاب الأدباء » . ويفهم من كلامه هذا وكلام ابن النجار في « المستفاد » أن هذه الأسماء تلتزم ثلاثة كتب مختلفة « ولكن الشائع اليوم هو أن « إرشاد الأديب » و « معجم الأدباء » كأنهما عنوانان لكتاب واحد (عن معجم الشعراء ينظر ياقوت : إرشاد ٥ - ٦) . ويرى الدكتور مصطفى جواد أن هذا الارشاد المطبوع غير كامل ، لأن الجزء السابع (من طبعة مارغوليوت الذي يتناول حرف الميم) قد اختصره مؤلف غير ياقوت ؛ ومما يلفت النظر فيه أن أكثر أعلامه شعراء ، فلملحه جزء من معجم الشعراء المفقود .

ب - معجم البلدان : ويحوي هذا الكتاب (الذي طبع مرة في ليزيك وأخرى في القاهرة وثلاثة في بيروت) زيادة على معلوماته الجغرافية ، معلومات قيمة في التاريخ والتراجم والأدب والشعر .

١٤ - ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد الشيباني الجزري ، ولد في الجزيرة عام ٥٥٥ هـ ودرس كثيراً ، وساح كثيراً ، وعاش في عدة مدن

كالموصول وبغداد ودمشق وحلب . . . ثم عاد إلى الموصل حيث توفي عام ٦٣٠ هـ . ومن آثاره :

أ - الكامل في التاريخ (وينتهي بعام ٦٢٨ هـ) : مصدر مهم في دراسة العصر ، وكلامه على بداية السلاجقة مثلاً « لا تكاد تجده في مصدر آخر ، حتى في الكتب التي عقدت على السلاجقة . ولا تخلو أخباره الموجزة عن الشعراء من فائدة لتأريخ الأدب . وتشابه كثير من أخبار ابن الأثير مع أخبار ابن الجوزي ، حتى لكانه يعتمد - ولعلها اغترفاً من بحر واحد » كعبد الملك بن محمد الهمداني ، مثلاً . وعندما بلغ ابن الأثير عام ٥٩٧ من كامله وذكر وفاة ابن الجوزي قال : « وتصانيفه مشهورة ، وكان كثير الوقعة في الناس ولا سيما في العلماء المخالفين لمذهبه ... » .

أخذ من ابن الأثير كثير من المؤلفين المتأخرين ، مثل ابن خلكان وأبي الفدا وابن الوردي وابن خلدون . وقد طبع الكامل في ليدن عام ١٩٥١ - ١٨٣١ طبعة محققة مفهومة ، لم تخل - على ما بذل ناشرها من جهد - من أغلاط استشراقية ، منها ما كان في التصحيف ومنها ما كان في وزن الأبيات . كما طبع في القاهرة ، في بولاق وغيرها ، عدة مرات « آخرها طبعة مطبعة الاستقامة .

ب - تاريخ الدولة الأتابكية - ملوك الموصل . وقد طبع مع الترجمة الفرنسية في باريس عام ١٨٧٩ م ، وظهر فيه ابن الأثير متحمساً للأسرة التي يؤرخ لها . وقد حسب سر كيس في « معجم مطبوعاته » هذا الكتاب جزءاً من « الكامل » - وهذا غير صحيح .

١٥ - ابن رمية: المؤرخ الأندلسي أبو الخطاب عمر المعروف بذي النسيين (دحية والحسين) . توفي في القاهرة عام ٦٣٣ بعد أن طاف المشرق ، وألف عدة كتب منها « التبراس في تاريخ خلفاء بني العباس » - الذي نشره عباس العزاوي المحامي ببغداد سنة ١٩٤٦ م . والكتاب يمثل وجهة نظر مؤلف

مؤمن ، شديد الاخلاص للخلفاء مها يبلغ ضعفهم ، وينقل من حين لآخر
من الاخبار والآراء ما لا يكاد نجده عند من سواه .

١٦ - ابن الديلمي : (في الوافي ج ٣ ص ١٢ - ١٠٤ : بفتح الدال
نسبة الى ديينا وقد ذكره ابن خلكان بضم الدال المهمة وفتح الباء) : أبو
عبدالله محمد بن سعيد : محدث فقيه شافعي . ولد عام ٥٥٨ هـ في مدينة واسط ،
وعرف بالديلمي نسبة الى ديينا من قرى واسط - وفيها كان أصل أسرته ،
وقد توفي ببغداد عام ٦٣٧ هـ (ينظر ابن خلكان ٣٥٢/٢ ، ابن قاضي
شبهة ، و ٦٢ ب ، وعن جده : المخطوط ٢١٣٣ من تاريخه ياريس ، وعن
أبيه الجزء الثاني من تاريخه) .

من آثاره كتاب ضخيم هو « ذيل تاريخ مدينة السلام ببغداد للسمعاني »
وملك منه :

أ - الجزء الأول ، ورقه ٥٩٢١ من مخطوطات المكتبة الوطنية ياريس .
جاء في مقدمته « ... وبعد ، فهذا كتاب يذكر من كان بمدينة السلام من
الأمم المهيدين والخلفاء وولاة عهودهم والوزراء وأرباب الولايات والنقباء
والقضاة والمدول والخطباء والفقهاء ورواة الحديث والقول وأهل الفضل
والأدب والشعراء ومن قدمها من أهل العلم والرواية ... جعلناه تالياً لكتاب
التاريخ الذي ألفه تاج الاسلام أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني
المروزي ومذيلا عليه ... »

بدأ بذكر من اسمه محمد واسم أبيه أحمد ، حتى إذا بلغ الورقة ٢٩٨ بلغ
ترجمة جبريل بن صارم ... بن خليف ، ثم قرأنا : « الجزء الثاني والعشرين
من أصل ... وهو آخر المجلدة الأولى من هذه النسخة يتلوه ... حرف الحاء ،
ذكر من اسمه الحسن ، الحسن بن أحمد بن محمد » .

ب - الجزء الثاني : ورقه في ياريس ٥٩٢٢ وهو يتم الأول مادة ونسخاً

وورقا ، حتى اذا انتهى من ترجمة علي بن الحسن ابن هبة الله بن ... عساكر
وبلغ الورقة ٢٢٢ ب ، قرأنا : « آخر الجزء الثالث والأربعين من الأصل ،
وهو آخر السفر الثاني من هذه النسخة ، يتلوه انشاء الله في أول الثالث علي بن
الحسن بن عبدالله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن
الحسن ابن السامة . كتبه عبدالرحمن ابن عبدالخالق ... الأموي الشافعي من
نسخة وقف السلطان الملك الأشرف ... وافق الفراغ منه يوم الثلاثاء ، ثاني
عشر جمادي الآخرة من سنة ست وثلاثين وسبعمائة ... » أي زهاء سنة قبل
وفاة المؤلف .

المخطوطتان على احسن ما يمكن من الورق والوضوح . وقد فقدت المجلدة
التي تتممها ويكمل بها الكتاب .

ج - مخطوطة رقها ٢١٣٣ في باريس أيضاً ، تبتديء بذكر من اسمه أحمد
وأسم أبيه إسماعيل « حتى إذا بلغنا الورقة ٢١٠ رأينا ترجمة جد المؤلف وهو
حجاج بن علي بن الحجاج ابن محمد أبو القاسم « وعلى الورقة ٢١١ أ :
« يتلوه في الثالث حرف الخاء ذكر من اسمه خالد »

د - في المجمع العلمي العراقي صورة باسم « مخطوطة ذيل تاريخ بغداد
لأبن الديني » ، أصلها في كبرج ، وتبدأ بعبدالله بن عبدالله ، وتنتهي بمون...
وجاء على الورقة ١٨٤ : « آخر حرف العين ، يتلوه في المجلد الرابع حرف الغين
المعجمة ، أوله من أسمه غالب . »

نسبت مكتبة كبرج المخطوطة الى السمعاني ، ورقها فيها ٢٩٢٤ ؛ ويجزم
الدكتور مصطفى جواد - بعد المقابلة والمقارنة - بأنها من تاريخ
ابن الديني

ليس كتاب ابن الديني ذيلاً فقط ، فربما تكلم على من أهمله السمعاني
أو من عاصره . ومع أن هم ابن الديني الأول هو الفقهاء والمحدثون ، فانه
لا ينسى الشعر والشعراء .

اختصر الذهبي محمد بن أحمد (٦٧٣ - ٦٤٨) هذا الكتاب لنفسه وسماه « المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الديلمي ». وقد نشر المجمع العلمي العراقي الجزء الأول منه بتحقيق الدكتور مصطفى جواد عام ١٩٥١ ، وليس لهذا المختصر أن يسد مسد الأصل ، ولعل المجمع العراقي يفكر في نشر المتيسر من كتاب ابن الديلمي - وهو غير قليل .

١٧ - القفطي : ولد أبو الحسن علي بن يوسف عام ٥٦٨ هـ في قفط من مصر العليا ، وتوفي عام ٦٤٦ هـ . وكان قاضياً للملك الظاهر في حلب ، وكان « جم الفضل ... إذا تكلم في فن من الفنون ... قام به أحسن قيام » وقد « جمع من الكتب على اختلاف أنواعها ما لا يوصف ، وكان ذا غرام مفرط بها » . « ولا يحب في الدنيا سواها » . « ولما احتضر أوصى بها للناصر صاحب حلب . وكانت تساوي نحواً من أربعين ألف دينار » . (ينظر المحمدون ، الارشاد ، فوات الوفيات ، شذرات الذهب ، بروكلمان ، ومقدمة كتاب إنباه الرواة ...) .

نذكر من آثاره :

أ - « المحمدون من الشعراء وأشعارهم » : و « رتب ذلك على حروف المعجم في أول أسماء آبائهم » وفي المكتبة الوطنية باريس نسخة منه رقم ٣٣٣٥ ، والمخطوطة بادية النفاسة ، وربما كانت الوحيدة في العالم . وقد جاء فيها - بعد ترجمة محمد بن سعيد بن محمد بن عمر بن الحسين الرزاز البغدادي على الورقة ١٣٠ ب - ١٣١ أ : « هذا آخر ما وجدته بخط مصنفه لكنه أحال في أوله على حروف بعده هذا الحرف ، فما أدري هل انخرم الكتاب أو أدركته المنية قبل تمامه ... وافق الفراغ من نسخته يوم الأربعاء المبارك تاسع عشري رجب الفرد أحد شهور سنة ١١٥٦ » وجاء في مقدمة النسخة عن الذهبي في العبر : « ... لم يستوعب المؤلف حروف المعجم بتمامها ، بل إلى حرف السين المهمة » . ب - إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، وهو مطبوع ، وقد كتب على

مخطوطته في باريس وعلى طبعة ليبسك : « تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني
المسمى المنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء » .

١٨ - ابن النجار : محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن هبة الله
ابن محاسن البغدادى ، ولد عام ٥٧٨ هـ ، ودرس الفقه على ابن الجوزي وغيره ،
وطوّف كثيراً بين مصر وخراسان إلى أن توفي ببغداد عام ٦٤٣ هـ (ينظر
ابن قاضي شهاب و ٦٩ ب ، فوات الوفيات ، شذرات الذهب ، الحوادث الجامعة
ص ٢٠٥ ، بروكلمان ١ : ٣٦٠ ، زيدان ٣ : ٧٠) .

ألف ابن النجار - فيما ألف - كتاباً ضخماً هو « ذيل تاريخ بغداد
للخطيب » ، روي مرة أنه يقع في (١٦) مجلدة ومرة في (٣٠) مجلدة ، وربما
كان صاحب الرواية الثانية يجمع بين أجزاء الذيل وأجزاء كتاب « المستدرک »
على تاريخ الخطيب (ينظر المستفاد وشذرات الذهب) .
ومما يذكّر من آثاره :

أ - اننا نجد في المجمع العلمي العراقي صورة « المجلد العاشر من ذيل التاريخ
المجدد لمدينة السلام تأليف ابن النجار » وقد صورت بوساطة المفوضية العراقية
بدمشق ، وربما كانت هذه النسخة هي التي أشار إليها بروكلمان في كلمة تاريخه
ص ٥٦٣ . وتبدأ هذه المجلدة بعبد الملك بن ابراهيم وتنتهي بعلي بن الحسين ،
ونقرأ بعد ذلك : « آخر المجلد العاشر من هذه النسخة » وهو آخر المجلد
العاشر من هذه النسخة « وهو آخر المجلد العشرين من الأصل - يتلوه في الذي
يليه ... علي بن الحسين بن أبي الحمراء » . هذا الوصف هو وصف مخطوطة
المكتبة الظاهرية بدمشق . ويلاحظ الدكتور مصطفى جواد أن تصويرها
المحفوظ في مكتبة المجمع العلمي العراقي ناقص من آخره .

ب - وفي المكتبة الوطنية بباريس مخطوطة رقمها ٢١٣١ ، تبدأ بترجمة
علي بن محمد الدامغاني ، كتب على الورقة الأخيرة منها (و ١٤٥ أ) : « آخر

المجلد الثالث والعشرين من الأصل من التاريخ المجدد لمدينة السلام . وهو آخر
المجلد الحادي عشر من هذه النسخة . ويتلوه في أول المجلد الرابع والعشرين
من الأصل أول الجزء : الفضل بن محمد ... وافق الفراغ منه في سلخ جمادى
الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ... علي يد علي بن عبدالله بن مسعود
السعودي المؤدب » . وأخطأ دسلان مؤلف دليل المكتبة المذكورة ، إذ عد
هذا المجلد جزءاً من « تاريخ بغداد » للخطيب . ويفهم من إشارة لبروكلمان
(تسكلة ١ / ٥٦٣) أنه ينسب لابن النجار ، ويجزم الدكتور مصطفى جواد في
ذلك ، معتمداً على مطابقة النسخة لأوصاف تاريخ ابن النجار ومطابقة خطها
لخط نسخة دمشق ولما ذكر فيها من شيوخ ابن النجار وأسانيده فضلاً عن
ذكر أخيه « علي بن محمود بن النجار » .

ج - اختصر كتاب ابن النجار ، أحمد بن أيك الديماطي الحسائي
المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، ينظر بروكلمان ، التسكلة ١ / ٣٦٥) ب (١٧٨) صفحة
سماها « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » . وتملك دار الكتب بالقاهرة نسخة
منه بخط المؤلف - منها صورة في الجمع العلمي العراقي ، ولا تخلو مراجعتها
من فوائد . ومن قراءة هذا المختصر نعرف عدداً من مصادر ابن النجار نفسه
كالهمداني والسمعاني والعماد ، وربما كان منهم ياقوت وابن الأثير ، ولندكر أن
ياقوتاً الذي التقى بابن النجار قد روى عنه بعض ما سمعه منه من أشعار
(ابن خلكان ٣ / ١٦٩) .

١٩ - سبط ابن الجوزي : شمس الدين يوسف بن قزأوغلي سبط
الجوزي . ولد عام ٥٨٢ هـ في بغداد وتوفي عام ٦٥٤ هـ في دمشق . وقد راجعنا
من كتابه « مرآة الزمان » : -

أ - المجلد الذي يؤرخ الأعوام ٤٤٠ - ٥١٧ هـ ومخطوطته في

باريس وليدن

ب - المجلد الثامن الذي يؤرخ الأعوام ٤٩٥ - ٦٥٤ هـ ، وقد نشر مصوراً في شيكاغو سنة ١٩٠٧ م ، ثم طبع على قسمين في حيدر آباد سنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ م . ويقول الدكتور مصطفى جواد : من يقرأ المجلد من أوله إلى آخره يدرك أنه مختصر ، والأصل مخطوط في القاهرة .

وكثيراً ما أعاد السبط كلام الجد ، ولكنه كثيراً ما زاد عليه واستدرك ونقل عن مصادر أخرى . وقدر ابن خلكان « مرآة الزمان » « بأربعين مجلداً » ونقل عنها في « الوفيات » (٣ : ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٦)

٢٠ - ابن خلطكان : القاضي الشافعي شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان . ولد في إربل عام ٦٠٨ هـ وانتهى من كتابه « وفيات الأعيان » عام ٦٧٢ هـ وتوفي عام ٦٨١ (تنظر دائرة المعارف الإسلامية ، والصفحات الأخيرة من الوفيات)

نقل ابن خلكان من كتب لم تصل إلينا مثل « زينة الدهر » و « ذيل السماني » و « ذيل ابن الديلمي » ، وكان من مصادره الأخرى : « دمية القصر » وابن الجوزي (تنظر الوفيات ، : ٢٣٥ ، ٢٣٦) ، وليس غريباً أن تغدو « الوفيات » مع تأخر عصرها - من المصادر الرئيسة . وقد أفاد منه قبلنا كثيرون ، وتكاد تكون الأخبار التي يرويها « شذرات الذهب » للأخشي المتوفى عام ١٠٨٩ هـ تلخيصاً ، أو نقلاً عن ابن خلكان وذلك فيما يتعلق بالترجمات التي وردت في الوفيات .

وعلى تعدد طبعات الوفيات ، فإنها لم تلق العناية اللازمة لمثلها ، وقد اعتمدنا نسخة مطبعة الوطن سنة ١٢٩٩ مع مراجعات طبعات أخرى ومخطوطات هنا وهناك - منها مخطوطة مختصرة للبارزي - ما دعت الحاجة .

٢١ - ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا ، ولد حوالي عام ٦٦٠ هـ وانتهى من تأليف كتابه « الفخري في الآداب السلطانية » عام ٧٠١ هـ -

ويهمنا كتابه على اختصاره ، لما فيه من فوائد شعرية ومن منقولات عن مصادر مفقودة (تنظر مقالة Huart في دائرة المعارف الاسلامية وتناقش ، وقد طبع مراراً في كوتا وباريس والقاهرة ، وفي طبعة باريس مقدمة قيمة عن الكتاب والمؤلف .) وكان ابن هند وشاه قد ترجمه الى الفارسية وزاد عليه اخباراً أخرى في كتابه « تجارب السلف » المطبوع في طهران . ويمتزم أحمد ناجي القيسي إعادة « التجارب » إلى العربية بعد مقابلته بالفخري .

٢٢ - ابن سكر : محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ، وكتابه « فوات الوفيات » وهو مطبوع - يحوي مجموعة من تراجم لم يعن بها ابن خلكان أو سها عنها أو لم تيسر له معرفة تاريخ وفيات اصحابها . ومن بين التراجم ما هو إعادة بالنص لما جاء في « الوفيات » !
وللمؤلف كتاب آخر ضخم هو « عيون التواريخ » يحتفظ عدد من المكتبات مثل اكسفورد بنسخ من مخطوطات أجزائه .

٢٣ - ابن جماعة : القاضي عز الدين عبدالعزيز بن محمد ... ابن جماعة . ولد بدمشق عام ٦٩٤ هـ ، وتفقه على والده وغيره ، وولي قضاء الديار المصرية مدة طويلة ، وتوفى بمكة سنة ٧٧٦ هـ . وفي المكتبة الوطنية بباريس مسودة تضم الجزء الثالث من معجم شعراء القرن الخامس والسادس والسابع ، وتشمل منهم أعلام حرف الحاء والسين . وهذه « التعليقة » مهمة على نقصها وعلى صعوبة قراءة خطها - وهي بخط مؤلفها ، أنهاها سنة ٧٥٦ هـ (ينظر دسلان في دليل المكتبة الوطنية رقم ٣٣٤٦ ، وابن قاضي شعبة في طبقات الشافعية . و١١٧٠ ب ويذكر أن ابن جماعة يكتب الخط الحسن السريع (!) كما تنظر دائرة المعارف الاسلامية وبروكلمان)

٢٤ - وهناك مراجع أخرى مثل البداية والنهاية لابن كثير وشذرات الذهب للعماد الحنبلي ، لا تكاد تضيف شيئاً ولا تكاد تخرج - فيما

يتصل بالفترة التي نؤرخ لها - عن كونها نقلاً أو تلخيصاً لمنتظم ابن الجوزي.
وكامل ابن الأثير ووفيات ابن خلكان .

وليس بين الدراسات الحديثة ما يشير إليه سوى دائرة المعارف الإسلامية
وتاريخ بروكلمان ومقالات الدكتور مصطفى جواد في مجلة « الغري »
هذا استعراض موجز ، هو أشبه بفهرست تاريخي لأهم المصادر العامة
للبحث في شعر القرن الخامس - السادس وشعرائه ، وللتأريخ مكان ملحوظ
منها . أما الكلام على هذه المصادر فيما يتعلق بكل شاعر منفرداً ، فكانه - هو
وكتب أخرى أقل عموماً أو أقل أهمية - الدراسة التي تعقد على
ذلك الشاعر^(١) .

(١) للمؤلف في الجزء الأول من المجلد الرابع (١٩٥٦) من مجلة المجمع العلمي العراقي
مقالة عن المصادر العامة لهذا العصر . وبما يلاحظ أن « المجلة » قد أضاعت إليها الحاشية
الأولى والثانية والثالثة .

المدخل

(١) سير الأهمرات السياسية والحربية^(١)

في أواخر القرن الرابع للهجرة^(٢) (= العاشر للميلاد) ، ترك سلجوق^(٣) بن دقاق (أو تقان) - رأس الأسرة السلجوقية - بلاد الترك في آسيا الوسطى^(٤) ، وأقام مع قبيلته الغز^(٥) في ضواحي « جند » على ضفة نهر سيجون ، وهناك اعتنق الاسلام^(٦) اعتناقاً ما .

مات سلجوق خلف عدة أبناء ، أشهرهم ميكائيل وأرسلان . وعند موت ميكائيل أقام أبنائه الثلاثة . طغرل وداود ويغولدي عنهم أرسلان - وكان يحكم إذ ذاك بخاري بالاشتراك مع علي تسكين . وفي عام (٤٠٨) عبر السلطان محمود الغزنوي جيحون ، فهرب علي تسكين من بخاري ، ودخل أرسلان وجماعته المفازة . ولما رأى محمود قوة السلجوقية وكثرة العدد كاتب زعيمهم واستماله ورغبه ، حتى إذا ورد إليه قبض عليه في الحال ثم أمر بأهله وعشيرته فعبروا نهر جيحون ففرقهم في نواحي خراسان^(٧) . ولكن « غز » أرسلان هؤلاء

(١) لجغرافية البلاد ينظر غير الكتب العربية المعروفة ، لسترنج ، بارتولد ، مينورسكي والأطالس التاريخية .

(٢) مستوفي (عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) ص ١٠٥ ، كروسه ص ٢٠٣

(٣) وذكره ابن حنبل على : « سرجق » وقال : « ومنه ابتدأت الدولة ونشأت الدعوة »

(٤) ينظر بارتولد ، تركستان ، ومقالته في دائرة المعارف الاسلامية

(٥) ينظر في دائرة المعارف الاسلامية : غز ، تركان

(٦) ابن الاثير ٩ : ٣٢٢ ، وجاء في د . م . ع ، ٤ : ٢١٦ « ان اسلام الغز هذا

أو اسلام رئيسهم - في الأقل - من المشكوك فيه كثيراً .

(٧) ابن الاثير ٩ : ٢٠٩ - ٣٢٣ ، ٢٦٦ ، البنداري ، وعن محمود تنظر

دائرة المعارف الاسلامية

- الذين عرفوا بالغز العراقية أو العراقيين - لم يحكثوا طويلا فقد بدأوا سلسلة غزوات دامت حتى عام (٤٢٦) حيث لقوا الخسارة الكبرى عند الموصل^(١) ولما رجع محمود من بخارى ، عاد إليها على تسكين ، وعاد معه طغرل وداود ويغفو وأبناء عمهم من الغز ، وعلى أثر سلسلة من المنازعات ، وقعت بينهم وبين صاحب بخارى انهزموا عام ٤٢٦ وعبروا جيحون إلى خراسان ، وهناك شنوا عدة غزوات ، دخل - على اثرها - داود مدينة مرو ، وخطب له في أول جمعة من رجب ٤٢٨ ولقب في الخطبة ملك الملوك^(٢) ، بينما دخل طغرل بك نيسابور وخطب له فيها في شعبان من السنة نفسها بالسلطان المعظم^(٣) وفي عام ٤٤٣ اتخذ طغرل بك أصفهان عاصمة له^(٤) .

بينما كانت هذه الأحداث في بلاد العجم إذ كان العراق في « فوضى » واضطراب ، ولم يكن للخليفة (القائم) ولا للملك البويهى (جلال الدولة) أي سلطان ، وكان الجنود الترك في ثورات متصلة ، وكان البدو والعيارون يهاجمون المدن ، وكانت الفرق المذهبية تضرب بعضها بعضاً . وفي هذه الفترة ، أفلح القائد التركي أبو الحارث أرسلان المعروف بالبساسيري في التمكن من السلطة الحقيقية^(٥) .

اقرب طغرل بك من بغداد ، وأرسل الخليفة من ينوب عنه في استقباله ، ثم دخلها في ٢٥ رمضان عام ٤٤٧ مع جيشه يصحبه وزيره عميد الملك الكندري . وقبض على الملك الرحيم - آخر الملوك البويهيين . ولم يطل المسكن في بغداد ، لأنه اضطر إلى السير نحو الموصل لاختاد ثورة دبرها

(١) ابن الاثير ٩ : ٢٦٥ - ٢٧٧ وينظر ابن خللكات ٢ : ٤٣٩ محمد ... طغرل بك)

(٢) العباد في النصرة (او البنداري في الزبدة) ٩ : ابن الاثير ٩ : ٣٢٧ ، وينظر بيهقي ، حكماء الاسلام ص ٧٠

(١) ابن الاثير ٩ : ٣٢٨

(٤) ابن الاثير ٩ : ٣٨٥ ، ابن الجوزي ٨ : ٢٣٢ . وتنظر عن سير هذه الاحداث الصفحات الأولى من نصرة العباد او من زبدة البنداري .

(٥) ابن الاثير سن ٤٥٠ ص ٤٣٩ - ٤٨٨

البساسيري وقريش العقيلي ونور الدولة ديبس المزيدي . ولما عاد إلى بغداد حظي بالمثل بين يدي القائم ، فخلع هذا عليه وخطبه بملك الشرق والغرب ^(١) . ولكن طغرل بك اضطر ثانية إلى أن يقصد الموصل ثم همدان لقمع ما فيها من ثورات ؛ وفي أثناء غيبته هذه أي خلال عام ٤٥٠ أفلح البساسيري في الاستيلاء على بغداد ودعا إلى المستنصر الفاطمي بمصر ^(٢) ، فخطب له في بغداد والكوفة والنيل وواسط والموصل ، واعتقل الخليفة العباسي بالحديثة . ولم يدم ذلك إلا عاماً واحداً ، فقد عاد طغرل بك في السنة التالية وأعاد الخليفة وهزم البساسيري وسير وراءه عسكرياً فقتله واحتز رأسه .

توفي طغرل بك عام ٤٥٥ في الري وهو في السبعين ^(٣) ، وقبض على السلطة بعده ألب أرسلان ابن أخيه داود ^(٤) . وقد استطاع أن يغلب منافسيه مثل قتلش وقاورد من أعضاء أسرته ثم أوغل في بلاد الخزر ووطد سلطانه في ديار بكر وآمد وحلب ، وأسر أرمانوس ملك الروم . وفي أوائل عام ٤٦٥ توجه لقمع بلاد الترك ، وعبر جيحون فانتصر ثم قتل وهو في الأربعين من عمره .

خلفه ابنه ملكشاه (عضد الدولة أبو شجاع محمد) . وبعد سنتين من سلطته توفي القائم فوليه حفيده المقتدي بأمر الله (شعبان ٤٦٧) . وفي عهد ملكشاه اتسعت رقعة المملكة حتى ضمت ما بين القسطنطينية وكاشغر . وكان وزيره نظام الملك عاملاً مهماً في هذه الانتصارات . وكان هذا الوزير من النفوذ بحيث أثار الحاسدين ونبه مخاوف السلطان نفسه وذلك مما أدى إلى

(١) البنداري ١٠ - ١١ ، ابن الجوزي ٨ : ١٨١ - ١٨٣ ، ابن الاثير ٩ : ٤٣٥

(٢) الخليفة الفاطمي الثامن ، ولد عام ٤٢٠ وأخلف أباه الظاهر في ١٥ شعبان ٤٢٧

وتوفي ١٨ ذي الحجة ٤٨٧

(٣) يقرأ عن اخلاق طغرل بك ابن حسول ، العهاد في النصرة) ، ابن الاثير .

(٤) وكان طغرل بك قد عهد بولاية عهده لسلطان ابن أخيه داود ، ولكن ألب أرسلان

هو الذي غلب .

قتله غيلة عام ٤٨٥ بيد باطني . وفي هذه السنة نفسها توفي السلطان ثم الخليفة فولى المستظهر خليفة وبركيارق سلطاناً .

في عهد بركيارق بدأت الحروب الصليبية ، وازداد خطر الباطنية ، واتسع نفوذ صدقة المزيدي ، واشتدت المنافسة بين رجال الادارة (ومن ذلك ما حدث بين مؤيد الملك ابن نظام الملك ومجد الملك) . كما نازع السلطان عدد من أفراد أسرته ومن بينهم أخوه محمد ، ولم يتوصل الأخوان إلى الاتفاق إلا عام ٤٨٧ . ثم مات بركيارق في ربيع الثاني من عام ٤٩٨ ناصباً على سلطنته ابنه ملكشاه (الثاني) ، ولكن محمداً تمكن من الحكم وسمل عيني ابن أخيه .

اقرن حكم محمد بالاستيلاء على قلاع الباطنية ، وبقتل صدقة المزيدي . وكان الشقاق بين أعضاء الحاشية شديداً حتى وقع السلطان نفسه في أحاييل الخطيبي والسميري والدركزني^(١) ، وحتى « شارفت الدولة السلطانية انقضائها وقاربت انتهاءها »^(٢) . وفي ٢٤ ذي الحجة من عام ٥١١ توفي محمد بعد مرض طويل . ثم لحق به الخليفة المستظهر في ١٦ ربيع الآخر من عام ٥١٢ .

كان محمود بن محمد بن ملكشاه السلطان الجديد ، وكان المسترشد الخليفة الجديد . وفي أيام محمود وقعت عدة ثورات أهمها حرب عمه سنجر^(٣) ، فقد نار هذا بخراسان عام ٥١٣ وأصبح السلطان الأعظم ، وأصبح اسمه يذكر بعد الخليفة ، ويليهِ اسم محمود .

في هذه المرحلة من الحكم السلجوقي استرجع الخليفة شيئاً من النفوذ ، فبعد أن حارب المسترشد ديبس بن صدقة المزيدي وغلبه ، أجاز الشحنة

(١) ينظر هرس الزبدة وابن الاثير .

(٢) الزبدة . (٣) وكان سنجر يحكم خراسان منذ عهد أبيه ملكشاه (الأول) .

ولاية . ينظر الحسيني (٢) ص ٨٨ -

- وكيل السلطان - على مغادرة بغداد ، وحاول طرد العمال الآخرين إلى واسط ، ولكن السلطان زحف بمسكره إلى دار الخلافة واضطر الخليفة إلى الصلح .

وقعت هذه الحوادث عام ٥٢١ ، وفي عام ٥٢٥ توفي محمود في همدان في السابعة والعشرين من عمره ، وكادت تستقر سلطنة العراق في طغرل بن محمد بن ملكشاه ، ولكن أخاه مسعود بن محمد هو الذي انتصر فذكر اسمه في الخطبة بعد اسم سنجر .

كان الخليفة أول الأمر إلى جانب مسعود ، ولكنه غير موقفه عام ٥٢٩ . وقاد جيشاً لحربه فوق بين يديه ، فدس عليه الباطنية ، وقتل في ذي القعدة من السنة نفسها . وحذا ابنه الراشد حذوه في الحرب ، فخاربه السلطان وخلعه ، وولى المقتني ابن المستظهر عام ٥٣٠ .

كانت سلطة مسعود في تدهور لكثرة ما لقيت من ثورات ومكائد كان يدبرها المتنفذون أمثال خاصبك والدركزيني وابن طغايرك وبوزابة^(١) . أما الخليفة المقتني فقد لزم الصمت مدة طويلة . حتى اذا مات مسعود عام ٥٤٧ قال : « لا صبر على الضيم بعد اليوم » وطرد الشحنة واستولى على أملاكه وأملاك أشياعه ، وقاد الجيوش وانتصر على كثير من أعدائه ، وملك العراق من أقصى الكوفة إلى حلوان ، ومن حدود تسكرت إلى عبادان ، واقطع واسطاً والبصرة والحلة ... » وآزره وزيره ابن هبيرة في كل ذلك مؤازرة من الطراز الأول^(٢) .

لم يمنع « استقلال » العراق هذا ورود ذكر بعض السلاجقة مثل سليمان

(١) ينظر فهرس الاعلام من البنداري وابن الأثير .

(٢) ينظر البنداري ص ٢٣٤ وابن الأثير وابن الجوزي

وفي عام ٥٤٧ نفسه قضى الغوريوت على الغزنويين ، وفي عام ٥٤٨ قبض الغز على سنجر .

وفي المقتني عام ٥٥٥ غلبه المستنجد ثم المستضيء ثم الناصر ثم الظاهر ثم المستنصر ثم المستعصم - وهو آخر خلفاء بني العباس وقد قهره التتر وقتلوه في ٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ .

ابن محمد بن ملكشاه . أما في غير العراق فقد استمر حكم السلاجقة على شكل أتابكة وما أشبه حتى القرن التاسع للهجرة .

(٢) النظم

في العهد السلجوقي - كما في العهد البويهى قبله - سلطتان في آن واحد : سلطة الخليفة وسلطة السلطان^(١) ، ويتردد بين هاتين السلطتين ، هنا وهناك ، عدد من الامارات العربية : وربما حاز بعضها الاستقلال أو شيئاً منه .
وملفاء هذه الفترة عباسيون قاديون^(٢) ، وكان لهذا البيت نفوذ خاص ، ويعتقد ابنائهم أن الخلافة من حقهم الثابت . وإذا كانت محاولة لنقل الخلافة الى البيت الفاطمي بمصر فإنها محاولة ليس غير^(٣) والقاعدة العامة أن الخليفة الجديد هو ولي العهد الذي عينه الخليفة السابق ، ولكن لا بد من البيعة ومراسيم البيعة . هذه هي القاعدة ، والذي حدث للمقتني شيء غير ذلك ، لأنه جاء بارادة السلطان وهو يبحث عن خليفة ضعيف .
وتقوم سلطة الخليفة على الجانب الديني ، وما كان بإمكان السلطان أن يصبح شرعياً ما لم يأمر الخليفة بذكر اسمه في الخطبة . ومن هنا كانت حاجة الأمراء من سلجوقيين وغير سلجوقيين الى الخليفة ، ومن هنا كانت الاطاعات تأتي من مكة ، ومن حلب . . . وكان ملك غزنة وملوك الخاقانية بما وراء النهر « عميد الخليفة وخدمه »^(٤) ويبعث المقتدي تقليده الى يوسف

(١) كان الحاكم البويهى يسمى ملكاً ، ولكن الحكام السلاجقة كانوا يسمون سلاطين ، وعن حتى ٢ : ٥٧ عن الراوندي في راحة الصدور ص ١٠٥ « ان طغرل بك » كان ... اول حاكم مسلم حات مسكوكاته هذا اللقب .

(٢) نسبة الى القادر ابن المعتض . ينظر - مثلاً - ابن الجوزي ٨ : ٢٩٤

(٣) تلك هي محاولة البساسيري . وما يذكر عن التحالفات العائلية ، ما جاء في التاريخ من أن المستظهر « الزم بنت العائم - زوجة طغرل بك - بيتها لانه أبلى عنها أنها تسعى في ازالة دولته » ينظر ابن الاثير سن ٤٩٧ (٨ : ٤١٩ من ط . الاستقامة) ، وما جاء عن خلاف أخى المسترشد .

(٤) ابن الاثير سن ٤٧٤ (٨ : ١٢٩ من ط . الاستقامة)

بن قاشفين ويلقبه بناصر الدولة فيزيده مكانة . وكان السلاطين السلاجقة - مع ما كانوا عليه من قوة - يتذللون للخليفة ، ولم يحظ طغرلبيك برؤية القائم ببسر^(١) ، اما ملكشاه فانه حين دخل بغداد « ارسل إلى الخليفة هدايا كثيرة . . . وطلب أن يقبل يد الخليفة فلم يجب ، فسأل أن يقبل خاتمه فأعطاه إياه فقبله ووضع على عينيه ، وأمره الخليفة بالعودة فعاد ... »^(٢)

يتألف ديوان الخليفة من وزير (ولم يكن له ذلك في العهد البويهى) ، وكاتب إنشاء ، وصاحب مخزن وكاتب زمام ، وقضاة وقاضي قضاة ، ونقباء وحجاب ، واستاذ الدار وصاحب الخبر والمحاسب وصاحب الظالم وأمر الحج ، والمشرف على خزانة الغلات وعمال دار ضرب وشهود ...^(٣)

يقيم الخليفة - كسابقه أيام بني بويه - في الجانب الشرقي من بغداد ، وداره تشرف على دجلة . ويظهر ان بغداد اكتسبت نفوذاً خاصاً ، فكان الخليفة إذا اراد أن يهدد ، هدد بالخروج عن بغداد ؛ ولما ضايق ملكشاه المقتدى ، اقترح عليه انتقاله عن بغداد إلى حيث يختار^(٤) . وحين قصد السلطان محمود لحرب المسترشد وبلغ الخليفة الخبر « عبر هو وأهله . . إلى الجانب الغربي . . مظهر الغضب والانتراح عن بغداد إن قصدها السلطان ، فلما خرج من داره بكى الناس . . فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه ... فأرسل يستعطف الخليفة ويسأله العودة إلى داره ... »^(٥)

وتألف « مالية » الخليفة مما يرث في قصره وإقطاعه في بغداد وواسط وغيرهما . وقد ضمنت سنة ٤٥٣ - مثلاً - أعمال الوكلاء التي لخاص الخليفة بستانة

(١) تنظر « النصرة » ١٠ - ومنها في البنداري ص ١٣ - ١٤ - ، وابن الاثير

(٢) ابن الاثير ط . الاستقامة ٨ : ١٤٣

(٣) ينظر الجامع المختصر ص ذ -

(٤) ابن الجوزي ٨ : ٢٩٢

(٥) ينظر ابن الاثير ط . الاستقامة ٨ : ٩٣ وابن الجوزي ٨ : ٢٢١

آلاف كر غله ومائة الف دينار...^(١) وضمن في هذه السنة ابراهيم بن علان اليهودي جميع ضياع الخليفة من واسط الى صرصر مدة سنة واحدة بستة وثلاثين الف دينار وسبعة عشر الف كر وسبع مائة كر^(٢). وكان بنو سلجوق يقدمون الى الخليفة الهدايا الكثيرة والعطايا الجزيلة في مناسبات شتى كالخطبة والزواج كما ان الخليفة قد يتقاضى مالاً من حاشيته^(٣)، وكان الوزراء حين يطلبون الوزارة « يبذلون فيها بذولا كثيرة »^(٤).

وتتألف مصروفاته من المرتبات والهدايا والخلع والولائم والسماطات والمهور وما يقطعه للوزراء وغيرهم^(٥). ولا يمكن القول بأن الخلفاء كانوا مبذرين لاهين، فقد غلب عليهم التقى والزهد وما قيل عن الراشد من انه شرب الخمر ليس بذى بال، لأنه مما أملاه السلطان العدو.

وكانت سلطة الخليفة الدنيوية « صفراً »، فلا يقدم أمراً ولا يؤخر، وكانت بغداد جزءاً من املاك السلطان^(٦) ولم يكن للخليفة « من الأمر إلا الاسم، لا يتعدى حكمه بابه ولا يتجاوز جناحه »^(٧). واذا قرأنا أن المقتدى كان من الخلفاء المصلحين وان أيامه « كثيرة الخير » فلا يعني ذلك أكثر من انه قد « عمر في عهده الجانب الشرقي من بغداد. وتقدم وزيره الى المحتسب ينفى المفسدات ويبيع دورهن فشهير جماعة منهن على الحمير مناديات على انفسهن، وأبعدهن الى الجانب الغربي » ومنع الناس من دخول الحمامات بدون مآزر وقلع الهوادي والأبراج ومنع اللعب بالطيور لأجل الاطلاع على سطوح

(١) ابن الاثير ط . الاستقامة ٨ : ٣٢١ سن ٥٢٠

(٢) ابن الجوزي ٨ : ٢٢٣

(٣) البنداري ص ٢٣

(٤) ابن الاثير ط . الاستقامة ٨ : ٩٣ سن ٤٥٤

(٥) ابن الجوزي ٩ : ١٠ سن ٤٧٧

(٦) ابن دحية

(٧) ابن دحية ص ٤٤

الناس ... ومنع الملاحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين»^(١) .
تمملت الخلافة قليلاً في عهد المستظهر ، وثار المسترشد والراشد على السلطان ،
وكانت الخيبة نصيب كل محاولة من هذا النوع لأن السلاطين كانوا على قوتهم ،
وكان لابد من انتظار عام ٥٤٧ حتى يقطع الخليفة نير السلطان .

لقد كان للسلطان السعوي في كل النفوذ الديني ، وكلما كان هذا السلطان
قوياً امتد نفوذه وزاد . وظلت رقعة المملكة تتسع وتتسع خلال حكم السلاطين
الثلاثة الأول : طغرل بك وألب أرسلان وملكشاه . ثم حدث النزاع العائلي
خلال حكم بركيارق ومن تلاه من التوسع وحال - فيما حال - دون الفتوح
الجديدة . ولم يكن خلفاء مسعود نفوذ يذكر .

وصحيح أن السلاطين حاجة شديدة إلى تأييد الخليفة ، ولكنهم
- مع ذلك - ومع أنهم سنة ، لم يكونوا أحسن حالاً مع الخلفاء من البويهيين .
ومنهم من آذى الخليفة ومنهم من حاربه ، ومن يدري ، لعل طغرل بك كان
يطمع بأشياء كثيرة حين « عمل المستحيل » في سبيل خطبة ابنة القائم ،
وكذلك كان السلاطين الآخرون يأملون حين يزوجون بناتهم للخليفة أو ابن
الخليفة حتى أن ملكشاه حين دخل بغداد في أوائل شوال سنة ٤٨٥ أُلزم
الخليفة أن يخلع ابنه الأكبر من ولاية العهد ويحمل جعفر ابن بنت السلطان
مكانه ويسلم بغداد إليه ويخرج الخليفة إلى البصرة^(٢) .

وكانت القاعدة أن يعين السلطان ولي عهده ويفقد هذا التمييز أنره إذا
كان ولي العهد ضعيفاً ووجد المنافس القوي ، فمع أن طغرل بك - مثلاً - نص على
سليمان بن داود ، أن ألب أرسلان هو الذي ولي الحكم^(٣) .

ولم يكن للسلطان في حقيقة الأمر مقر دائم ، فهو في حروب متصلة

(١) ابن الجوزي ٨ : ٢٩٣ وتنظر ص ٣٠٧

(٢) ابن خلكان ٢ : ٥٩٠

(٣) ينظر مثلاً ابن الجوزي ٨ : ٢٣١ - ٤٥٥

واسفار غير منقطعة وربما كانت أصفهان اول ما يذكر في هذا الباب « ومن السلاطين من أقام مدة قصيرة في الري أو في همدان . اما بغداد فقد كان للسلاطين فيها « دار المملكة » في الجانب الشرقي ، وكانوا يفضلون شتاءها ومتمها وملاذها - ولم يحدث لألب أرسلان أن دخلها . ولهم فيها من ينوب عنهم وهو « الشحنة »^(١) ، واشتهر من الشحن بهروز وكان لبهروز وزير^(٢) . وكان في بغداد لوزراء السلاطين وأمرائهم الكبار دور يسكنونها إذا قدموا بغداد^(٣) .

والقاعدة « ان السلطنة العظيمة تكون لملك العراق »^(٤) وهكذا جرت حتى « سنة اثنتي عشرة وخمس مائة » اذا انتصر سنجر على السلطان محمود « فانتقلت الى ملك خراسان »^(٥) وأصبح محمود وخلفاؤه تابعين لسنجر . وتتألف حاشية السلطان من الوزير (ونائب الوزير) والمستوفي والنشئ . والطغرائي وعارض الجند وصاحب الزمام والحاجب وأمير البار ووكيل السلطان ... والنواب والوكلاء والقاضي . والوزارة أهم مناصب المملكة^(٦) ، وقد اتسعت سلطة نظام الملك حتى امتدت إلى وزير الخليفة بعينه ويعزله كما يشاء ، وامتدت إلى السلطان نفسه . ويأتي بعد الوزارة ديوان الاستيفاء - وله الأمور المالية - واذا كان المستوفي مثل عزيز الدين أو مجد الملك فإنه يطغى على الوزير نفسه - والطغرائي ، هو صاحب ديوان الطغراء - وهي الطرة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الغليظ الجلي ومضمونها نعت الملك الذي صدر الكتاب عنه^(٧) وديوان الطغراء .

(١) كما يرد اسم العميد - عميد العراق ، والوالي

(٢) العماد ، خريدة بلاد المعجم

(٣) ابن الأثير ط . الاستقامة سن ٤٨٤ ، ٨٠ : ١٠٩

(٤) الحسيني (?) اخبار الدولة السلجوقية ص ٨٨

(٥) الحسيني ص ٩٨

(٦) لتدرج أهمية المناصب والدواوين ينظر البنداري ص ١٠٠-١٠١

(٧) والطغراء لفظة أعجمية . ينظر ابن خلكان ٢ : ٢٨٤ « الحسين ... الطغرائي »

ويأتون في معجم الأدباء « الحسين ... » ، ودائرة المعارف الاسلامية مادة طغراء .

يضم ديوان الرسائل والانشاء « ويتولى صاحبه شؤون الوزارة في الصيد^(١) .
والحرب أبرز مظاهر الحضارة السلجوقية ، والسلطان هو القائد الأعلى ،
يباشرها بنفسه « ومن عجائب العمليات الحربية قطع المسافات البعيدة » فيينا تسمع
أن الجيوش في الشام إذا بلغ خراسان ، وقد « غزا الب ارسلان جيحون
اول سنة ٤٦٥ على جسر مده وكان معه زيادة على مائتي الف فارس وعبر عسكره
النهر في صفر^(٢) » وتعددت أسباب الحروب ، ولم يتردد السلاجقة عن شنّها
- ولو لغير سبب - لأن « الحربية » خلق أصيل فيهم^(٣) . ولم تتورع الجيوش
الغالبية عن ارتكاب ما لا يرتضيه الدين وما لا يقره الخلق .

تكوّن الغنائم مصدراً مهماً للمالية السلطان ، تتبعه مصادر كثيرة أخرى ،
أهمها الضمانات والاقطاعات والضرائب والمكوس والمصادرة والاستصفاء
والأموال الجزيلة التي كان يتقاضاها ثمناً للمناصب ، ثم الهدايا^(٤) . ولم تكن
خزائنة المملكة لتتميز عن « جيب » السلطان ، وكان « خرج » ملكشاه في
السنة نحو عشرين الف دينار^(٥) . وأتلف السلطان محمود - فيما أتلف - أكثر
الثراء الطائل الذي ورثه عن محمد (١٨ ٠٠٠ ٠٠٠ دينار سوى الحلى والاحجار
الكريمة)^(٦) ولم يكن للعمال عند السلاطين قيمة ، فقد كان « النثار » في

(١) زبدة النصرة . ويتولى المشرف ديوان الاشراف ، وعلى كثرة تردد هذا الاسم ، انه
مما يصعب تحديد مهمته ، وربما كانت تتعلق بالمالية « تنظر حاشية هوتسا على مقدمته للزبدة
ص VIII » . وعن حاشية السلطان تنظر الزبدة ص ٩٤ ، ١٠٠ ، ١١٤ ، ١١٧ ،
ابن الجوزي ٨ : ٢٠٠ ، ابن خلكان ١ : ٥٨٨ .

(٢) ابن الجوزي ٨ : ٢٨٦ .

(٣) قال ابن حنبل وهو يتسكّم على طباع الترك ويبدأ بشجاعتهم « ... مطاعهم .
اللحم الذي لا يريدون به بديلاً .. ولا يستطيعونه الا ما كان اغتصاباً ... ثم عدم رغد
العيش في غارة تشن واقتدار يسن »

(٤) ينظر مثلاً : ابن الأثير وابن الجوزي وزبدة النصرة

(٥) ابن الجوزي ٩ : ٧

(٦) البنداري ص ١٤١ ومثله في أخبار الدولة السلجوقية عن العماد ص ٩٨

خطبة المقتدى - وهو ولي عهد - من ابنة ألب أرسلان . « جواهر »^(١) وكان
لسنجر في خراسان سلطة وسطوة ، وانه حين غلب على غزنة عام ٥٠٨ « حصل
لأصحاب سنجر من الأموال ما لا يحصى ولا يحصى ... وكان في دور ملوكها
عدة دور على حيطانها ألواح الفضة وسواقي المياه الى البساتين من الفضة أيضاً
فقلع من ذلك أكثره ونهب ... وفي جملة ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان
قيمة أحدها يزيد على ألفي ألف دينار وألف دينار ، والف وثلاثمائة قطعة ...
مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريراً من الذهب والفضة »^(٢)

وفي عام ٥١٥ « احترقت دار السلطان ... واحترق فيها من زوجة السلطان
محمود بنت السلطان سنجر ما لا حد له من الجواهر والحلى والفرش والاثياب ،
وأقيم الفسالون يخلصون الذهب وما أمكن تخليصه . وكان الجوهر جميعه قد
هلك إلا الباقوت الأحمر »^(٣)

ويجب السلاطين السلاجقة الملاهي ومزاولة الصيد ومعاقرة الحسان
والغلمان والخمور ... وربما اسهمت بعض خواتمهم في ذلك^(٤)
والسلطان ولآل السلطان - غير خزائن المملكة - خزائهم الخاصة مما
تدره عليهم اقطاعهم ، ولهم في ذلك المتصرفون من وزراء ومشرفين ، ولأم
السلطان وزير خاص .

ولم نقف « للسلاجقة » ما يحسن النص عليه في تنظيمات القضاء والشرطة
وميادين الصناعة والري ، ولكنهم عمّروا عدداً من القصور والأسوار
والمساجد ، وفي أصفهان - اليوم - من آثارهم جامع ضخم ذو أعمدة وأطواق^(٥) .
اما إدارة الولايات فكانت تناط بالملوك والأتابكة . والملك - كما يظهر - هو

(١) ابن الأثير سن ٥١٤ « = ط . الاستقامة ٨ : ١١١ »

(٢) ابن الأثير ١٠ : ٣٠٣ سن ٥٠٨ « = ط . الاستقامة ٨ : ٢٦٩ - ٢٧٠ »

(٣) ابن الأثير ج ١٠ سن ٥١٥

(٤) البنداري في زبدة النصرة

(٥) وعن بغداد في العهد السلجوقي وغيره ينظر الكتاب الذي سيصدر للدكتور مصطفى

جواد والدكتور أحمد نسيم سوسة عن « خطط بغداد » .

ابن السلطان أو أحد أقاربه^(١) ، وله في ولايته وزيره وظفرائيه ... ولا يمنع شباب الملك أو صباه من إسناد الولايات إليه ، لأن الأتابك - الأمير القيم - يراه (ويسيره) . وكثيراً ما سعى الأتابكة وراء مظالمهم الخاصة ، ومنهم من حرص ملكه على السلطان ، ومنهم من بلغت بهم القوة بحيث أعلنوا استقلالهم وكونوا ما يسمى بالأتابكيات .

(٣) الامارات العربية

الامارات العربية قوى ذات بال و « منظمات » لها آثارها البارزة في الحياة السياسية والادارية والاجتماعية والأدبية . وأهم هذه الامارات : إمارة بني مزيد في النيل والحلة ، وإمارة بني أبي الجبر في البطائح^(٢)

بنو مزيد :

وبنو مزيد من بني أسد ، نزحوا عن خوزستان على أثر خلاف عائلي ، بقيادة علي بن مزيد ، وحلوا عام ٤٠٥ في النيل - عند بابل . وعندما ما توفي

(١) لم يحاول المؤرخون والكتاب أن يحددوا مدلول « ملك » ، فقد يطلق على بعض أمراء العرب ، وقد يطلق على السلطان نفسه أو وزير السلطان - والخليفة أحياناً . والسكمة تستعمل - في هذه الحالة ويقصد بها مطلق المعنى وليس حرفية الاصطلاح . ولا بأس بمراجعة أبي البقاء ، المتأقبات المزبودة ج ١ و ٤ ب .

(٢) ومن القبائل المشهورة : خفاجة ، ولكنها لم تبلغ في الإمارة ما يؤهلها هنا لدراسة خاصة . وترد أخبارها في ابن الجوزي وابن الأثير وغيرهما . وأكثر ما تذكر ، عند الباب والغزو والتخريب .

ومن الامارات ذات الأهمية الخاصة ، إمارة بني منقذ في شيزر قرب حماه في الشام . تنظر عنها دائرة المعارف الاسلامية ، والمهاد في الخريدة مج ٣ الورقة ٩٨ أ - ١١٧ أ ، ابن الأثير سن ٥٥٢ خاصة ، أبو الفداء - ٣ ص ٣٢ - ٣٤ ، ابن خلكان ٢ : ٥٧٧ - ٥٨٠ (المقتل) ١٤ : ١٠٠ (السيرة) ابن خلدون ج ٤ ، زامبور ص ١٣٥ . وإمارة بني عقيل في الموصل : ينظر عنها المهاد في الخريدة مج ٣ ، ابن الأثير ، ابن الجوزي ، ابن خلكان ، ابن خلدون ج ٤ ، زامبور ص ١١٦ .

علي سنة ٩٠٨ خلفه في الرياسة ولده ديبس حتى توفي سنة ٤٧٤ ، وحينئذ خلفه ابنه منصور الذي توفي عام ٤٧٩ تاركا الامارة لابنه صدقة .

وصدقة أخطر شخصية مزيدية ومن أخطر شخصيات زمانه ، حاز لقب ملك العرب وسيف الدولة ودانت له بلاد واسعة تضم البصرة والبطائح وواسطا والكوفة وعانة والحديثة والأنبار . وهو الذي شيد الحلة عام ٤٩٥ واتخذها مقره فأصبحت مركزاً حضارياً له أهميته في حياة العصر .

قتل صدقة عام ٥٠١ على أثر مصاف وقع بينه وبين السلطان محمد لأسباب أهمها اتساع نفوذه وقوة شخصيته . وعندما غلبه السلطان وزع ملكه أقطاعاً أقطاعاً ومكن للأكراد فيها . وعمل ابنه ديبس (الثاني) على استعادة الامارة وشغل مكاناً مهماً في تاريخ عصره ، وعرف بكثرة حروبه حتى انه ثار أكثر من مرة على الخليفة المسترشد ، إلى ان دبر عليه السلطان مسعود مؤامرة ادت الى قتله عام ٥٢٩ . إن كثيراً من أفعال ديبس الحزبية لا تدل على اتزان أو رصانة . حكم بعده ابنه صدقة (الثاني) إلى أن قتل عام ٥٣٢ خلفه أخوه محمد الذي دفعه أخوه علي عن الامارة وهياً لنفسه نفوذاً كبيراً وأعلن استقلاله وامتنع عن ذكر اسم السلطان في الخطبة . وظل هو والسلطان بين أخذ ورد حتى توفي عام ٥٤٥ بأسد آباد « واتهم طيبيه بالمواطاة عليه » . ولم يعد لأسرته بعده كيان يذكر ، وظلت الحلة يتنازعها السلاطين والأمراء والخلفاء حتى اذا « بويغ المستنجد ، وكان في نفسه شيء من بني مزيد لاجلابهم على بغداد ... أمر بقتالهم وإجلأهم ... وجهد ابن معروف - مقدم المنتفق في أرض البصرة - في قتالهم وسد مسالكهم في الماء ، فاستسلموا ، فقتل منهم أربعة آلاف ، ونودي عليهم بالجلأ من الحلة فافترقوا في البلاد ، ولم يبق منهم في العراق من يعرف ، وسلمت بطائهم وبلادهم إلى ابن معروف والمنتفق وانقرضت دولة بني مزيد » (١) .

(١) أم مصادر بني مزيد : العهد في الحريدة ، قسم العراق (وتظهر النصرة أو زبدة =

بنو أبي الجبر :

ليثيون^(١) ، سكنوا البطائح - بين البصرة وواسط - وكانت لهم ولاية البطيحة فيما قبل القرن الخامس وبعده . وكان أبو علي بن أبي الجبر متقدماً في بعض نواحي البطائح ، وقد عصى أيام طغرلبيك وهزم الجيش الذي أرسله السلطان لحربه .

ويذكر ابن الأثير أن « المصطنع إسماعيل ... واختص محمدآ ... أخوان ، وهما ابنا أبي الجبر ، وكانت إليهما رياسة أهلها وجماعتها ، فهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر ... مقامه ، وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه ، وصاراً ينازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاقلانه إلى أن أخذه مهذب الدولة أيام كوهرائين ... فعظم أمر مهذب الدولة وصيره كوهرائين أمير البطيحة فصار ابن عمه وجماعته تحت حكمه » .

وفي شوال سنة ٤٩٧ ضمن صدقة مهذب الدولة مدينة واسط لمدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار ، وأقام مهذب الدولة بواسط إلى سادس ذي القعدة ، وانحدر إلى البطيحة واستناب في الأعمال أولاده وأصحابه ،

(= النصرة) ، ابن الجوزي في المنتظم ٩ - ١٠ ، ابن الأثير في الكامل ج ٩ - ١٠ (وعنه ابن خلدون ج ١٤ ، ابن خلكان (ترجمة صدقة وديس) ، ياقوت في معجم البلدان (الجامعين ، النيل ، حلة ...) ، السمعاني في الأنساب ، وينظر تجارب السلف لابن هندوشاه (ط . طهران) كما ينظر ديوان مهباز الديلمي ودائرة المعارف الإسلامية ، ولسترنج في بلدات الخلافة الشرقية والملحق الذي عمله شفر لترجمة سياستنامه ، ومختصر المستفاد في تاريخ بغداد لجبرائيل صفر (مخ . في مكتبة المتحف العراقي) ، ومختصر تاريخ الحلة للشيخ يوسف كركوش ، أبو البقاء ، المناقب الزيدية .

(١) أكثر أخبارهم في الخريدة (قسم العراق) ، اشارات في ابن الجوزي ج ١٠ ص ١٦٨ مثلاً ، وابن الأثير ج ٩ - ١٠ (= ط . الاستقامة ٨ : ٢٠٩ - ٢١٠ سن ٤٩٥ : ٨ : ٢٢٢ ، سن ٢٩٧ : ٨ : ٣٠٧ - سن ٥١٦) وعن الكامل ابن خلدون ج ٤ ص ٥١١ ، زامبور ٢ : ٢٠٩ . أخبارنا عن بني أبي الجبر قليلة جداً ، وهذا الذي نذكره أم ما نعرفه عنهم .

فدّوا أيديهم في الأموال وفرطوا فيها وفرّقوها ، فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى في خلاصه بدر بن صدقة - وهو صهر مذهب الدولة - فأخرجه من السجن وأعادته إلى بلده البطيحة . وضمن حماد بن أبي الجبر واسطا فأنحل على مذهب الدولة كثير من أمره .

كان حماد شاباً فأكرمه مذهب الدولة وزوجه بنتاً له ، وزاد في اقطاعه فكثرت ماله وصار يحسد مذهب الدولة ويضمر بغضه ، وقد جرّته ذلك إلى عدة منازعات وحروب كان يقود جيش المذهب فيها ابنه النفيس - انتصر في بعضها حماد بمعونة صدقة . وفي ذي الحجة سنة خمسائة وقع الاتفاق ، ولكنّ العداءة ظلت قائمة ، وانتقلت إلى الأبناء . وبهذه العداءة قتل المظفر بن حماد بن أبي الجبر نصر بن النفيس بن مذهب الدولة أحمد بن أبي الجبر وتغلب على البطيحة وتمكن من الإمارة وزاد من هيبتها إلى أن قتله عام ٥٥١^(١) أحد أحفاد مذهب الدولة - دون أن يحول بين ابن المظفر والإمارة^(٢) .

(٤) المجتمع

يحتل القادريون من بني العباس ، وعلى رأسهم الخليفة ، المنزل الأول في المجتمع^(٣) ، ولا بد للخليفة من الوقار^(١) ، ومنذ العصور الأولى للخلافة العباسية كان أهلها « طبقة مقفلة » لا يتحدث الآخرون بالزواج من بناتها ، ولكن طفرلبك حاول كسر هذه القاعدة بزواجه « الاسمي » من ابنة القائم^(٥) « وهذا ما لم يجر لاحد قبله ، فان بني بويه مع تحكمهم ومخالفتهم

(١) ابن الجوزي ١٠ : ١٦٨

(٢) ثم صار أمر البطيحة لبني معروف في أواخر المئة السادسة (ابن خلدون : ٥١٢ : ٥١٢)

(٣) ابن الأثير سن ٤٥٤ ص ١٢ - ١٤ ، سن ٤٥٠ ص ١٥ - ١٦ من الجزء العاشر

(٤) ابن الجوزي ٨ : ٢٩٢ « ... سوام من الأسرة محالط للعوام وجار مجرى السوق » .

(٥) تنظر زبدة النصرة ، ابن الأثير ، ابن الجوزي ، سيدات البلاط العباسي ص ١٠٨ - ١٣١

لعقائد الخلفاء لم يطعموا في مثل هذا ولا ساموهم فعله»^(١). أما الخلفاء انفسهم وكانوا يتزوجون من يشاؤون . وقد تزوج القائم أرسلان خاتون بنت داود السلجوقي^(٢) ، وتزوج المقتدي - وهو ولي عهد - بنت ملكشاه^(٣) ، بينما تزوج المستظهر بنت ملكشاه الثانية : وكان المقتدي نفسه ابن جارية أرمنية اسمها أرجوان^(٤) .

ولا يعني « الشرف » الثراء ، فلم يكن الخليفة وآله من كبار الأثرياء ، ولا سيما اذا قوبلوا بالسلطين والملوك والأمرء وغيرهم ، فلقد كان الرجل الأغنى هو الأكثر نفوذاً وسلطة ، فكأن القاعدة العامة انه متى ما تمكن إنسان من السلطة لم يعد يفكر في غير جمع المال بكل وسيلة ، ولا أسهل من المصادر - مثلاً .

ثم إن الحدود الطبقية - مهما تبلغ ، لم تكن لتعوق الطمع من أهل الطبقات الدنيا ، من أمثال الكندري ونظام الملك وابن هبيرة ، من أن يبنوا مجدداً جديداً يضاهي الأعجاد التليدة أو يبرزا .

ولم تكن تلك الحدود بالمتميزة ، ومع هذا ، من الممكن ان ننسب الى الطبقة المتوسطة العمال وقادة الجيوش والتجار والأطباء ورجال الدين والتعليم والأدب . ومن التجار من تخوله أمواله مكانة غريبة في المجتمع ، ومن أولئك اليهودي الذي سارت البصرة كلها خلف نعش زوجته^(٥) . ومن الأثرياء من كان يبذل في طرق الاحسان ، وعرف من هؤلاء عبدالمك بن محمد بن يوسف أبو منصور الملقب بالشيخ الأجل : « كان أوحده زمانه في فعل المعروف

(١) ابن الأثير ١٠ : ١٢ : سن ٥٤٤

(٢) ابن الأثير وغيره ، سادات البلاط العباسي ص ١٠٠ — ١٠٧

(٣) ابن الأثير سن ٤٦٤ ، سادات البلاط العباسي ص ١٣٩ — ١٤٥ ، وعن زوجة

المستظهر ينظر ابن الأثير وابن الجوزي وسادات البلاط العباسي ص ١٤٦ — ١٥٠

(٤) ابن الجوزي ٨ : ٢٩٢ ، سادات البلاط العباسي ص ١٣٢ — ١٣٨

(٥) سوى القاضي ، ابن الجوزي ٨ : ٣٢٣ : سن ٤٧٢

والقيام بأمر العلم ... وافتقاد المستورين بالبر ودوام الصدقة ... تولى المارستان
المعصدي وهو لا يوجد فيه دواء ولا طبيب والمرضى ينامون على بوازي ...
فطبقه ... ورتب فيه ثمانية وعشرين طبيباً وثلاثة خزان وابتاع له أملاً كافيساً^(١).
وأما العامة - وهم السواد الأعظم - فكانوا مادة الجيش ومنهم الفعلة
والصناع والفلاحون ، وكانت كلمة « عاوي » و « سوقي » سبة^(٢). ولعل مرد
ذلك ما كان عليه هؤلاء من جهل وفقير - وسوء سلوك أحياناً . هذا إلى ما في
نفوس « السادة » من شعور بالتفوق والعظمة . وكان هؤلاء العامة أشد من
سواهم تعرضاً للأوباء والفيضانات ، والغلاء الذي كثيراً ما اشتد فحمل الناس
على أكل الحشيش^(٣) والنخالة^(٤) وغيرها . وليس غريباً أن تتشوق العامة إلى
العدالة وأن تكبر العاديين : ومن ذلك ما ذكر عن أبي شجاع وكان وزيراً عادلاً
« لم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين والشرعية مثله » ، فلما عزله المقتدى
عام ٤٥٤ وخرج من داره إلى الجامع ماشياً يوم الجمعة « انثالت العامة عليه
تصاخفه وتدعوله »^(٥) . والعاطفة الدينية من أهم ما يحرك العوام ، ولهذا نراهم
سنة ٤٦١ حين عول الخليفة في الوزارة على أبي الحسن بن عبد الرحيم ثاروا
« وقالوا لا طاقة لنا من ظلمه بورود الجحيم »^(٦) فكانوا من الأسباب التي حملت
الخليفة على أن يعدل عنه . وكان اللجوء إلى الاكثار من الدعاء ليلاً ونهاراً
من وسائلهم في الاستغاثة إذا اشتد الظلم - ولو كانت الظالم شحنة مثل
منكبرس^(٧) . وتدينهم هذا هو الذي جعل عواطفهم إلى جانب الخليفة إذا

(١) ابن الجوزي ٨ : ٢٥٠ - ٢٥٠ سن ٤٦٠ ■ ابن الأثير (ط . الاستقامة ٨ : ١٠٦ ،

ويقرأ مثل هذا في نصرة المهاد و ٢٥ ب وتتمتها في ٢٨ أ ، وينظر ديوان صردس ١٣٥

(٢) ينظر ابن الجوزي ٨ : ٢٩٢ وتنظر زبدة النصرة .

(٣) مثلاً : ابن الأثير سن ٥٠٢

(٤) مثلاً : ابن الأثير سن ٥١٢ (ط . الاستقامة ٨ : ٢٨٤) .

(٥) المهاد في الحريدة . قسم العراق . مط . ٧٨ وتنظر زبدة النصرة .

(٦) المهاد ، النصرة و ٢٨ ب

(٧) ابن الأثير ١٠ : ٣٧٨ سن ٥١٢

هاججه السلطان . وهم حاضرون للبكاء اذا اشتدت تهديدات السلطان ^(١) .
هذه أخلاق عامة المدن ولاسيا بغداد . أما الأعراب وكأن « اللفظة »
لم تكن تشملهم . فلم يبرهنوا على إيمان رسيس ، وهم مستعدون لأول فرص
النهب والاغارة ^(٢) .

والعيارون - وفيهم المدني وغير المدني - طراز آخر ، تمتد جذوره لعصور
سبقت العهد السلجوقي ، ومن درس العصر البويهي عرف خطرهم . وهم على
أي حال « مظهر اجتماعي ذو أساس اقتصادي ، يلبس أحياناً لبوساً دينياً ،
وطوراً سياسياً ، ولا يمكن لباحث الاسباب في دراستهم ، لندرة أخبارهم ،
ولأن هذا القليل الذي وصل إلينا لا يبين وجهة نظرهم هم » وإنما يبين وجهة
نظر المؤرخين الذين رأوا فيهم سراقاً وقتلة وفساقاً ^(٣) ، ويفهم من روح هذه
هذه الأخبار أن كلمة « عيار » كانت سبة في العصر ، وكان العيارون حاضرين
لالنهب ، فما تكاد تسنح فرصة يختل فيها الأمن حتى « يزداد أمرهم وتكاثروا
كبساتهم » ^(٤) ، « وراحوا يقصدون أرباب الأموال ظاهراً ويأخذون منهم
ما يريدون ويحملون الأمتعة على رؤوس الجمالين » ^(٥) . وأكثر ما كان يفضل
العيارون من بغداد ، الجانب الغربي ، وربما حملوا الشرطة على تركه ، وربما
عجزوا الشجن ^(٦) . ولكنهم لم يقتصروا على بغداد . فكانوا - مثلاً - في
نيسابور ^(٧) وفي همدان حيث قتلوا مرة « العميد وسبعائة رجل من أصحاب

(١) ابن الجوزي سن ٥٢٠ وينظر الكامل ١٠ : ٤٥٥

(٢) ينظر مثلاً : ابن الجوزي ٩ : ١٦١

(٣) ابن الجوزي ٨ : ٧٣ ، ٤٤ ، ٦٦ ، ٧٥ . وينظر ابن الأثير .

(٤) ابن الجوزي ١٠ : ٨٦ سن ٥٣٤ وغيرها .

(٥) ابن الأثير سن ٥٣٠ ج ١١ : ٢٩

(٦) ابن الجوزي ٩ : ١٣٧ سن ٤٩٧

(٧) ابن الأثير ١١ : ١١١ سن ٥٤٨

الشحنة»^(١) . ويظهر أنهم كانوا يجتذبون إلى جانبهم عدداً من آل العناصر الحاكمة مثل والد الوزير وأخي امرأة السلطان أو ابن عمه^(٢) . وما كان ذلك ليجديهم كثيراً ، لأن الشدة في معاملتهم أساس في الحكم ، ولو أدى ذلك إلى صلب هؤلاء « الآل »^(٣) ، يصلبون كما يصلب العشرات ، وكما يقتل المئات ممن « يتعاطى » العيارة ويشتد أمره ويسقط في يده^(٤) .

والمعلومات القليلة التي بين أيدينا تدل على أن العيارين كانوا يطعمون بما هو أكثر من السلب والنهب ، فقد كانت لهم منظمات ، وكان لهم رؤساء ، نعرف منهم « البرجي » وقد ثاروا « عام ٢٢٤ في جامع الرصافة ببغداد ورجوا الخطيب والقاضي قائلين : إما أن تذكر اسم البرجي في الخطبة أو أنك لا تذكر اسم الخليفة والملك » . وفي عام ٥٣٢ « عظم أمر ابن بكران العيار ببغداد والعراق وكثر أتباعه . وصار يركب ظاهراً في جمع من المفسدين . . . وخافه الشريف أبو السكرم الوالي ببغداد . وكان ابن بكران يكثر المقام بالسوادة ومعه رفيق له يعرف بابن البزار فأنتهى أمرهما إلى أنهما أرادا أن يضربا باسمهما سكة في الأنبار ولكنهما قتلا »^(٥) . ومع هذا فقد نجد العيارين منقسمين إلى سنة وشيعة ، وقد تجدهم يحاربون إلى جانب الخليفة كما حدث عام ٥٢١ يوم ناصروا المسترشد^(٦) .

ويبدو التنظيم أوضح عند « الفتوة » . ويكاد يكون كل ما نعلمه من أمر هذه الجماعة السرية : أنهم « يدعون » العمل على نشر الفضيلة ، وأنهم كانوا

(١) ابن الجوزي ٨ : ٢٣١ سن ٤٥٥

(٢) ابن الأثير ١١ : ٥٩٠ سن ٤٣٦ (= ط. الاستقامة ٩ : ٥) ، ابن الحوزي

٩٥ : ١٠

(٣) ابن الأثير ١١ : ٦٣ سن ٥٣٨ ، ابن الجوزي ١٠ : ٩٥

(٤) ابن الجوزي ١٢ : ٧٢ سن ٥٣٢

(٥) ابن الأثير ١١ : ٤٢ سن ٥٣٣ وتنظر ٩٥

(٦) ابن الجوزي ٨ : ٧٩٤ ٦٢ وتنظر ص ٧٥ ، ٧٢

على صلة وثيقة بمنظمات الفتوة في الأقطار الأخرى كفاطمية مصر - مثلاً .
ويظهر أن هذه الحركة كانت ذات نظام محكم ، وقد ألف أحد رؤسائها ،
ابن الرسولي الخباز ، كتاباً في « قواعد الفتوة وفضائلها » - ولم يصل إلينا
الكتاب . ثم إن عميد الدولة قد قبض على عدد من الفتيان . وكانت الفتوة
تتخذ ذريعة إلى المصادرة ^(١) .

ومن الباحثين من يجعل الفتوة والمبارين شيئاً واحداً ^(٢) .
وأشد خطراً من الفتوة والمبارين حركة الباطنية ، وهي شديدة الصلة
بالعامل الاقتصادي . ويقول الباطنيون إنهم إسماعيليون ، وأنهم يتميزون
بهذا الاسم وبشخصية إسماعيل بن جعفر الصادق ^(٣) . ويسمون - كذلك -
بالقرامطة . وكان عددهم ضخماً ، ولا سيما في الري وأصفهان وخراسان .
وكانوا يمتلكون القلاع الحصينة - اشتهرت منها الموت . وقد أثبتوا في
ثوراتهم المتعددة على كثير من القوة والاقدام والشدة والتمسك بالمذهب ^(٤) .
كانت صلاتهم المتينة بالفاطميين مما لا يشك فيه ، وقد قصد عدد من
رؤسائهم مثل ابن عطاءش والحسن بن الصباح مصر وأقاموا فيها مدة .
ولمذهبهم جوانب متعددة منها الديني ، ومنها الفلسفي ومنها الاجتماعية
ومنها الاقتصادي . وقد ذكر نظام الملك وهو يقص تاريخهم أنه : « كان
مزدك أول شخص بث في العالم الأديان الفاسدة ... فقد وضع الاملاك مشاعاً
وقال إن الأموال يجب أن توزع بين الناس .. حسب الحاجات بحيث لا
لا يبقى معدماً ... » ^(٥)

(١) ابن الجوزي ٨ : ٣٢٦-٣٢٧ (٢) كما فعل الدكتور مصطفى جواد في محاضراته
التي القاها في المجمع العلمي العراقي وسيتمضمها المجلد الخامس من مجلة المجمع . وينظر القشيري في
باب الفتوة . (٣) الشهرستاني ١ : ١٤٧ (٤) راجع لويس وكتاب الدوري
« دراسات في العصور العباسية المتأخرة » ودائرة المعارف الإسلامية .
(٥) نظام الملك سياست نامه ص ٢٤٣ ، وهذا مما دفع المحدثين لدراسة التفسير
الاجتماعي والاقتصادي للإسماعيلية والانتها بها الى نوع من الشيوعية . ينظر لويس في
الفصل الرابع « والدوري ص ١٧٩ - ١٨١

ولم تصل إلينا آثار الباطنية بشكل يسمح باستيفاء بحثهم . ولم تصل المؤلفات والرسائل التي ألفها ابن عطاش^(١) ولا تلك « المدارج من كتب الباطنية التي وجدت عند قاضي عكبرا »^(٢) ولكنهم يظهرون في كتب التاريخ المعروفة - وهي معادية - سفاكين ، نهايين ، « فوضويين » ، مجاننا وملاحدة . على أن الباطنية تظهر للناس أول ما تظهر بثوب ديني ، وعن طريق الدين تستهوي الناس .

والمجتمع إسلامي قبل كل شيء . و« السنية » مذهب « الرسمي » والحنفية مذهب الخلفاء والسلاطين والوزير الكندري ، ولكن الشافعية لم تلبث أن « استبدت » وكان نظام الملك من أعظم معتنقيها والمدافعين عنها والعاملين على تأسيس مدارسها . وللحنابلة أثرهم البين^(٣) . أما المالكية فلا يكاد يحس لهم وجود . وكان النزاع عنيفاً بين هذه المذاهب ، كالذي حدث بين الشافعية والحنابلة في بغداد ، وفي غيرها^(٤) ، كالذي حدث في نيسابور عام ٤٨٩ هـ إذ وقعت الفتنة ... فقتل بينهم قتلى كثيرة ... وكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخرت موارد^(٥) . وكان المعتزلة يلقون عنقاً ، وينسبهم الناس إلى الكفر ، وكانوا يلعنونهم في الجوامع . وكادوا يقتلون أحد مدرسيهم^(٦) وهو أبو علي محمد بن عبدالله بن أحمد بن الوليد ، وكان يدرس علم الاعتزال وعلم الفلسفة ، والمنطق فاضطره أهل السنة إلى أن لزم بيته خمسين سنة^(٧) .

(١) الجوزي ٩ : ١٥١

(٢) ابن الجوزي ٩ : ٢٥٠

(٣) يقول ابن الجوزي - وهو حنبلي - ٨ : ٣١٢ : « كان مذهب ابن حنبل الغالب

في بغداد » .

(٤) كان الوزير الكندري شديداً على الشافعية وأكابر فقاتلها .

(٥) ابن الجوزي ٨ : ١٧٨ سن ١٨٩

(٦) ابن الجوزي ٨ : ٢٣٥ سن ٤٥٦ . وينظر ٨ : ٢٤٨ - ٢٤٩ سن ٤٦٠ ،

ص ٢٥٤ سن ٤٥١

(٧) ابن الجوزي ٩ : ٢٠ ، وقد توفي ابن الوليد سنة ٤٧٨ ، وابن الجوزي شديد

في كلامه على المعتزلة كأن يقول وهو يتكلم على ابن الوليد « ولم يكن عنده في الحديث =

والصوفية منتشرة ، وكثيراً ما اتصلت بالشافعية ، وكانت لهم شعائرهم ومدارسهم ومشايخهم وربطهم ، ومن يتصفح التواريخ التي عنت بالعصر فسيقرأ كثيراً : أن فلاناً تصوف وأن فلاناً شيد رباطاً ، وثالثاً وقف ... ورابعاً اعتزل الناس ، وقد أعلن نظام الملك بأنه صوفي^(١) . وإلى جوار المتصوفة ، كان الزهاد الذين تجنبوا مغريات الحياة ، وقنعوا بالكفاف - دون أن يخطرخوا في صفوف المتصوفة .

وكانت الشيعة منتشرة كذلك ، وكان منهم في خراسان وفي استراباذ والري وطوس ... ويكثرون في كرخ بغداد ، تحوطهم فيه - إذا قبلنا رواية ياقوت - محلات سنية مثل باب البصرة ونهر القلائن وباب المحول^(٢) . وكانت المنازعات بين السنة والشيعة تكاد تكون متصلة ، وفي الكرخ خاصة ، وكانت الشعائر من الأسباب المباشرة في ذلك^(٣) .

ومن الشيعة الزيدية « وكان لهم في الري - مثلاً - مفتيهم ومقدمهم^(٤) . وصحيح أن البوهميين كانوا شيعة ، وأن السلاجقة سنة ، إلا أن الملاحظ هو أن الأسرة الحاكمة وذويها من السلاجقة لم يزجوا أنفسهم في النزاع وقد يقفون إلى جوار الشيعة ، ومنهم من كان يزور - إذا قصد العراق - مشهد موسى بن جعفر كما يزور مشهد أبي حنيفة^(٥) .

== سوى حديث واحد سمعه من شيخه ... هو ... إذا لم تستحي فاصنع ما شئت ، فكانت لهم لم

يستحييا من بدعتها التي خالفها السنة « ٩ : ٢٠ وينظر ٩ : ٨٩ سن ٤٨٨

(١) ابن خلكان ١ : ٢٧ (الحسن) .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ٤ : ٢٥٥ (كرخ)

(٣) كانت الشيعة تقصد موسى الكاظم ، وكان من عاداتهم النوح يوم عاشوراء ، وكانت

السنة تقصد الزبير ، ينظر مثلاً : ابن الجوزي ٨ : ٤٣٩ سن ٤٧٨ ، ابن الأثير (ط .

الاستقامة) ٨ : ٥٣ سن ٤٤١

(٤) ابن الجوزي ، سن ٤٤٩ (الكيا يحي)

(٥) مثلاً ، ابن الجوزي ٩ : ٢٩٤ سن ٤٧٩

وكتب نظام الملك حين بلغته أخبار الفتنة بين الحنابلة والشافعية في بغداد : « وليس

توجب سياسة السلطان وقضية المعدلة أن يميل في المذاهب » . ابن الجوزي ٨ : ٣١٢

وعاش الى جوار المسلمين عدد من النصارى واليهود ، ولم يتسع المجال أمامهم لمزاولة السياسة أو الحرب . ومن المسيحيين من اشتغل بالطب والصيدلة ومنهم من شغل الكتابة ، بينما يفضل اليهود التجارة والضمان . ولا يمكن القول بأن غير المسلمين كانوا يتمتعون بحريتهم كاملة في إقامة شعائهم وشغلهم المناصب .

اما من الناحية « العنصرية » فقد كان المجتمع مؤلفاً من عرب و فرس وأتراك وديلم وأكراد وأنباط ، وليس من الغريب أن يفار العربي على العربي وأن يميل الجنس إلى الجنس ، ولكن من العيب أن نبحت وراء هذه العاطفات عن منظمات تقوم على أساس عنصري بشكل شعوبية أو ما يشبه الشعوبية . وكما تعددت الأجناس ، تعددت الألسن . وقد بلغت الفارسية في هذا العهد حظها من الازهار ، وكان لها شعراؤها الكبار امثال اسدي وناصر خسرو وقطران ومسعود وخيام ونظامي وسنائي وعطار . ولكن العربية ظلت اللغة السائدة وإن جهلها جمهور الأتراك وعدد من السلاطين .

(٥) خطوط الحياة الثقافية

كان الخلفاء ومن إليهم من الأتارب والحاشية على حظ غير قليل من الثقافة ، وقد وجد بينهم المتفقه والمحدث والأديب وقائل الشعر ، وكذلك الشأن في حاشية السلطان ، اما السلاطين أنفسهم ، ومن مت إليهم من السلاجقة بسبب ، فلم يكونوا على مكان يلحظ ، اللهم إلا ما قيل عن محمود من حفظه الأشعار ، وما نسب إلى بعضهم من أبيات فارسية^(٢) ، وما روي عن قتلمش من تعلمه علم النجوم .

وحملة المعرفة الحقيقيون هم الفقهاء والمحدثون وعلماء اللغة والنحو والأدباء

(١) ينظر مثلاً عوفي ، برون (ترجمة الشواربي) ، شفق (ترجمة محمد مومني هنداوي) .

(٢) ينظر كتاب كوزيده - مثلاً

والشعراء وكان للطباء والفلكيين صلة واضحة بالأدب ، وفيهم من زاول النظم .

والعامة جاهلة ، ولا بد من أنهم كانوا يفيدون شيئاً من مجالس الوعظ ، ومن الممكن جداً أن يكون بينهم من شدا مبادئ القراءة والكتابة والحساب ... والتاريخ ، ومن حفظ الشعر ورواه^(١) .

وأول وسائل التعليم هو المكتب ، وكثيراً ما نلتقي في المصادر كلمة « معلم » أو « مؤدب » أو « معلم الأدب » ، وكانت المساجد دوراً لدراسة الفقه والحديث والأدب واللغة ، حيث يجتمع التلاميذ على نصف دائرة حول استاذهم ويحتل الأملع فيهم المسكان الأقرب من استاذهم^(٢) . ومن الناس من يقف جزءاً من املاكه على طلبة العلم . ومنهم من يخصص مدرسة لليتامى^(٣) أو أن يختص هو نفسه بتعليم الأيتام^(٤) .

وكان الحادث الأكبر في العصر تأسيس المدارس النظامية - لخدمة المذهب الشافعي - في كل زوايا البلاد^(٥) . ونظامية بغداد التي افتتحت في ١٠ ذي القعدة من سنة ٢٥٩ هـ أهم هذه المدارس^(٦) . وهي تهيء للطلاب حاجاته من سكن وما الى السكن ، وتقدم له أربعة أرطال من الخبز في اليوم^(٧) . وقد بدى بعمل المدرسة النظامية في ذي الحجة من عام ٢٥٧ هـ ونقض لأجل بنائها بقية الدور الشاطئية بمشرفة الزوايا والفرضة وباب الشعر ودرب الزعفراني^(٨) .

(١) ابن الديبى ٢ : ٩٣ سن ٥٥٧

(٢) ابن الجوزي ٨ : ٨٩ وتنظر ص ٩٣

(٣) زبدة النصرة ص ١٣٧

(٤) الخريدة ٤ مج ١

(٥) ابن الأثير ، الاتابكة ص ١٩ ، أسسها الوزير نظام الملك . ومن لقبه جاءت التسمية

(٦) ينظر عنها ابن الجوزي ، ابن الأثير ، زبدة النصرة .. ومن الكتابات الحديثة :

دائرة المعارف الاسلامية ، أسعد طلس ، مصطفى جواد في المعلم الجديد وتقيسي في مجلة المجمع العلمي العراقي .

(٧) ابن الجوزي ٨ : ٢٤٦

(٨) ابن الجوزي ٨ : ٢٣٨

وفي السنة التي بوشر فيها بتشيد النظامية وصل بغداد شرف الملك أبو شجاع محمد ابن منصور مستوفي السلطان ، وكان حنفياً شديداً في حقيقته ، فشيّد مدرسة عند قبر أبي حنيفة ^(١) . بينما بنى منافس نظام الملك وغيره تاج الملك أبو القنائم المرزبان بن خسرو مدرسة في بغداد بباب أبرز عرفت بالتاجية ^(٢) .

وطبيعي أن تلحق بالمدارس مكاتب ، وقد كان للنظامية مكتبة كبيرة ^(٣) ، وكانت المدن تضم عدداً من دور الكتب العامة التي تحتوي على احسن المجلدات ^(٤) ، وذلك زيادة على ما فيها من مكاتب خاصة . وقد ورث العهد السلجوقي دور كتب سابقة عليه مثل دار سابور ^(٥) ودار في البصرة أحرقت عام ٤٨٣ - وهي أول دار كتب عملت في الاسلام ^(٦) . ومن المحسنين من كان يقف المكتبات لطلاب العلم « وفي رجب - من عام ٤٥٢ وقف أبو الحسن محمد بن هلال الصابي دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة

(١) ابن الجوزي ٨ : ٢٤٦ ، وعلى ٨ : ٢٤٤ - ٢٤٥ سن ٤٥٩ تقرأ أنه ... في هذه الأيام بنى أبو سعد المستوفي الملقب شرف الملك مشهد أبي حنيفة ، وعمل لقبره ملبناً وعقد القبة وعمل المدرسة بازائه وأنزلها الفقهاء ورتب لهم مدرسا ، فدخل أبو جعفر البياضى للزيارة فقال ارتجالاً :

ألم تر أن العلم كان مشتتاً فجمع هذا المنيب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة فأنشرها فضل العبد أبي سعد

وينظر ابن الأثير (ط . الاستقامة) ٨ : ١٠٥ سن ٤٥٩ ، وابن خلكان ٣ : ٧٩ (نعيان) ويرى الدكتور مصطفى جواد أن الدراسة في هذه المدرسة سبقت الدراسة في النظامية (العلم الجديد ج ٢ عام ١٩٤٠)

(٢) ابن الجوزي ٩ : ٣٦ سن ٤٨٢ ، وتنظر زبدة النصرة ص ٢١٥ وفهرص أعلامها . وقد درس الشاشي في التاجية عام ٤٨٢ .

(٣) البيهقي ، حكايا الاسلام ص ١٠٢ - ١٠٦ وينظر طلس ، وياقوت ، في ترجمه الأبيوردي .

(٤) ابن الجوزي ٨ : ٦٤ ، ٢١٦

(٥) زبدة النصرة .

(٦) ابن الجوزي ٩ : ٥٣

السلام ، ونقل إليها نحو ألف كتاب^(١) . ووقف ابن جزلة الطيب كتبه قبل وفاته وجعلها في مشهد أبي حنيفة^(٢) .

وكان العصر « يعج » بالفقهاء والمحدثين ، والمرء أن يتصفح مصادر العصر ، ليرى ذلك بلزاً . ومن فقهاء الشافعية :

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري مؤلف كتاب الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين^(٣) . توفي عام ٤٥٠ عن ٨٦ عاماً .

والقشيري : أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن ، مؤلف التيسير والرسالة القشيرية ، ولد عام ٣٧٦ وتوفي عام ٤٦٥ في نيسابور . وكان ابنه عبد الرحمن المتوفى عام ٥١٤ فقيهاً معدوداً .

والشيرازي : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيروز اباذي ، صاحب المذهب والتنبيه والسمع . . . « ومن أجله شيد نظام الملك مدرسة بغداد ، ولد عام ٣٩٣ بفيروز اباذ وتوفي ببغداد عام ٤٧٦ .

والجويني : إمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، ولد عام ٤١٩ قرب نيسابور ، ومن مؤلفاته : الشامل والبرهان ، وأسس نظام الملك من أجله مدرسة نيسابور . توفي عام ٤٧٨ .

وابن الصباغ : أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد ، ولد في الري عام ٤٠٠ ، ومن مؤلفاته : الشامل والكامل ، ودرس في نظامية بغداد . توفي سنة ٤٧٧ .

(١) ابن الجوزي ٨ : ٢١٦ سن ٤٥٢ ، وفي رواية ٩ : ٤٢ سن ٤٥٢ أنها نحو « من أربعمائة مجلد في فنون العلوم ، ورتبها خازناً يقال له ابن الاقساسي العلوي ، تكرر العلماء إليها سنين كثيرة ما لم تزل له أجرة ، فصرف الخازن وحك ذكر الوقف من الكتب وباعها فأُنكرت ذلك عليه فقال قد استغنى عنها بدار الكتب النظامية . قال المصنف فقلت ببيع الكتب بعد وقفها محذور ، فقال : قد صرف ثمنها في الصدقات » .

(٢) ابن خلكان ٣ : ٢٥٦ عن امرأة الزمان سن ٤٩٣ . وينظر كتاب « خزائن الكتب القديمة في العراق » تأليف كوركيس عواد ، بغداد ١٩٤٨ .

(٣) ويرد على « أدب الدين والدنيا » كما في ابن خلكان .

والشاشي : نحر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد ، ولد في ميافارقين عام ٤٢٩ ، ودرس في نظامية بغداد ، وأصبح فيها معيدا للشيرازي ثم استأذناً منذ عام ٥٠٢ حتى وفاته سنة ٥٠٧ .

والغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد المولود في طوس عام ٤٥٠ والمتوفي عام ٥٠٥ شافعي يتميز بمكان خاص لما له من آثار في التصوف والأخلاق والرد على الفلاسفة .

والشهرستاني : محمد بن عبد الكريم المولود في شهرستان عام ٤٦٩ والمتوفي عام ٥٤٨ والمعروف اليوم بكتابه « الملل والنحل » .

وفي كتاب طبقات الشافعية للسبكي الكثير عن هؤلاء الأعلام وغيرهم ، كما أن ابن خلكان وابن الجوزي يعينان بالأعلام منهم .

ومن الحنبلية اشتهر أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل البغدادي ، ولد عام ٤٣١ وكان استاذ المذهب ، توفي عام ٥١٣ ، وابن الأنماطي عبد الوهاب ابن المبارك المولود عام ٤٦٢ والمتوفي عام ٥٣٨ .

وفي ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « المنتظم لابن الجوزي ، وشذرات الذهب للحنبلي عشرات ومئات الأسماء والأعلام .

ومن الحنفية : الدامغاني أبو عبد الله محمد بن علي المولود في دامغان عام ٣٩٨ وكان استاذاً في المذهب ، عين قاضي القضاة سنة ٤٤٧ وشغل نيابة وزارة الخليفة مرتين . توفي سنة ٤٧٨ . وكان ابنه أبو الحسن علي المتوفي ٥١٣ قاضياً للقضاة كذلك . ومنهم الزينبي طراد بن محمد المولود سنة ٣٩٨ ، وكان نقيب النقباء في بغداد ، توفي فيها سنة ٤٩١ . وخلفه ابنه علي المولود سنة ٤٦٢ في نقابة النقباء « ثم وزر للمسترشد والمقتني مدة من الزمن .

وفي كتب التراجم والتاريخ مثل طبقات الحنفية وابن الجوزي وابن خلكان وغيرها كثير من الأخبار والأعلام .

ومن الشيعة : الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي المولود في طوس

سنة ٣٨٥ . درس في بغداد على الشيخ المفيد ثم على الشريف المرتضى وعمل على نشر المذهب . وأحرقت داره عام ٤٤٨ فترك بغداد وأقام في النجف حيث توفي عام ٤٦٠ تاركاً مؤلفات مهمة مثل التبيان والاستبصار وتهذيب الاحكام والمبسوط والنهاية والفهرست . ومنهم الطبرسي رضي الدين أبو علي الفضل بن الحسن مؤلف مجمع البيان في تفسير القرآن ، توفي عام ٥٤٨ .
وللتوسع في أعلام الشيعة ينظر الخوانساري والعاملي وأغا بزرك (في الذريعة إلى تصانيف الشيعة) ...

وكان للنساء مشاركة في العلوم الشرعية ولا سيما الحديث والوعظ ، ومن اولئك : خديجة بنت موسى بن عبد الله الواعظة المعروفة ببنت البقال وتكنى أم سلمة . توفيت سنة ٢٣٧ هـ ، وستيتة بنت القاضي عبد الواحد البجلي ، وكانت فاضلة توفيت سنة ٤٢٧ هـ ، وخديجة الشاهجانية المتوفاة سنة ٤٦٠ هـ ، كريمة بنت أحمد بن محمد بن أبي حاتم المروزي من أهل كشمين من مرو ، قرأ عليها الأئمة كالخطيب وابن المطلب والسمعاني وأبي طالب الزيدي ، توفيت بمكة سنة ٤٦٣ هـ ، والمالودية البصرية المتوفاة عام ٤٦٦ هـ ، وفاطمة بنت الأقرع السكاينة ، قال ابن الجوزي : « حدثنا عنها أشياء خنا... » « أنها أهدت لحسن خطها لكتابة كتاب الهدنة إلى ملك الروم في الديوان العزيز ، وسافرت إلى بلاد الجبل إلى عميد الملك أبي نصر الكندري ، وسمعت شيخنا أبا بكر محمد بن عبد الباقي البزار يقول : السكاينة فاطمة بنت الأقرع تقول : كتبت ورقة لعميد الملك الكندري فأعطاني الف دينار » . توفيت عام ٤٨٠ هـ ودفنت بباب أبرز ؛ ورابعة بنت حكيم المتوفاة عام ٥١٢ هـ ، وفاطمة بنت الحسين بن الحسن ابن فضالون الرازي ، وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات ، سمعت من أبي بكر الخطيب وغيره . توفيت سنة ٥٢١ هـ ، وشهادة نجر النساء بنت أحمد بن الفرج بن عمر الابرى السكاينة الدينورية الأصل البغداية المولدة والوفاة « كانت من العلماء ، وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خلق كثير ، وكان لها السماع العالي »

أُلحقت فيه الأصغر بالأكابر ... واشتهر ذكرها وبعد صيتها . « تزوجت ببعض وكلاء الخليفة [المقتدي] وعاشت مخالطة للدار ولأهل العلم » توفيت عام ٤٧٤ وقد نيفت على تسعين سنة وقاربت المائة ، ودفنت في باب أبرز^(١) .
وتميز الزخشي (أبو القاسم محمود بن عمر المولود في زخشر من خوارزم عام ٤٦٧ والمتوفي عام ٥٣٨) زيادة على آثاره في التفسير والحديث .
اذ ألف الكشاف والفائق ، بآثاره في اللغة والنحو إذ ألف أساس البلاغة والمفصل .

وعرف العصر (غير الزخشي) كثيراً من اللغويين والبلاغيين منهم الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر مؤلف دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة - المتوفي عام ٤١٧) والزوزني (الحسين بن أحمد بن الحسين أبو عبد الله ... شارح المعلقات السبع - المتوفي سنة ٤٩٦ « ؟ ») والتبريزي (أبوزكريا يحيى بن علي .. الشيباني ، وكان إماماً في اللغة والنحو وشيخ الأدب في نظامية بغداد ومؤلف شرح القصائد العشر وشرح حماسة أبي تمام وشرح ديوان المتنبي وشرح سقط الزند ... - توفي عام ٥٠٢) والراغب الأصفهاني (أبو القاسم حسين بن محمد مؤلف المحاضرات - توفي سنة ٥٠٢) والحريري (أبو محمد القاسم ... ابن الحريري المولود عام ٤٤٦ في المشان بالبصرة ، ومؤلف درة الغواص وملحة الأعراب ، والمقامات - توفي سنة ٥١٥) والميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد مؤلف مجمع الأمثال - توفي عام ٥١٨) والجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد ، تلميذ التبريزي وخليفته في تدريس الأدب في نظامية بغداد ، ومؤلف المعرب وشرح أدب الكاتب ، وتمتعة درة الغواص - ولد ببغداد عام ٤٦٦ وتوفي بها سنة ٥٣٩) وابن الشجري (الشريف أبو السعادات هبة الله بن محمد بن حمزة

(١) ينظر ابن الجوزي (وغيره) تحت أعوام وفياتهم . وعن شهدة ينظر ، غير ابن الجوزي ، ابن خلكان ١ : ٤٠٤ - ٤٠٥ ، وهامش ص ٤٨ من تسكيلة اكمل الاكمال .

العلوي - ولد عام ٤٥٠ ، وحل محل أبيه الطاهر في نقابة العلويين في الكرخ
وكان استاذ ومؤلفاً لعدة كتب في الأمالي والحماسة والمختارات - توفي عام ٥٤٢هـ ؛
وابن الخشاب (أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد بن أحمد المولود في بغداد
سنة ٤٢٢ والمتوفي سنة ٥٦٧ أو ٥٦٨) وابن الانباري (كمال الدين أبو البركات
عبدالرحمن بن محمد) ولد عام ٥١٣ وكان من تلامذة الجواليقي وابن الشجري .
ثم مدرساً للنحو في النظامية . وله الانصاف ، وأسرار العربية ، ونزهة الألباء .
توفي سنة ٥٧٧^(١) .

اما المؤرخون فمنهم الخطيب البغدادي المتوفي عام ٤٦٣ وغرس النعمة
(أبو الحسن محمد بن هلال بن الحسن بن ابراهيم الصابي ، ذيل على تاريخ والده
الذي ذيل على تاريخ ثابت بن سنان - توفي عام ٤٨٠ ولم يصل إلينا كتابه ،
ينظر ابن الجوزي ٩ : ٤٢ ، ابن الأثير ١٠ : ١٠٨) والوزير أبو شجاع (محمد
بن حسين الروذروري الذي ذيل تجارب الأمم لمسكويه - توفي سنة ٤٨٨)
والهمذاني (محمد بن عبد الملك) وانوشروان اللذان مر ذكرهما ص ٢١) .
كما أن ابن الجوزي والعماد اللذين توفيا عام ٥٩٧ عاشا ردها من الفترة التي
نؤرخ لها .

اما في العلوم المنقولة فن الأطباء : ابن جزلة (أبو علي يحيى بن عيسى
المتوفي سنة ٤٩٣)^(٢) ومعتمد الملك (أبو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى ابن

(١) ينظر عنهم وعن غيرهم من اللغويين والنحاة ابن الانباري ، وابن الجوزي ،
والقفطي ، وابن خلكان ، وياقوت (في معجم الأدباء) ، والسيوطي (في بنية الوعاة) ...
ودائرة المعارف الاسلامية ... الخ

وفهم من كلام بروكلمان في دائرة المعارف ج ١ (مادة الأنباري) ص ٣٠٣ ان ابن
الأنباري درس على ابن الشجري في النظامية ، وهذا غير ممكن لأن النظامية وقف
على الشافعية .

(٢) ابن خلكان ٣ : ٢٥٥ - ٢٥٦ ، مرآة الزمان سن ٤٩٣ ... ابن أبي
اصيبعة ، القفطي ، دائرة المعارف الاسلامية .

التلميذ المتوفي حوالي عام ٥١٢)^(١) وأمين الدولة (سلطان الحكماء أبو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله ، سبط أبي الفرج المتوفي عام ٥٦٠)^(٢) وأوحد الزمان (أبو البركات هبة الله بن ملكا المتوفي حوالي سنة ٥٧٠)^(٣) . وكان الطغرائي الشاعر معدوداً من أهل الكيمياء ، وكان عمر الخيام والاسطرلابي (أبو القاسم بديع الزمان هبة الله بن يحيى المتوفي ٥٣٤) ممن زاول الفلك وعرف به . والخيام هو الذي عمل التقويم الجلالي (نسبة الى جلال الدين ملكشاه)^(٤)

اما في الأدب الانشائي فكان النثر مقفلاً بالصناعة اللفظية وما تقتضيه هذه الصناعة من تكلف الجناس والطباق والسجع مما كان يطرب له المعاصرون ومن جاء بعدهم . والأمثلة التي وصلت الينا من النثر قليلة جداً ، وقوامها عدد محدود من الرسائل ، وخطب الكتب ، ويمكن عد كلام الباخريزي في « الدمية » والعماد في « النصر » وغيرها من هذا النثر ، وتضمن مقامات الخريزي أشهر نصوص الانشاء الأدبي في العصر .

-
- (١) العماد في الخريدة ج ١ ، القفطي « حكماء » ص ٢٢٨ — ٩ ، ابن أبي أصيبعة . ١ : ٢٧٦ — ٨ ، ابن خلكان ٣ : ١٢٦ .
- (٢) العماد ، الخريدة ، ج ١ ، القفطي ج ١ ، ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٥٩ ، البيهقي (علي) ، حكماء الاسلام ص ١٤٤ — ١٤٦ ، الحنبلي ، شذرات ٤ : ١٩٠ ، بروكبات ١ : ٤٨٧ ، سارتون ٢ : ٢٤٣ .
- (٣) العماد في المجلد الأول من الخريدة « القفطي » ٢٢٤ — ٧ ، ابن أبي أصيبعة . ١ : ٢٧٨ — ٢٨٥ ، البيهقي ص ١٥٢ — ١٥٤ (ويذكر انه توفي عام ٥٤٧) ، ابن خلكان ٣ : ١٢٩ ، بروكبات ١ : ٢٦٠ .
- (٤) وجاء في ج ٢ : ٤٦١ أن « هذا التقويم أكثر ضبطاً ودقة من التقويم الفريغوري الذي يؤدي الى خطأ مقداره يوم في كل ٣٣٣٠ سنة بينما الخطأ الذي ينجم عن تقويم الخيام هو نحو يوم في كل ٥٠٠٠ سنة » .

الباب الأول

الشعراء

(مصادر دراستهم — حیاتهم — آثارهم)



كان العصر البويعي قد شهد اتجاهين مختلفين كل الاختلاف ، يمثل الأول «نهما شعراء كالمثني والشريف الرضي ، وهو استمرار لخط تقليدي في الأغراض - بما فيها من نحر ومدح وغزل... وفي التراكيب - بما تقتضي من متانة وشدة ونغامة ، ويمثل الثاني ابن الحجاج وابن سكره ، وقد سماه ابن الحجاج والنقاد والمعاصرون والقدايح ، شعر السخف ، وأخص مزايها هذا السخف ، ذكر ما لا تستسيغه الأخلاق العامة مما يتعلق بالأمور الجنسية و « المراضية » ثم العبت بالمقدسات والأديان . والضحك والاضحاك من مقاصده . ويتبع هذا السخف في الموضوعات المطروقة سخف في الأساليب ، إذ يعتمد الركافة التي تقربه من اللغة اليومية الشوقية ، ويعتمد استعمال كل المفردات ، بما فيها غير الشعرية والعامية والدخيلة وحتى الأجنبية أحياناً . ولهذا السخف مقدمات في العصور السابقة على العصر البويعي ، ولكن الذي يكاد يعقد الإجماع عليه ، هو أن أبا عبد الله الحسين بن الحجاج المتوفي عام ٣٩١ هـ زعيم هذه المدرسة ، إن لم يكن مؤسسها ، وقديماً سئل الشريف المرتضى عن ابن الحجاج وامري القيس فقال : « ما بينهما مثلها . »^(١)

استمر هذان الاتجاهان في العصر السلجوقي ، وكان خير من يمثل الخط التقليدي فيه : الطغراني والأبيوردي ، ويتحلق حولهما خلق كثير منهم : صردرو الباخري ، وابن الشبل ، وشبل الدولة ، والسنبسي ، والغزي ، وابن أفلح ، والأرجاني وابن أبي الفتوح والحظيري وحيص بيص ... أما السخف ، فقد وجد عوضاً عن عميده ، خليفة يضاهيه ، هو ابن الهبّارية . وبرز فيه عدد من الشعراء منهم : البارع ومرجيا وابن القطان (وشيطان العراق) .

(١) المؤلف دراسة مفصلة عن ابن الحجاج ، وتحقيق لمجلد ضخم من منتخبات شعره .

الفصل الأول الطغرائي

مصادر دراسته

- (١) - ديوان الطغرائي المطبوع ومما فيه: عائلته ص ٥٩، ١٠٦ - ١٠٧، ١١٧، زوجته ٨٠ - ٨٥، صلاته بساسة عصره ص ٣ - ٥٨، ٨٩، ١٨٢، ١٤١، صلاته بالعلماء والأدباء ٨٦، ١٣٣ - ١٣٦، ١٤١، عزله ٦٢، ٧٩، خلفه ٧١، ٧٨.
- ولا يغني المطبوع عن مراجعة المخطوطات. وفي مؤلفات الطغرائي الأخرى ما لا يخلو من فائدة
- (٢) - ديوان الغزي، نخ. باريس ٥٥-٥٧ (= ديوان الأبيوردي المطبوع ص ٤٨-٥٠)، ١٠٢ - ١٠٤ (= ٧٢ - ٧٤) : يمدحه ويتكلم قليلاً على عائلته وأخلاقه وعلمه.
- (٣) - السمعاني:
- (أ) - الأنساب، مادة المنشيء، و ٥٤٣ أ : نسبه « إطراره » (ويظهر أن كلامه كان في الأصل أطول، يراجع زيدان ٣ : ٦٤ وابن خلكان ١ : ٢٨٤).
- (ب) - مذييل تاريخ بغداد، في مخطوطة مختصره بليدن، و ٤٣ - ٤٤ : اصبهان « معارفه، تفوقه في الشعر والنثر، جلاله، استشهاده عام ٥١٨، مختارات من شعره، من مصادره كتاب سر السرور.
- (٤) - الحظيري، زينة الدهر بنص ابن خلكان ١ : ٢٨٧ (يقارن عاطف).
- X - ولم يتكلم عليه ابن الجوزي

٥ - المعاد

(أ) - النصرة ، الورقة ١٣٩ أ ، ١١٣ ، ١١٩ أ ، ١٢٠ ب ، ١٣٩ أ ، ١٤٠ ب : طغرائي ، عزلته ، استشهاده ، وقد احتفظ بها البنداري في الزبدة ص ١١٠ ، ١١٦ ، ١٣٢ ، ١٧٤ ، أما أخبار الدولة السلجوقية فلم يذكر إلا ما تعلق بالاستشهاد ص ٩٧ .

(ب) - الخريدة ، مجلدة بلاد المعجم ، لم تكن نسختا ليدين كاملتين ، وكانت ترجمة الطغرائي بين ما فقد من أوراقها . وضمت مخطوطة مجلدة الأندلس (باريس رقم ٣٣٣٢) صفحات من هذه الترجمة - حشرت في المجلد غلطا ، وفيها : موته عام ٥١٥ ، مختارات من شعره ، وحفظ الصفدي في شرح اللامية ص ٧ - فقرأ نقلها عن الخريدة مما يتعلق بخدمة السلاطين ، وبراعته في الترسل والنظم وفنون العلم والكيمياء ، مما يتعلق بقتله (وقد نقل ناشر وفيات الأعيان في طبعة دار المأمون هذا الذي حفظه الصفدي في هامش ترجمة ابن خلكان للطغرائي ، ولم يذكر الناشر مصدره ، إنما ظهر وكأنه ينقل عن الخريدة مباشرة)

وفي مختصر الخريدة الذي عمله الشيخ علي رضائي ووسمه بـ « عود الشباب » صفحات ذات بال في باب « فضلاء أصفهان وجر باذقان » ومنها : نسبة الدثلي ، خدمة السلاطين ، براعته ، الكيمياء ، استشهاده ، اللامية وغيرها . وقد حفظ الصفدي وهو ينقل عن الخريدة أكثر ما حفظه رضائي في مختصره . ومن مقابلة « عود الشباب » نعلم أن ياقوتاً روى عن « الخريدة » دون أن ينص عليها .

وترد للطغرائي ، في الخريدة ، أخبار تأتي عرضاً في تراجم ادباء آخرين . كهذا الذي ذكره المعاد (مخ . اكسفورد) مما يتصل بالخرقة ، والذي ذكره في مجلدة الشام وهو يتحدث عن الغزي وما كان بينها من مكاتبات ص ٢٧ .

(٦) - الراوندي : راحة الصدور ٢٢٩ - ٢٤١ : ثناء ، ٢٢٥ وزارة .

مسمود ، الراوندي يقرأ في حضرة سلطانه قصيدة من شعر الطغرائي
(= الديوان ٥ - ٨) دون أن يذكر اسمه . وقد يسوق الراوندي في معرض
كلامه على الأعلام والأحداث شعراً لا يتصل بزمناها كفعله وهو يثني
على كيخسرو قليج ص ٢٢ إذ ذكر ستة أبيات هي مطلع قصيدة للطغرائي مدح
بها مجد الملك (= الديوان ٤١ - ٤٢) ، وحين تكلم على سنجر
ص ١٧٠ - ١٧١ ذكر عشرة أبيات (= الديوان ٧٥ - ٧٦) . وقد نبه
الناشر على هذه التضمينات .

(٧) - ياقوت ، إرشاد ، ٥ : ٥٢ - ٦٠ الوحيد الذي يذكر ميلاده .
ينقل عن الخريدة دون أن ينص عليها - وقد رأينا ذلك - مؤلفاته في الكيمياء ،
قتله مشدوداً إلى جذع شجرة ، مختارات ، يذكر الإلمية منسوبة إلى المعجم ؛
٦ : ٣٥٨ يرثي الأبيوردي (يقارن ديوان الطغرائي ص ٨٤) ؛ ٦ : ١٨٣ -
١٨٦ جوابه على تهنئة الحريري عام ٥٠٩ هـ ؛ ٦ : ٢٠٨ ، ابن أخت الشاعر :
مخلص الدين كاتب سنجر .
(٨) - ابن الأثير

(أ) - السكامل ، ١٠ : ٣٩٥ - ٣٩٦ سن ٥١٤ مهم لتاريخ المصاف
بين مسمود ومحمود ، قتله ، عمره ، مدة وزارته .
(ب) - الأتابكة ص ٤٢ - ٤٣ في الموصلي .

(٩) - ابن النجار ، ذيل تاريخ بغداد . مما وصل إلينا في « مستفاد »
الحسامي : ديلمبي (؟) (= دئلي) ، ويمكن أن نلمح خلال السطور العماد
وابن الأثير .

(١٠) - سبط ابن الجوزي ، المرأة سن ٥١٤ : الدئلي ، أسباب قتله ،
خادمه وقتل السميري عام ٥١٦ ، حفيده . وهكذا يستدرك السبط ما فات الجد .
(١١) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ - ٢٨٧ (الحسين) ترجمة مهمة ، رأينا مصادر
عناصرها عند العماد . ورأينا أمثالها عند ياقوت وسبط ابن الجوزي وينص

ابن خلـكان على « أنساب » السمعاني وزينة الخطيري ونصرة العماد ، و يروي عن أبي البركات أحمد بن المستوفي مؤلف تاريخ أربل : أن الطغرائي كان وزيراً في هذه المدينة (١) ونقل الخبر عنه الصفدي والبارودي من دون تحقيق ، ١ : ٤٦٠ مقارنة مع ابن الدهان ، ٢ : ٥٣١ مسعود ، ٣ : ١١٣ ابن الشجري . يروي أربعة من أبياته (قارن الديوان ص ٦٧) .

وفي مختصر الوفيات الذي عمله البارزي و ٣٩ ب أخبار لم نجد لها فيما بين أيدينا من نسخ ابن خلـكان : دثلي ، أبيات رويت عن أسامة بن مقذ والعزير المستوفي .
(١٢) - الصفدي

(أ) - الفيت ١ : ٦ - ٩ ينقل عن العماد ، ويمكن لمحمـ ابن الأثير - وربما ابن خلـكان - خلال السطور . ولو كان الصفدي ممن راجع « الارشاد » وتنبه الى دقائقه لما أتعب نفسه في محاولة إيجاد تاريخ ميلاد الشاعر أو تقريبه . ويذكر الصفدي مؤلفات الطغرائي ومنها المقاطيع . إن ضخامة كتاب الصفدي لم تنفعنا بشيء . يستحق الذكر ، ولكن هذه الأخبار التي نقلها عن غيره ، ستكون مصدراً لا أكثر شراح اللامية .

(ب) - الوافي ج ١٩ مخ . المجمع العلمي بدمشق ص ٨٨ ينقل أخباره عن ابن الأثير وياقوت وابن خلـكان دون أن ينص عليهم . إطراره . لامية العجم ، شرحه لها .

(١٣) - ابن جماعة ، التعليقة ، و ٧٣ أ - ٧٥ ب ... الديلمي (؟) ، طغرائي محمود ثم مشرف ، غزله . أبيات رويت عن السمعاني أو عن سماع الشاعر شفاهاً مثل الشهرزوري وابن الشجري وابن الاخوة . اللامية من غير غزل . بقيت مصادر قديمة ، ولكنها لا تكاد تعدو في مجموعها أن تكون تكراراً أو تلخيصاً لمصادر أقدم ، كابن الأثير وابن خلـكان والصفدي ، وهذه هي : -

إبن أبي أصيبعة : ٢٦٧ (وينظر ديوان الطغرائي ص ١٤١) - أبو
 الفداء ٢ : ٢٤٧ سن ٥١٥ - الذهبي في العبر (؟) ٢ : ٤٥٥ سن ٥١٤ ، دول
 الاسلام ٢ : ٢٨ - ٢٩ - ابن الوردي ٢ : ٣١ سن ٥١٥ - ابن شاكر الكتبي
 في عيون الأخبار ١٢ : ٥١٦ سن ٥١٤ (نسخة انكلتزه) - ابن كثير ١١ :
 ١٩٠ سن ٥١٥ - حاج خليفة في مادة ديوان ص ٧٩٨ ، وكيمياء ص ١٥٢٦ -
 ١٥٣١ ، ولامية ص ١٥٣٧ - ١٥٣٩ - الحنبلي ٤ : ٤١ - ٤٣ سن ٥١٤ - ابن
 خلدون في المقدمة « كيمياء من طبعة القاهرة ٢٣٤ - ١٩١ ، في التاريخ
 ٥ : ٥٠ - ابن حجلة (على هامش الانطاكي) ١٨٠ - ١٨١ - السبكي ٢ : ١٦ -
 ١٨ - الخوانساري ص ٢٤٨ - السيوطي في الكنز ٢١٢ - ٢١٤ ، ٢١٩ ، وفي
 التاريخ ٢٨٩ - الزبيدي في شرح القاموس ، مادة طغر ٣ : ٣٥١ - برهان الدين
 و ٩٠ أ - ٩١ ب - شروح اللامية (تنظر قائمة المصادر والمراجع) - المامقاني
 ٣٣٦ - ٧ (ومن مصادره الشيخ الحر) .

ولم نقف في الدراسات الحديثة على شيء يستحق الذكر ، وربما كانت
 مقالة كرنسكو في دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٨٧ وبعدها من الطبعة
 الفرنسية (وتنظر الترجمة العربية) خير ما كتب . وينظر ما كتبه هوتسا في
 الدائرة ٤ : ١٣٨ ب وهو يتكلم على السلطان محمود « وما كتبه دني في الدائرة
 نفسها وفي الجزء نفسه ص ٨٦ عن الطغراء (وهو مترجم) ، وينظر هارتمان
 ٦ : ٨٥٨ وبعدها Raix في ترجمته اللامية الى الفرنسية - كلوستن ص ١٥٣
 وبعدها ، ٤٤٣ - ٤ - نيكلسون ص ٣٢٦ - هيوار ٩٨ - ٩٩ - دربل
 D'Herbelt ٥ : ٤٧٨ - ٧٩ - ساسي في التراجم العالمية ٤٧ : ١٩٦ - ١٩٧
 - شنر ١٨٧ - برون ٢ : ٢٩٩ ، ٣٥٤ (وتنظر ترجمة الشواربي) - زنبور
 ٢٥٥ (وتنظر الترجمة العربية) - دائرة المعارف الكبرى ٣١ : ٣١٨ .

زيدان ٣ : ٢٣ - البستاني في دائرة المعارف ٩ : ٣١١ - ٣١٣ - الهاشمي
 ٥٣٣ - ٥٣٤ - الزيات ٢٣١ - ٢٣٣ - مظهر في مجلة الرسالة ، العدد ٢٥٩ -

القلمي ٢ : ٢٠٨ - ٢١٠ - تزهة الجليس ٢ : ٧٣ - العامل في اعيان
الشعبة ج ٢٧ - البارودي في المختارات - المنتخب من أدب العرب ج ٢ -
سركيس ١٢٤١ - محمود مصطفى في تاريخ الأدب ٢ : ٢٦ واعجام الأعلام
١٤٤ - الزركلي ١ : ٢٥٥ - طه الراوي في مجلة الصبح ، العدد الخامس -
مارون عبود في « مجدودون ومجترون » ص ١٤٤ - الطاهر في مجلة
الاستاذ - كحالة في معجم المؤلفين ٤ : ٣٦ (وتنظر مصادره ومنها مجلة الثريا
التونسية) - تاريخ العرب المطول ٢ : ٤٦٥ - شفق ١٢٨ من الترجمة العربية -
الجابري (في تاريخ أصفهان) ص ١٣٨ وهامش ص ٤٣ - صادقي (حسين
نور في « أصفهان ») ص ١٨٨ .

حياته

أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد ، يعرف بألقاب عدة
هي : العميد ، الاستاذ ، المنشي ، الأصهباني ، مؤيد الدين ، ولكن
« الطغرائي » هو الذي غلب عليه .

ولد الحسين عام ٤٥٣هـ / ١٠٦١ م في جى^(٢) من اصبهان في عائلة شريفة
مجيدة^(٣) من ولد أبي الأسود الدئلي^(٤) فهو - على هذا - عربي الأصل وليس

(١) ياقوت ، إرشاد ٥ : ٥٢ (وينظر الصفدي ، غيث ، ١ : ٨ « مولد
الطغرائي في عشر الستين تقريباً »)

(٢) الديوان ص ١٠٦ (٣) الديوان ص ٥٩ ، ٧٨

(٤) العماد في عود الشباب لعلي رضائي ، ابو الفدا ، ٢ : ٢٤٧ ابن
الوردي ٢ : ٣١ ، البارزي في مختصره لوفيات الاعيان ٣٩ ب ، وفي المرواة
« وقيل إنه ... » . ومن المناسب أن تكون « الديلمي » التي ترد أحياناً
- كما في المقطعات والمستفاد والتعليقة - تصحيفاً للدئلي .

وفي محيط الفيروز اباذي « ... وفي شرح المع للأصبهاني : أبو أسود =

فارسيّة - كما هو الشائع ، وكما جزم المؤلفون المحدثون^(١) دون ان يستقصوا في البحث .

= ظالم بن عمرو الدئلي ، انما هو بكسر الدال وفتح الهمزة نسبة الى دئل كعنب وهي قبيلة ... ابن القطاع الدئل في كنانة رهط أبي الأسود بالضم وكسر الهمزة . « وفي لسان العرب » لابن منظور الدئل (بضم الدال وكسر الهمزة) من كنانة .

وقد يأتي نسب الطفرائي على : « دؤلي »
وقد يأتي أيضاً على : « الليثي » كما في مخطوطة لندن رقم ٧٥٣٠ التي ضمت صفحات من شعر الطفرائي . وكذلك في ابن كثير ١٢ : ١٩٠ .
ومن عقد الجمان ص ٣١٤ نعلم أن الليث ودئل من بني بكر بن عبد مناف .
وينظر معجم القبائل العربية لعمر رضا كحالة .

(١) امثال هيوار ، نيكلسن ، الزيات ، الهاشمي ، محمود مصطفى (في إعجام الأعلام) ، شفق ، طه الراوي ... وقال العباس بن علي بن نور الدين في « نزهة الجليس » ٢ : ٧٧ انه « عجمي أصفهاني » وقال « الشاعر ... الفارسي » .

ولعلمهم اعتمدوا في ذلك لقب « الاصفهاني » وهذا غير كاف ، لأن العرب استوطنوا اصفهان منذ دخلها الاسلام مبكراً ، ولعلمهم اعتمدوا اسم قصيدته « لامية المعجم » وما كانت هذه لامية للمعجم - كما سنرى .

أما عن نسب امه فقد قال العماد (كما جاء في عود الشباب) : « قال والدي هو نسيبنا من قبل الأحوال . » وقال في نصره الفترة و ٢٤ ب : « وكان جدي لأبي أمين الدين علي المستوفي ... كاتباً لشرف الملك - أبي سعد منصور بن محمد مستوفي مملكة بغداد - في ريعان عمره وعنفوان أمره . إلى أن صار بعده كاتباً لخزانة السلطان محمد بن ملكشاه » . وتنتظر مقدمة خريدة العراق المطبوعة ص ١٣ .

وأصبهان^(١) من امارات المدن الاسلامية ، ولها من جمال الطبيعة ما بعث الشعراء على التغني بهوائها وتربتها ، ببساتينها وفككتها ، بنهرها زندروذ وعذوبته ، بمتنزهاتها ومجالسها . وقبيل ميلاد الطغرائي قال قائلهم :
يا بقعة هي دار الخلد ، أو خَلِقَتْ أعمودنا لنعيم دائم فيها
و « جي » أجمل ما في أصفهان :

قد اعتدلت أوقاتها وفصولها وما استكرهت بقظاتها ومنامها^(٢)

★ ★ ★

فمن حل « جيًا » ليس يثني رحاها وأنسي حاجات بأخرى انتظامها
لتشرب مياه الزندروذ إذا اشتكت من السقم نفس - كي يخف سقامها^(٣)

وقد استوطنت اصفهان قبائل عربية منذ سنوات الفتح الأولى حتى أصبحت - على مر الأيام - بيئة عربية ، وداراً للعلم والأدب ، وكانت في العهد البويهى - أيام ابن العميد مثلاً - من عواصم المعرفة المهمة^(٤).

(١) جاء في معجم البلدان : « اصفهان ... مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ... وأصفهان اسم للأقليم بأسره وكانت مدينتها اولاً جيًا ثم صارت اليهودية ... وهي من نواحي الجبل في آخر الاقليم الرابع ... صحيحة الهواء نقيسة الجو ... ونهرها ... غاية في الطيب والصحة والعذوبة ... كانت مدينة اصفهان بالموضع المعروف بجي وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة ... قال البلاذري وكان فتح اصفهان ورسايقها في بعض سنة ٢٣ وبعض ٢٤ »

(٢) المافروخي ص ١١٨ والبيت لأبي إسماعيل بن محمد الجرباذقاني

(٣) المافروخي ص ١١٩

(٤) تنظر - مثلاً - قيمة الدهر للثعالبي ، وتجارب الأمم لمسكويه .

تري ابن « ثلاث » بها يستفيد حديث الرسول ويتلو الكتاب
ومن فوقه ، حافظا كاتباً أديباً نجيباً يباري النجباء^(١)
ومن المنتظر جداً أن يكون « الحسين » واحداً من « أبناء الثلاث »
هؤلاء - و« الثلاث » مجاز فيه كناية عن التكبير في التحصيل . ومن
المنتظر أن يكون قد ألم بكل فنون معارف عصره ، ودرس اللغة والأدب على
شيء من العمق ، ولعله أعجب مبكراً بالمتنبي والشريف الرضي وأحس في نفسه
من المطامح ما يقربها منه ويقربه منها^(٢) .

والتحصيل لا يقتل الشباب في نفوس الشعراء ، وها هو ذا « الحسين »
وقد أحب فتاة كانت « المني » في الكمال والجمال والعفاف ، وقد فاز بها « من
بين يأس وخيبة » وبعد أن « غايظ فيها أهل بيته كلهم » ، فأنست منزله
وصيّرته جنة ينسى فيها همومه ، ولكن عمر هذه السعادة الزوجية كان
« قصير المدى » ، فما هي إلا أن احتضرت وراح الموت « يقبض كفها
ويبسّطها » « وقد دمت أجفانها » ، وما هي إلا أن أسلمت الروح الى
بارئها فغاب الهلال و« ذوى الغصن » وأصبح العرس مأتماً فأضاع الشاعر
رشده وفقد اصطبارة ، ولم تجده الدموع .

توفيت تاركة رضيعاً يزيد في أحزان « الحسين » الذي ظل يحن إليها ،
وينظم الشعر الصادق في رثائها ، ويجد في زيارة قبرها بعض السلوى :
مضت احين لم أصغر فأجهل قدرها ولم أعمر الدهر الطويل فأحلمها
وأقسم على ألا تسكن نفسه إلى سواها ... ولكن ضرورات الحياة
عدلت من رأيه فتزوج ثانية ورزق الولد^(٣)

(١) المافروخي ص ١١٥

(٢) كما يُحس ذلك في شعره .

(٣) هذه المعلومات خلاصة لما جاء في شعر الطغرائي ص ٨١ - ٨٥ من ديوانه .

ذلك ان شواغل اخرى كانت متمكنة من نفس أبي إسماعيل ، وتحته في طريقه لنيل السها . وكان عليه - في سبيل ذلك - أن يستعين بالمتنفذين من رجال عصره ، ومن أوائل من قصد : أبو المحاسن معين الملك محمد بن فضل الله « وهو هام ماجد » ملأ في ديوانه العين والصدرا . وكان من أفضال معين الملك هذا أن قدم الشاعر إلى « نظام الملك » وهياً له حظاً في الكتابة وبسطة في العيش .

وحين نكب معين الملك وقبض عليه وحبس وكبل ، ظل الحسين مخلصاً وفيماً ينظم القصيدة تلو القصيدة في التعزية والمؤاساة والمديح والاعتراف بالفضل وفي التألم والتحسر .

وشملت مصيبة معين الملك الشاعرَ فعطل من الكتابة ولقى الذل والهوان وتوعده الأعداء على حبه ابن فضل الله وتهددوه ، وهو ثابت نخور بنفسه و « سيده » « وربما سلى عن نفسه بأمني يعقدها » إن عاد ذلك المقبل المتقبل .

هذا ما نفهمه من شعر الطغرائي نفسه ^(١) ، ونفهم من التاريخ أن معين الملك المذكور هو سيد الرؤساء ابن كمال الدولة أبي الرضا فضل الله بن محمد صاحب ديوان الانشاء والطغراء وأحد مؤيدي دولة نظام الملك المقيمين . وكان سيد الرؤساء ينوب عن أبيه وكان مقبلاً مقبولا بلغت مرتبته من اصطفاء السلطان (ألب أرسلان) إياه إلى غاية لم يبلغها أنيس ، وزادت هذه المنزلة بعد أن صار ختناً لنظام الملك وتزوج ابنته وحدث - بعد ذلك - أن اتصل بخدمة السلطان ، حميد الدولة ابن بهمنيار فتصادق ورئيس الرؤساء على عداوة نظام الملك فنكبا .. وسجنا .. وسعلا .. وسقطت منزلة كمال الدين

ونسكبتة نكبتة ... وتولى مؤيد الملك ابن نظام الملك مكان كمال الدولة من ديوان الانشاء والطغراء^(١).

والطغرائي صادق اللهجة فيما أخبرنا به عن إخلاصه في الدفاع عن سيده والأسى عليه . ولكن الذي نعرفه أيضاً أنه مدح بنظام الملك وابنه مؤيد الملك ، وقد يكون شطر من هذا المديح مما نظمته في أيام الصفاء وفي أيام عز معين الملك ، ولكن الذي لا شك فيه أن شطراً آخر منه يرجع إلى ما بعد النكبة ، وإذن فقد أصلح أمره مع أهل الكلمة - العليا - ولا يحتاج من همه الوصول ، إلى معلم .

وكما خدم الطغرائي الرؤساء والوزراء ، خدم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان^(٢).

ولدى موت ملكشاه عام ٤٨٥/١٠٩٢ واشتداد النزاع بين ولديه بركيارق ومحمد كان الطغرائي أقرب إلى الثاني^(٣) . وقد اقترن هذا النزاع بتنافس شديد بين صديرين كبيرين هما : مؤيد الملك وزير بركيارق ، ومجد الملك المقرَّب من أم السلطان ، وقد انضم مؤيد الملك إلى محمد واستشاره على حرب أخيه ، فكان أن أخذت أصفهان وقتل مجد الملك عام ٤٩٢ .

ويبدو أن الطغرائي ترجح بين مؤيد الملك ومجد الملك طمعاً بالمنصب الآكد فأغضب ذلك مؤيد الملك ، واضطر الشاعر إلى الاعتذار والاعتراف^(٤) ، ولعله

(١) العماد في النصرة وعنه في الزبدة ص ٥٩ — ٦٠ ، وقد خلط صاحب « أخبار الدولة السلجوقية » ص ٦٨ — ١١٩ بين الكمال وولده .

(٢) العماد في عود الشباب و٧٨ أ ، الصفدي في الغيث ١ : ٧ نقلاً عن الخريدة .

(٣) الصفدي ، الغيث ١ : ٨ نقلاً عن الخريدة . الذهبي ، العبر (?) ٢ : ٥٤ ،

دول الاسلام ٢٧٢ . ياقوت في الارشاد .

(٤) الطغرائي في ديوانه المطبوع ص ١٨ — ٢٦ ، ٢٦ — ٣١ ،

٣٤ — ٤٣ ، ٢٧ .

نجح في مسعاه ، لأننا نراه يرثي الوزير لدن قتلته عام ٤٩٤ بقصيدة طويلة مخلصه (١) .

ولا نعلم شيئاً عما كان يفعله الطغراني بعد هذا التاريخ ، وربما أمكن القول بأنه كان يشغل أعمالاً تتصل بالانشاء والطفراء ، وانه في تاريخ ما عزل عن عمله .

وفي عام ٥٠٤ هـ (٢) ١١١٠ م رفع إلى أحد السلاجقة قصيدة ذكره فيها بخدماته السابقة وشكاً إليه ما ناله من حيف « وطلب منه منصباً ينقذه من الضر الذي أودى به » . وربما كان من آثار هذه القصيدة أن أصبح نائباً في ديوان الطغراء الذي كان يشغله الأمير العميد في وزارة الخطير (٣) .

ويخبرنا العماد أنه عندما توفي العميد سنة ٥٠٥ / ١١١١ « جلس مكانه في ديوان الطغراء وصدر الانشاء الأستاذ أبو إسماعيل الكاتب الأصفهاني . وكان ذا فضل غزير وأدب كثير ، تولاها بالاصالة متصديراً في دست العلاء ... وكان ... إذا أنشأ تروى بطيا وتفكر مليا وغاص في بحر خاطر ثم أتى بالمعاني البديعة والاستعارة الغربية » (٤) « ولم يكن للدولتين : الساجوقية والامامية من يضاهيه في الترسل والانشاء » (٥) .

(١) الديوان ص ٣١ - ٣٤ . وقد جاء في الديوان أن تاريخ القتل هو سنة ٤٤٠ وهذا خطأ بـين .

(٢) الصفدي ، غيث ١ : ١٩ (وينظر الديوان ص ٨ - ١٠)

(٣) بنداري ص ١١٠

(٤) بنداري ص ١١٠ ومن تمام الخبر « وكان مع ذلك بطيء القلم كليته ، ملثات الخط عليه ... » (١)

(٥) العماد في عود الشباب وفي شرح الصفدي على اللامية ، وينظر الارشاد والوفيات . والمقصود بالدولة الامامية ، دولة الخليفة تميزاً لها عن دولة السلطان .

ولم يدم له عزّه هذا ، فقد بدأ المناوئون يسعون به ، واشتدت عليه
السعايات ، فحُدّ نفوذُه وكسِفَ جاهُه ، وهم بالاعتزال لولا ولعُه بالمنصب ،
ولولا أمله بتغير الأحوال^(١) .

وفي سنة ٥٠٥ نفسها ، حل به - وهو بمدينة السلام - « خطب عظيم »
فقد عزل وعلاه من دونه ، وتسكر له أصدقاؤه ، وثقلت عليه الإقامة ببغداد ،
فنظم قصيدتين هما من خير ما قال : امتزج فيهما الواقع بالمثال ، والعقل بالقلب ،
والحكمة بالطيش ، والحرب بالسلم ، والطموح بالقناعة ، والنواضع بالكبرياء .
والقصيدتان هما : اللامية المشهورة :

أصالة الرأي صاننتني عن الخطل وحلية الفضل زاننتني عن العطل
وبائية لا تقل عنها في الاعراب عما اختلج في ذلك القلب الجريح من ألم
وسخط ، ومظلمها^(٢) :

أهاب به داعي الهوى فأجابا وعأوده نكس الصبا فتصابي
وفيها ثورة على العراق وأهل العراق :

(١) ينظر الديوان ص ٥٩

(٢) وفي القصيدة هجاء لشخص اسمه « زريق » يبدو أنه كان على حظ

من نفوذ ، في دولة الخليفة (؟) .

عتاباً وهل يخشى اللئيم عتاباً	أليس زريق لم يخف أن أمضه
سهماً من العتب الممض صواباً	تصامم عني أو تعامى ولم يخف
وراعيته لما شهدت وغاباً	وفيت بمهد كان بيني وبينه
وبيني مقامات بمصر خطاباً	وكذبت أقواماً حكوا أن بينه
بأشلائه ربد النسر سغاباً	ولو صح ما يعزى إليه خلقت
ولاء أمير المؤمنين كذاباً	وكيف يرّجى من يكون ادعأؤه

ربد : في الأصل ريد ، ووردت « زريق » و « ربد » في مخطوطة بيروت
« فلاناً » و « زهم » . ومعنى زهم سمنية .

... مللت ثوائي بالعراق وملّني رفاقي وكافوا بالعراق طرابا

فلا زائر يغشى جنابي لحاجة ولا أنا أغشى ما أقت جنابا

هو الربع لم يخلق بنوه أعزة كراماً ولم تنبت قناه صلابا

بنو الغدر لما فتش البحث عنهم أراك وميضاً خلباً وسرابا
وفي البائية عتاب على الخلافة :

فيا عجباً حتى الخلافة مارأت لحقي أن أجزى به وأثابا
ولم ترع لي نصحي القديم وصحبي أخوض غماراً أو أروض صمابا
لعمري لقد ماحضتها النصيح باذلاً لوسمي وقد ردت إليّ منابا
فيا ليت نصحي كان غشاً ، وطاعتي نفاقاً ، وصدقي في الولاء كذابا
كما صار آمالي غروراً وخدمتي هباءً وسعيي خيبة وتبابا
ويا ليتني دأجت فيهم معاشرأ تركتهم شوساً عليّ غضابا
والأبيات صريحة في التعبير عن صلة الطغرائي بالخلافة ، وشدة هذه الصلة
أيضاً ، وكان ذلك في عهد المستظهر .

وطبيعي أن يعزم الشاعر الهجرة ويتذكر الوطن ، ولعله نفذ العزم
ورحل إلى اصفهان ، ولعله أمضى فترة متعزلاً ومنصرفاً إلى الكيمياء والتأليف
فيها^(١) . وهيئات ، فقد كانت همته ترى في العزلة مقاماً على الهوان^(٢) فعاود
السعي وإصلاح الأمور ، حتى إذا كان عام ٥٠٩ رأينا القاسم بن الحريري
يكتب إليه يهنئه بولاية الطغراء بأصبهان^(٣) .

(١) تنظر مخطوطة باريس

(٢) الديوان ص ٧٩

(٣) ياقوت ، الارشاد ٦ : ١٨٣ - ١٨٦ (= ١٦ : ٢٩ من ط . المأمون) ؟

وفي هذه الأيام وحوالي عام ٥١٠ رزق علياً ، وفرح وشكاً . ولم يكن مرد
الشكوى الفقر أو العزل وإنما الشيخوخة وحرص الآباء :

هذا الصغير الذي وافى على كبري أقر عيني ولكن زاد في فكري
وافى وقد أبت الأيام في جسدي ثلما كئتم الليالي دارة القمر

* * *

سبع وخمسون لو مرت على حجر لباب تأثيرها في صفحة الحجر
فزاد حرصي على الدنيا وجددي ضناً بمالي وإشفاقاً على عمري
أضوي عليه وأخشى أن يعاجلني يومي ولم أقض من ترشيحه وطري
وأشتهي أن أراه وهو مقبل غض الشباب خضيب الوجه بالشعر
أحيا مآثر آبائي وأشبههم في مجدهم واقتني في هديه أثري^(١)
وفي عام ٥١١ يتقدم في مدارج الادارة شخص سُمي^(٢) فيصح مستوفياً
بل القابض الفعلي على زمام الحكم . وكان السُميري يبغض الأستاذ أبا إسماعيل
- « الوحيد الذي بقي من القدماء . ولما لم ير أعداء - الطغرائي - في فضله
مطعنا ولا على علمه من القدح مكناً ، اشاعوا بينهم أنه ساحر ... وأن مرض
السلطان (محمد) ربما كان بسحره ، وأنه ان لم يصرف عن تصرفه فلا أمن
من أمره » فبطلوه وعطلوه واعتزلوه وعزلوه^(٣) . وعاد الخطير الذي كان
وزيراً ، يمد الطغراء بخطه .

ولم يكن رأي الطغرائي بالخطير حسناً ، وهو القائل فيه :
أما الخطير فجبة وعمامة ومنازل مرفوعة الأساس
واذا رجعت إلى الكرام فطاعم ما بين أهل الكرمات وكاسي^(٤)

(١) الديوان ص ٧٨

(٢) ينظر البنداري ص ١١٠ ، وسيرد كلام عليه .

(٣) بنداري ص ١١٦

(٤) الديوان ص ١٢٨ - ٩

وفي هذه السنة اي في سنة ٥١١ نفسها ، توفي السلطان محمد وتمكن ابنه محمود من السلطنة بعده^(١) ، وأناط بالطغرائي ديوان الطغراء والانشاء ، وظل يدبره حتى أمره السلطان بملازمة بيته^(٢) و « استقر الشهاب أسعد في مكانه وانتصب في منصب ديوانه »^(٣). وربما كان هذا من بعض دسائس السميري عليه . ولم تكن مطامح الطغرائي لتستجيب لهذا الامر ، فقد قصد الموصل - حيث الملك مسعود بن السلطان محمد - وكان صغيراً^(٤) ، ابن إحدى عشرة سنة^(٥) ، ويدبر له الملك في حكم الموصل واذريجان أتابكه جيوش بك^(٦) ، وكان محمد - ابن الشاعر - يشغل الطغراء^(٧) في مملكته . ولم يخف الشاعر قصده من هذه الرحلة ، فكان ان قال مخاطباً الملك مسعوداً : -

... إن الهوى والرأي ما لانهوكم بركائي ، وهوى الرجال فنون
أبلغ نهايات العلى وسجيتي تأبى التوسط ، والتوسط دون
واسلم لأدرك فيك ما أملتبه ظناً ، وظن الألمي يقين^(٨)
وتحقق له بعض هذا العلى إذ استوزره مسعود^(٩) » وأصبح

(١) ينظر الصفدي في الغيث ١ : ٨ ، ١٩

(٢) التعليقة و ٧٤ ب

(٣) عود الشباب و ٧٨ ب

(٤) عود الشباب و ٧٨ ب ، الصفدي في الغيث ١ : ٨

(٥) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٦

(٦) ابن الأثير

(٧) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٦ ، التعليقة و ٧٤ ب

(٨) ديوان الطغرائي ص ٨

(٩) عود الشباب و ٧٨ ب ، ابن الأثير ١٠ : ٣٩٥ سن ٥١٤ ... » بعد

أن عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة .

بالمؤيد مؤيدا وسداده مسددا» (١٠).

ولكن الطغراني الذي ظهر في نونيته من الحريصين على سلامة البيت السلجوقي ، ومن دعاة وحدته ، لم يلبث أن غيّر رأيه وانضم إلى المؤامرة التي كان يحوكمها ديبس بن صدقة المزديدي - ملك الحلة ، « ويكتب - بها - جيوش بك ويحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة ... فحسن - الطغراني - ما كان ديبس يكتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته » (٢).

« وظهر ما هم عليه من ذلك ، فبلغ السلطان محمود الخبر ، فكتب اليهم يخوفهم إن خالفوه ، ويعدهم الاحسان إن أقاموا على طاعته وموافقته ، فلم يصغوا الى قوله ، وأظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه ، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس ، وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود « فغوى طمعهم وأسرعوا السير إليه ليلقوه وهو مخف من العساكر ، فاجتمع إليه خمسة عشر الفا » (٤) . والتقوا عند « أسد آباد » قرب همدان (٣) . وسط ربيع الأول من ٥١٤ « واقتتلوا بكرة إلى آخر النهار ، وكان البرسقي في مقدمة السلطان محمود ، وأبلى يومئذ بلاه حسناً ، فانهمز عسكر مسعود آخر النهار وأسروا منهم جماعة من أعيانهم ومقدميهم ، وأسروا الاستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود » (٥).

(١) عود الشباب و ٧٨ ب

(٢) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٥ - ٦ ، سن ٥١٤

(٣) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٥ - ٦ ، سن ٥١٤

(٤) بنداري ص ١٣٢ (= ص ١٢١ من ط ٢)

(٥) ابن الأثير ... وتحدث العماد عن المصاف ١٣٩ أ - ١٤٠ أ من

النصرة فقال : « وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة جرى بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود مصاف بقرب همدان وكان النصر فيه للسلطان ، وذلك أن الملك مسعوداً كان مسلماً الى الامير جوشبك وهو أتابكه في الموصل ، وعسكرا =

- « وكان أول من أخذ »^(١) « فأخبر الوزير كمال الملك - السميري - به فقال للشهاب أسعد - وكان طغرائياً في ذلك الوقت نيابة عن النصر - أخي كمال الملك - : « هذا الرجل ملحد » فقال الوزير : « من يكن ملحداً يستحق أن يقتل »^(٢) وقد أقام أقواما فشهدوا عند السلطان محمود

= الشام وديار بكر في خدمته ، وهو ينعت بملك الغرب لحد مملكته ، فجمع أتاكب جوشبك جيوشاً كثيرة وجما جماً غفيرا وطمع في أخذ السلطنة وجعل الاستاذ مؤيد الدين الطغرائي وزيراً لمسهود ولم يعلم أنه لا يتمكن فيها من مسعود ، فعلم السلطان بمجنده وحشره وطبي طريق الطمع إليه ونشره و (راعته) جيوش جوشبك فانزعج لها وتحرك واخذ عدته للحرب فما أبقى ممكناً ولا ترك ، وحكى يومه المسفر ليله الممتكر لما حضر المعترك ، وبرز في حديد لمع شعاعه خرق ستر العجاج وهتك ... وجاء جوشبك بمسهود تحت حشره كالقمر في الهالة ، ولما اصطف الجمعان ثم كاد أن يجتمع الصفان ودنا أن يلتقي البحران ويلتطم الموجان بصر مسعود بأخيه محمود فحن إليه وضبطه جوشبك فلم يرج عليه وصاح : ايحي ايحي ، وهي كلمة بالتركية للاخ الكبير ، فتشوش على جوشبك جميع ماقدمه من التدبير ، وساق مسعود ووقف الى جنب السلطان محمود أخيه واسلم للنهب والسلب جميع ما كان معه من جنوده ومواليه ، فأول من أخذ وزيره ... الطغرائي ...

وينظر البنداري ص ١٣٢ - ١٣٣ واخبار الدولة السلجوقية ٩٦ - ٩٧

(١) بنداري ١٣٣

وتذكر المرأة انه « هرب يوم الواقعة فأخذه غلمان الوزير . . . »

(٢) بنداري ص ١٣٤ . وفي الطبعة الثانية ص ١٢١ : « يستحق أن

يقتل ظالماً » ، وليست « ظالماً » معقولة في مكانها ، والصحيح ما جاء في

البنداري ط ١ « ... ، فقتل ظالماً » ومثله في « أخبار الدولة السلجوقية » التي =

أن الطغرائي زنديق وانه لا يتدين بدين الاسلام»^(١) فقال السلطان :
« قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده »^(٢) « وأمر بقتله »^(٣) فقتل
- أو ذبح - بين يديه صبراً في ربيع الأول^(٤) من عام ٥١٥ هـ^(٥) و « كانت

= نقلت الخبر نصاً كما في البنداري ط ، ١ . ومثله كذلك في ابن خلكان .
أما في أصل النصرة و ١٣٩ ب « من يكن ملحداً يستحق قتله ، فقتله
ظلماً » والبنداري ط ، ١ قريب منه .

(٣) المرأة ط . شيكاغو ٨ : ٥٦

(٤) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٦

(٥) وفي المرأة ٨ : ٥٦ « فعاجله بالقتل » . وفي رواية أخرى ما يشير
إلى أنه عفا عنه ولكن السمرجي دس عليه فماد فقتله .

(٦) العبر مخ . باريس ٢ : ٤٦ و ٥١٤

(٧) السنوات التي ترد تأريخاً لوفاة الطغرائي هي : ٥١٣ ، ٥١٤ ،
٥١٥ ، ٥١٨ ، نقبل منها الـ ٥١٥ لأنها وردت في أكثر المصادر وأوثقها مثل
السمعاني في الأنساب ، (برواية ابن خلكان ١ : ٢٨٤) ، والعماد في الخريدة
على الورقة ٥ ب من مخطوطة باريس ٣٣٣٢ (وعن الخريدة نقل الصفدي
١ : ٨) ، وياقوت ، إرشاد ٥ : ٥٢ (= ط . المأمون ١٠ : ٥٩) ، وأبي الفداء
٢ : ٢٤٧ : « وهكذا ذكره القاضي شهاب الدين » ، ابن جماعة و ٧٥ أ ،
حاج خليفة ...

ولا نقبل الـ ٥١٣ فقد وردت غير واضحة عند ابن خلكان ١ : ٢٧٨ ،
ورواها عاطف بك في « أدبيات اللغة العربية » نقلاً عن « زينة الدهر » ،
وزينة الدهر مفقود (!) . ومثله الميناوي ص ١٩٤ وصادق ١٨٨ - ووردت
في نصرة الفطرة تاريخاً للمصاف .

أما الـ ٥١٨ فقد وردت عند ابن خلكان ممرضة بـ « وقيل ... » وقد
كفانا كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية مؤونة دفعها ، إذ نبه إلى أن =

وزارته سنة وشهرا «^(١) و « قد جاوز الستين سنة »^(٢) .

نرى ، أحق مارووا من أن الطغرائي كان ملحداً ، زنديقاً ، لا يدين بالاسلام ؟! إن ذلك تلفيق لا غبار عليه ، فالطغرائي مسلم دون ريب ، ولو وقفت المسألة عند الاتحاد لقلنا إن مأناه تشيعه^(٣) ، وطالما اختلطت كلمة الاتحاد

= قتل السميري كان عام ٥١٦ . وعجيب أن ترد هذه السنة في مختصر مذيّل السمعاني ، مخطوطة ليدن M² 29 ص ٤٣ ، ومخطوطة نبذ العجم في المتحفة البريطانية رقم ٣١٦٤ .

أما عام ٥١٤ فهو العام الذي ذكر فيه ابن الأثير تفصيلات مؤامرة جيوش بك ودبّيس علي السلطان محمود . . . ثم المصاف . . . وقتل الطغرائي (وينظر أبو الفداء ٢ : ٢٤٧) وذكرها ابن خلكان مسبوقة بـ « وقيل . . . » فمن المحتمل أن يكون عام ٥١٤ عام الاستعداد للمصاف ، وليس عام القتل .
(١) ابن الأثير ...

(٢) ابن الأثير ، ياقوت ، ابن جماعة .

ولا ندرى مصير ابن الطغرائي - أبي المؤيد محمد ، كما أننا لا نعرف شيئاً عن « علي » الذي رزقه وقد مرت به الـ ٥٧ ، ولا نعرف شيئاً عن إسماعيل ، وإن كنا نعلم عن طريق ياقوت : أن أبا إسحاق يحيى بن إسماعيل كان يستمع إلى شعر جده ويرويه .

ويذكر سبط ابن الجوزي ج ٨ سن ٥١٤ : أن الطغرائي هو جد وزير الظاهر غازي بن صلاح الدين رحمه الله واسمه محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الطغرائي ولقبه نظام الدين .

وللطغرائي ابن اخت هو مخلص الدين ، كان كاتب سنجر (ياقوت ٦ : ٢٠٨) وفي الموصل اليوم مسجد يسمى مسجد الطغرائي (ينظر داود چلبی) .

(٣) ديوان الطغرائي ص ٥٢ ، ١٣١

- في العصر - بالباطنية والتشيع ، حتى قال الخوانساري : « إن من أقوى الأمارات لتشيع هذا الرجل نسبه الاتحاد اليه »^(١) . وما كان دين الطغرائي يوماً مجال شك ، وكثيراً ما عقب المؤرخون بأنه : « قتل مظلوماً »^(٢) ، ومنهم من عده « شهيداً »^(٣) . ولو صدرت التهمة من إنسان غير السميري لاستحقت العناية ، أما وانها خرجت من رجل « كان مجاهراً بالظلم والفسوق »^(٤) فمن العبث الوقوف عندها وأخذها سبباً للقتل ، لأن هناك ما هو أهم وأعقل ، فلقد كان الطغرائي « فاضلاً » واسع الاطلاع ، قديماً من بقايا السيوف في المملكة »^(٥) ، وقد قال منذ عام ٥٠٥ :

ما كنت أوتر أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
تقدمتني أناس كانت شوطهم وراء خطوي إذ أمشي على مهل
وفهم السميري الأبيات على أنها تعريض به^(٦) ، وليس ذلك ببعيد جداً ،
فقد كان الطغرائي يحترقه ويستصغره^(٧) .
ولما كان المصاف ، خاف اعداء الطغرائي^(٨) وخشوا إقبال السلطان

(١) روضات ٢٤٨

(٢) العماد ، ابن الأثير ، ابن خلكان .

(٣) العماد في الخريدة (ينظر غيث ١ : ٨ ، عود الشباب و ١٩ أ) ،
وأصبح « الشهيد » من بعض ألقابه ، تنظر مخطوطة المتحف البريطاني ٧٥٣٠ .

(٤) المرأة ، عيون الأخبار ج ١٢

(٥) العماد في النصره وعنة في الزبدة

(٦) المرأة ، مخ . باريس ٥٩٦ - ٥٩٩ « ... ويقال ان السميري انما
قتله لهذه الأبيات لأنه عرض به » .

(٧) المرأة ٨ : ٥٧ (ط . شيكاغو)

(٨) النصره و ١٣٩ أ - ١٤٠ ب

عليه ^(١) فكادوا له ودسوا حتى رموه بالاحاد ^(٢) وعملوا على قتله ، واعتمدوا هذه الحجة ^(٣) ، وما كانوا لينجحوا لو لم تلق دعاوتهم هوى من قلب السلطان محمود الذي كان ينقم على الطغرائي موقفه وتخريضه اخاه عليه ^(٤) .

(١) النصره ١٣٩٩ أ ، مختصر الوفيات و ٣٩٩

(٢) عيون الأخبار ج ١٢ ص ١٢٠ . اكسفورد

(٣) ابن خلكان

(٤) ذكر سبط ابن الجوزي في المرأة ٨ : ٥٦ (شيكاغو ، وتنظر حيدر آباد) : « وكان السلطان محمود قد نسب خروج أخيه مسعود إلى الطغرائي ... حكى ابن السمعاني في الذيل أن السلطان محموداً ... جلس يوماً في قصر فيه عصافير فقال : آذنتنا هذه العصافير . فقال له خواصه : يأمر السلطان بعض الفرّاشين يصعد إليها بسلم فيرمي اعشاشها ، أو يأمر بعض الغلمان أن يرميها بالبندق . فقال : ما أستحل ذلك . فقيل له : فكيف استحللت قتل ... الطغرائي مع شيخوخته وفضله ! فقال ما مع الفضل فضول ، يعني أنه أوقع بينه وبين أخيه ... »

وينظر ابن جماعة و ٧٥ ، وربما فهم منه أن ابن السمعاني أخذها عن عبد الرحمن بن الأخوة ... ويظهر أن ابن النجار قد أعاد روايتها .

ويبدو أن مقتل الطغرائي كان مصدراً للخيال وعرضة للروايات : فقد ذكر ياقوت في الارشاد : « وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغرائي أمر به أن يشد إلى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة بالسهام ، وأن يقف إنسان خلف شجرة يكتب ما يقول . وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير اليكم فوققوا والسهام مفوقة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحال :

ولقد أقول لمن يسدد سهمه نحوي وأطراف المنية شرع

والموت في لحظات أحور طرفه دوني وقلبي دونه يتقطع =

== بالله فقتل عن قوادى هل يرى فيه لغيرهوى الأُحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيئه عهد الحبيب وسره المستودع
فرق له وأمر باطلاقه ، ثم إن الوزير - السميري - أغراه بقتله بعد
حين ، فقتله .

وقد ذكر الصفدي أيضاً هذه الرواية في الغيث ج ١ ص ٨ فقال « أخبرني
العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري بالقاهرة
المحروسة ، أن الطغرائي ، لما عزم أخو مخدمه على قتله أمر به ... الخ »
وعلق الصفدي : « قلت ما هذا الاثبات جنان في ثبوت جنون ، لقد أربى
هذا في الثبات والشجاعة وعدم الالتفات الى الحياة ونفادها والوفاء بشرط
الحبة والذكرى لمحجوبه في السراء والضراء على عنثرة العبيسي وغيره ممن تبعه
من الشعراء في قوله : ولقد ذكرتكَ ... الخ

وذكرها - على صورة اخرى ابن حجلة المتوفى عام ٧٢٥ في كتابه
ديوان الصباية ص ١١٠ إذ قال : « ... ولما عزم ... على قتله بعد أن قيل له
عنه أشياء من جملتها أنه يحب المملوك الفلاني من ممالك السلطان ممن كان
السلطان يحبه ويميل إليه .. وأخبرني من حكى هذه الحكاية من أهل الأدب
أن أول من فوق إليه السهم المملوك المتيسم هو بحبه فأنشد في تلك الحالة ...
ولقد أقول ... »

ورواها الشيخ داود الانطاكي (من أعيان القرن الحادي عشر) فقال
في كتابه « تزيين الاسواق بتفصيل احوال العشاق » ٢١٨ - ٢١٩ « .. وإمام
هذا الشأن - اي الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء - والتفرد في
هذا الميدان ، الطغرائي . قيل إنه علق مملوكاً لمؤيد الدين [الصحيح : للسلطان
محمود ...] كان يهواه فحين بلغه نغم على الطغرائي فأراد قتله .

يفت في عضد هذه الروايات تأخر عهدا وما فيها من « تمريض » ومن =

آثاره

للطغرائي ديوان شعر جمعه بنفسه ، وسمعه منه وقرأه عليه سديد الدولة ابن الانباري^(١) وأبو بكر عبدالله بن علي المارستاني، وروى عنه مقتطفات وقصائد الأمير أسامة بن منقذ وابن الشجري وابن الاخوة والامام محمد بن الهيثم^(٢)

وقد وصف السمعاني الديوان بأنه جيد ؛ وسبط ابن الجوزي بأنه مشهور . وما زالت منه نسخ خطية في أكثر مكتبات العالم^(٣) ويمكن تبويب ما وقفنا عليه من مخطوطات هذا الديوان على عائلتين - ليس بينهما فرق كبير -

أ - النسخ التي تتبع نظام حروف الهجاء للقوافي ، ومنها :

١ - مخطوطة القاهرة ، رقم ٧٩١٧ ، أدب - دار الكتب

٢ - مخطوطة لندن رقم ٧٥٥٨

= عبث في ذكر الأسباب والمسببات ومن جهل بشيخوخة الطغرائي ومطامحه ومن اعتباط في اطلاق الاحكام وسخاه في بذل الاعجاب . ومن المناسب أن نذكر أن الأبيات : ولقد أقول ... قد نظمت قبل هذه الحادثة ، فقد جاء على الورقة ٧٥ من تعليقة ابن جماعة عن ابن أبي روح الهروي قال حدثنا أبو سعيد السمعاني قال انشدنا أبو طاهر محمد العقيلي [عن] محمد بن منصور العروضي قال انشدنا الاستاذ أبو اسماعيل الليثي لنفسه : ولقد أقول ... »

(١) الصفدي في الوافي ٣ : ٢٧٩

(٢) تنظر التعليقة وختصر الوفيات ٣٩ ب ، والصفدي في الغيث ١ : ٧٧

(٣) ينظر بروكلمان ودائرة المعارف الاسلامية وقائمة المصادر من

هذا الكتاب .

وتبدأ مقدمة هذه العائلة بـ « كتب الأجل مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين ابن علي بن محمد - رحمه الله - إلى بعض من الخمس منه أشعاره : قد انتهيت إلى ما اقترحه الشيخ الامام - ادام الله نعمته ، وتحملت في جنب رضاه التعرض لنقد النقاد ، وخف عليّ في الامتنال له التكشف لجهاذة الكلام ... واثبت طرفاً مما علق بحفظي من المقاطيع المتفرقة والقصائد ، على تهافت اجزائها واختلاف نظامها وقلة التمرن لها وفتور الرغبة في الاشتغال بتهذيبها ... »

ب - النسخ التي كادت تكون مرتبة حسب الموضوعات : المديح ■ الشكوى ، الرثاء ، الغزل ، الوصف .. الخ . ومنها :

١ - مخطوطة القاهرة ، رقم ١٥٢٨ أدب - دار الكتب

٢ - مخطوطة الاسكوريال باسبانيا رقم ٣٠٤

٣ - مخطوطة الجامعة الاميركية في بيروت Ms. 892.71 T64d A

ومقدمة هذه العائلة تشبه مقدمة العائلة الأولى (دون أن تحتوي على السطر الأول منها) . ولكنها تضم القصيدة النونية التي مدح الشاعر بها الملك مسعود الذي استوزره عام ٥١٣ :

نظري إلى لمع الوميض حنين وتنفسي لصبا الأصيل أنين
ولي عهد ما يس من من ذليل ... عا أن دربان هدم العائلة (ب) ، جمع في أقار تقدر
- بعد هذا التاريخ . وربما كان في ذلك ما يؤيد الحاج خليفة الذي قال - وهو يتحدث عن ديوان الطغراني - : « جمعه بعض أحفاده »
وفي نسخ هذه العائلة « ب » (عدا نسخة بيروت) نجد مقطوعة من خمسة أبيات غزلية مطلعها :
خذا من صبا نجد أمانا لقلبه فقد كاد رياه يطير بلبسه^(١)

(١) ديوان الطغراني المطبوع ص ٩٧

وحشر المقطوعة خطأ لا غبار عليه ، لأنها من شعر ابن الخياط^(١) ، على رأس قصيدة طويلة^(٢) قال عنها ابن خلكان : لو لم يكن له إلاها لكفاه^(٣) .

وقد طبع ديوان الطفرائي عام ١٣٠٠ في القسطنطينية - بمطبعة الجوائب^(٤) ، ويمكن القول بأن هذا الطبع قد تم على نسخة من مخطوطات العائلة « ب » - وإن جاءت هذه الطبعة خالية من أبيات الغزل الغماني التي تضمنتها المخطوطات^(٥) . وعلى الرغم من الخدمة التي قدمتها هذه الطبعة فإنها خلو من كل مميزات النشر الحديث وما يقتضيه من دقة وتحقيق ومقابلة نسخ وفهارس .

ولا تضم نسخ الدواوين المنظومة التي سماها الطفرائي « المقاطيع في الصنعة » (أي صنعة الكيمياء) التي اشار اليها الصفدي^(٦) ، وتحفظ مكتبة كلية الآداب من جامعة القاهرة بنسخة مخطوطة لها . ولم تضم الدواوين كذلك ،

(١) ابو عبدالله أحمد بن محمد ... الدمشقي التغلبي ، ولد عام ٤٥٠ بدمشق وتوفي بها عام ٥١٧ (ينظر ابن خلكان ١ : ٧٩ - ٨٠ ، وتنظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٣٣ -) ، طبع ديوانه في النجف سنة ١٣٤٣ وسيصدر بطبعة جديدة محققة بدمشق تتقدمها هذه الدراسة التي نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي .

(٢) ديوان ابن الخياط ص ٧ - ١٣

(٣) ابن خلكان ١ : ٧٩

(٤) وليس هناك أي دليل على احتمال تأييد من ذكر أنه طبع في دمشق

(٥) لعل الناشر طواها عمداً لمعنى أخلاقي

(٦) الصفدي ، الفيت ١ : ٨ - ، وجاء في اعيان الشيعة ج ٢٧ ، مطبعة

الانقاز ، ١٩٤٨ ص ٨٢ « ... وينسب إليه اشعار كثيرة في مدح أهل

البيت (ع) لا توجد في ديوانه وكأنها سقطت منه . » (٧)

الآيات التي صدر بها الطغرائي جوابه على تهنئة الحريري له عام ٥٠٩^(١).
وأشهر قصائد الطغرائي هي اللامية التي مطلعها :

أصالة الرأي صانتي لدى الخطل وحلية الفضل زانتي لدى العطل
وتقع في (٥٩) بيتاً من البحر البسيط ، نظمها - كما رأينا - ببغداد يشكو
ويصف حاله عام ٥٠٥ وقد جرّد من منصبه . ومن حق القاري أن يستغرب
وجود الآيات الغزلية والمغامرات الغرامية فيها ، ومن المناسب أن نذكر أن
ابن الأخوة روى اللامية عن المؤلف نفسه منزهة عن هذه الآيات^(٢).

وقد حازت هذه اللامية إعجاب القراء والسماعين والنقاد على مر العصور ،
وهي أهل لذلك ، لما فيها من متانة في السبك وجيشان في العاطفة وخصب في
القريحة ، وتفسر حكمها الجانب الأكبر من عناية القدماء بها .

عرفت اللامية - بلامية العجم لسبب غير وجيه ، فما فيها شيء من العجم
أو لهم ، وليس لها صلة تذكر عند مقارنتها بلامية العرب المنسوبة للشنفرى^(٣)
شرحت هذه اللامية كثيراً ، وأقدم هذه الشروح ما صنعه أبو البقاء
عبدالله بن الحسين العكبري المتوفى عام ٦١٦ . أما اضخمها وأشهرها فهو « كتاب
الغيث المسجّم في شرح اللامية العجم » الذي عمله صلاح الدين الصفدي المتوفى

(١) ياقوت في الارشاد

(٢) ابن جماعة في التعليقة

(٣) قال الصفدي في شرح اللامية ١ : ١٣ « إنما سميت لامية العجم
تشبيهاً لها بلامية العرب ... قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم نظير تلك
بمعنى إن كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالأدب والأمثال والحكم فان
للعجم لامية مثلها ... » وأسرف بعضهم وقال : ان الطغرائي « اراد ... ان
يعارض لامية العرب بلامية العجم لأنه عجمي أصفهانى ... » - نزهة الجليس
٢ : ٧٧ ولا نرى في اللامية ارادة المعارضة كما اننا لم نر ان صاحبها عجمي .

عام ٧٦٤ ويقع في حوالي (٥٥٠)^(١) .
ولا تكاد تخلو مكتبة في العالم من نسخة أو أكثر لخطوطة تتصل
باللامية ، فلقد شغلت هذه القصيدة الناس حتى طلائع العصر الحديث .
هذه الشروح ، مهما تطل ومهما تتعدد ومهما يفخر بها مؤلفوها فإنها ليست
دراسة للقصيدة أو تحليلاً وإنما هي كتب للغة والنحو والبلاغة والشواهد
تتخذ اللامية حجة من الحجج وسبباً من الأسباب ، ولا ترى من واجبها - بعد
ذلك - أن تغوص إلى ما وراء اللفظ وأن تربط بين الشعر وحياة ناظمه أو
حالته النفسية . ومن يقرأ مقدمة شرح الدماميني ويبتظر جديداً فهيئات .
وكان إسماعيل مظهر قد وعد بدراسة اللامية دراسة حديثة^(٢) ولا نعلم أين
انتهى به الوعد .

كان الطغراني شاعراً وكان كاتباً « حسن الكتابة ومالك قلم
الانشاء . ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه في

(١) ومن الشروح الأخرى : شرح الديميري المتوفى عام ٨٣٩ وقد
اختصر به الصفدي ، وشرح الدماميني (بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر
المالكي المتوفى عام ٨٢٨) ، وابن جماعة النحوي وسماء المبهم من لامية المعجم ،
وعلي بن قاسم الطبري وسماء حل المبهم والمعجم في شرح لامية المعجم ، وجمال
الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضري وكان نشر العلم في شرح لامية المعجم ،
وحسين الكفوي وجمعه من الشروح كشرح الصفدي ... ، وجمال الدين
خضر الحنفي الذي ألفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ ... الخ ينظر كشف الظنون
فقد ذكر الحاج خليفة أكثر هذه الشروح ، كما تنتظر قائمة المصادر والمراجع
ليعرف ما وقفنا عليه من المخطوطات والطبوعات .

(٢) مجلة الرسالة ، العدد ٢٠٩ .

الترسل»^(١) ولم يصل إلينا من «نثر الدراري والدرر» إلا رسالة واحدة هي جوابه على تهنئة ابن الحريري، ومنها :-

«وصلني... كتاب اتسم بالمكرمة الغراء وابتسم عن التكرمة العذراء، نخلته كتاب الأمان من الزمان، وتلقيته كما يتلقى الانسان صحيفة الاحسان، وقابلت ما اودع من البر والطول المبر بالشكر الذي هو جهد القل ونسك المستقل، ووجدت ما ألحف من التجميل واتحف عن الجميل ما كانت أطماعي تتوق إليه وآمالي تحوم حواليه...»

والرسالة بادية التكلف لما يسمونه بالبديع ولا سيما الجناس والسجع، وكان هذا التكلف ذوق العصر ونمط كتابته الرفيع وكأ أنه الغاية الأولى، اما الغرض الذي حررت من أجله الرسالة فليس بالمهم ولا بأس في أن يتواري خلف الزاويق.

ولم يقف الطغرائي عند الشعر والنثر، فقد كان واسع المعرفة، ميرزا في مختلف فنونها، وقد كرس غير قليل من همه للكيمياء^(٢) واشتغل فيها

(١) الصفدي عن المهاد ١ : ٧، وينظر ابن خلكان، وقد مررت معنا، وينظر الارشاد، وعود الشباب و٧٨، وتمة الخبر «... سوى أمين الملك أبي نصر بن أبي حفص من أهل أصفهان لتقدمه، لكن برز عليه في فنون العلم وحسن الاستمارة في النثر والنظم، سلك المذهب وابدع المعنى المذهب...» ومنه «تشرفت به الدولة السلجقية وتشوفت إليه المملكة الأيوبية». وجاء في عود الشباب عن أمين الملك... انه «كان من محاسن الزمان و... كان منشيء الدولة السلجقية حين غصنها وريق... ذكره الباخري في الدمية...»

(٢) قال ابن خلدون: علم الكيمياء: علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك... وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسير وأنه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة... فيعود ذهباً إبريزاً...

حتى عدّ من شيوخها وأئمتها^(١) ، وظل المعنيون بهذا « العلم » يذكرونه باعجاب وتمجيد . روى المهادقال « حدثني الامام محمد بن الهيثم بأصفهان عنه أنه كشف بذكائه سر الكيمياء الرموز واستخرج معاه الكنوز »^(٢) . وهذه الرواية تنسجم وما ادعاه الطفرائي في شعره^(٣) .

وله في الكيمياء « تصانيف وهي معتبرة عند أربابها منها كتاب مفاتيح الرحمة وجامع الاسرار وكتاب مصابيح الحكمة وكتاب تراكيب الأنوار ، ورسالة وسمها بذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات بيّن فيه اثبات صناعة الكيمياء والرد على ابن سينا في ابطالها بمقدمات من كتاب الشفاء »^(٤) .

(١) ابن خلدون في المقدمة ، علم الكيمياء ص ٥٠٤ من المقدمة ، مط . مصطفى محمد (٢) ياقوت في الارشاد ؛ الصفدي في الغيث ، المهاد في مختصر علي رضائي للخريدة (عود الشباب و٧٨ ب) (٣) الديوان ص ٧٩

(٤) ياقوت ، الصفدي ، وينظر فهرس المكتبة الوطنية بباريس وفهرس مكتبات إيران وغيرها . وفي أسماء هذه الكتب اختلاف ، ويفهم من مخطوطة مكتبة مجلس ملي بطهران ، رقم ٧٣٠ ومن مقدمة المؤلف نفسه ان « مفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة كتاب واحد : الأول جزؤه الأول والثاني جزؤه الثاني . وكتب على غلاف المخطوطة أن من مصنفات الطفرائي : كتاب الاحسان في علم الميزان وكتاب نهج القويم وكتاب صحيفة ناموس الحكمي في تهذيب احجار السبعة ، وكتاب أفعال الطبيعة وأسرار الخليقة . وله كتاب الارشاد إلى الأولاد (وهو رسالة بثلاث صفحات) .

وقال ابن خلدون في المقدمة ، الكيمياء : ص ٥٠٤ وإمام المدونين فيها جابر بن حيان ... والطفرائي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع اهلها وغيرهم من الحكماء . وتنظر ص ٥٢٥

والطغرائي فخور بمكانته من هذا العلم ، وقد قال في مقدمة احد مؤلفاته في الكيمياء : « ولما علمت أن العلم أحرص شيء إلى نفسي تحققت أن لا يناله أحد من غير أهله ولا أبناء جنسه فألفت في ذلك كتاباً لم يسمح الدهر بمثله . ولما فرغت منها عنّ لي أن أجعل كتاباً في ذلك جامعاً لذلك الفن على العموم والشمول ومحيطاً بكل ما عز على الأوائل ذكره ، واني اعلم قطعاً أنني لو كنت في زمن افلاطون ورسبيوس واطلمع على ما فعلته ونهيت عليه وأظهرته للعالم من هذا الفن في هذا الكتاب لما كان يسع أحدهم إلا ذبحي ولتحيل على إخراجي من هذا العالم بقتلي ، ولكنني استخرت الله تعالى مرازا وانا أنظر .. الاذن والارادة لا يراز هذا الكتاب ... وسميته « بمفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة » ليكون بما اودعته فيه من العلوم وأوضحته مطابقاً فخواه لاسمه ، ورتبته على مقدمة وسبعة ابواب ... »

وقد ظلت هذه المؤلفات مصدراً مهما للمعنيين بهذا « العلم » يدرسونها ويتناسخونها معجبين بمجدين لمؤلفها « الحكيم البارع والفيلسوف الفاضل » والمحقق العامل . وأهل الصنعة أكثر من تمسك بلقب « الشهيد » وكأنهم يضيفون اليه بذلك إكباراً إلى إكبار . اما غيرهم فيقولون : ان تصانيفه في الكيمياء « قد ضيعت من الناس أموالاً كثيرة »^(١)

(١) السكامل وينظر الارشاد والجزء ٢٧ من أعيان الشيعة .

خاتمة

تتصل حياة الطغرائي وشعره اتصالاً وثيقاً بتاريخ العصر السلجوقي :
أدباً وسياسة

ويؤلف طموحه الى المناصب مفتاحاً يفسر كثيراً من آلامه وآماله
وكثيراً من اعماله وأشعاره .

وعلى أنه شاعر من ايام بداية الانحطاط في تاريخ الشعر العربي فان رثاءه
لزوجته يكاد يكون منقطع النظير في الأدب العربي ، وفي هذا الرثاء وفي الفخر
والشكوى ، وفي اللامية والبائية ... من العواطف والمعاني والأساليب ما يدل
على قريحة جديرة بالعبارة لذاتها فضلاً عن فوائدها التاريخية ، ان الطغرائي
« امير شعراء » عصره و « متفبيهم » الصغير .

الفصل الثاني

الأبيوردي

مصادر دراسته

(١) الأبيوردي : ديوانه وفيه : نسبه « عائلته ، ابوه ، امه ، أعمامه ، أخواله ، صلاته ، ص ٩ ، ١٠ ، ٩٣ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢٥٣ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٦٣ ... (وتقابل النسخ الخطية)

(٢) الطغرائي : ديوانه ص ٨٦ - ٨٧ عتاب بين الشاعرين

(٣) ابن منده : (يحيى بن عبد الوهاب ، مؤلف تاريخ اصبهان والمتوفى عام ٥١١ او ٥١٢ ، خبر برد في الارشاد و « المحمدون » عن فضله « موته عام ٥٠٧ .

(٤) السمعاني : مما يمكن ان يكون من مواد ذيل تاريخ بغداد : متفرقات في الارشاد : نسبه ، اخبار يرويها عن أبي علي أحمد بن سعيد العجلي المعروف بالبديع : طموحه ، اعتزازه بأمويته ، أبيات . ويروي هذه الأخبار « المحمدون » : « وكتب إلي أبو المظفر عبد الرحيم بن تاج الاسلام المروزي عن مرو ، انا أي سماعا عليه من كتابه ... » ، وتكرر في « الانباه » من غير سند .

وفي « الانساب » مادة (المعايي) : ٥٣٥ ب - ٥٣٦ ويشير هامش الانباه .

الى ٤٩٠ أ؛ نسبه كوفن ، اساتذته ، علمه ، محدث ، شعره ، وفاته في
أصبهان ٥٠٧

(٥) السِّلَفِي ، طبقات الشافعية : لم يصل إلينا الكتاب ولكن السبكي
والسيوطي (في البغية) ينقلان عنه : مشرف . وفاته . كان السلفي قد خص
الأيوردي بجزء كامل .

(٦) ابن الجوزي : ج ٩ ص ١٧٦ - ١٧٧ عام ٥٠٧ : « أخلاقه ، شعره ،
أخبار برواية المعجلي صديق الشاعر .

(٧) الخريدة ج ٢ (بلاد المعجم) : نخ . ليدن 384 n وفيه : خراسان ،
نسبه ، جده ، مشرف ، وفاته مسموما ، مختارات كثيرة من شعره على حروف
الهجاء للقوافي . ومن مصادره : الطنزي أبو الفتح . وربما ابن منده .
اما المخطوطة رقم 212 n فغير تامة

وفي مخطوطة اكسفورد يراجع « الطنزي » راوية الايوردي
وفي مخطوط باريس ، ج ١ ، يراجع « علي بن أفلح »

(٨) عروضي سمرقندي - چهار مقاله ، يذكر ديوانه ، تنظر الترجمة
العربية ، اما في الترجمة الانكليزية فعلى ص ٢٤

(٩) ياقوت « أ » الارشاد ٦ : ٣٢١ - ٣٥٨ (= ١٧ : ٢٣٤ - ٢٦٦)
من ط . دار المأمون) : نسبه ، الشك في أمويته ، كوفن ، المعاوي ، اعتذاره
إلى المسترشد برسالة رآها ياقوت بخط الشاعر نفسه ، دراسته ، علومه ، أخلاقه ،
أشعاره ، ومصادره : السمعاني ، والعماد وربما ابن الجوزي والبيهقي مؤلف
وشاح الدمية ... دار كتب النظامية ، عند صدقة ، ثراء ، مشرف ، مؤلفاته ،
مختارات ، وفاته .

ترجمة مهمة تعتمد مصادر أساسية لم يصل إلينا أكثرها .

« ب » البلدان : أيورو ، برد لسير (شاعر نائر) ، كوفن .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٨٤ سن ٤٧٦ وزارة أبي شجاع ؛ سن

٤٩٢ ص ١٩٢ - ١٩٣ تحريض المسلمين على الصليبيين ، سن ٥١٥ ص ٤٤٩ مع الخطير ، سن ٥٠٧ ص ٣٥٠ ، موته ، ديوانه .

(١١) القفطي : « أ » الحمدون الورقة ١٠ ب - ١٢ أ : ... فنون ديوانه ظروف تأليف كتابه « تلة المقرور » . ويتفق عدد من أخبار القفطي مع أخبار ياقوت دون أن يشير إليه وليس من السهل أن نقرر أن القفطي قد نقل عن الارشاد . ومن مصادرها : ابن منده والسماعي . و « للمحمدون » من الأهمية ما للارشاد .

« ب » ويتكرر عدد من الأخبار التي يرويها القفطي في « الحمدون » في كتابه « انباه الرواة » ٣ : ٤٩ - ٥٢ (وينظر هامش الانباه)
اخبار « الحمدون » أوسع ... ولا يشير المؤلف في أحد كتابيه إلى الآخر .

(١٢) سبط ابن الجوزي ج ٨ ، كأنه يختصر كتاب جده في المنتظم
(١٣) ابن خلكان : ٢ : ٣٨١ - ٣٨٤ ترجمة مهمة وان وردت أكثر عناصرها عند ياقوت . ٢ : ٩١ : لقاءه الشاعر علي بن مسهر (تنظر الخريدة ، ج ٣ . الموصل) برواية كمال الدين الشهرزوري عن العماد . وفي ٢ : ٤٧٠ رثاؤه الغزالي .

تذكر هذه الطبعة (الوطن ، القاهرة ١٢٩٩ / ١٨٨١) ٢ : ٣٨٤ ابن عام ٥٥٧ تاريخاً لوفاته ومثلها في ذلك الطبعات الأخرى ، حتى طبعة عبد الحميد محي الدين وهذا خطأ يرجع للناسخين أو للناسرين وصحيحه عام ٥٠٧ كما في طبعة وستنفلد ص ١٠٣ وفي مخطوط ابن خلكان باريس رقم ٢٠٥٨ ص ٢٦٤ أ - ٢٧٤ ب . ورقم ٢٠٥٠ ص ٢٩٣ أ ، وفي نسخ طهران وفي مختصر الوفيات للبارزي مخ . باريس ص ٩٤ ب

ومن الباحثين الذين بكروا في التنبيه الى هذا الخطأ في تاريخ الوفاة :
بروكلان .

ومن اخطاء مطبعة الوطن كتابتها كوفن على كوقن وهو خطأ فظيع
تكرر في طبعات اخرى .

(١٤) الصفدي ، الوافي . مط ١ : ٩١ - ٩٣ : ... وينقل عن ابن
منده ويذكر عام ٥٠٨ والسمعماني يعده تاريخ وفاة الشاعر .

(١٥) السبكي (المتوفى) عام (٧٧١) - طبقات ، ٤ : ٦٢ - ٦٣ ...
مشرف . ستمه . يعتمد السمعماني وعبد الغافر المؤرخ والسلني وقد جاءت نسبته الى
« الكوفي » والصحيح الكوفي ويمكن رد الخطأ الى الناشرين أو الناسخين .

العبر ٢ : ٥٠٧ ؛ ابو الفداء ٣ : ٢٣٨ ؛ ابن كثير ٩ : ١٥٦ - ٧ ؛ اليافعي
٣ : ١٩٥ ؛ السيوطي - تاريخ ص ١٧١ ، ١٧٣ ؛ البغية ص ١٦ ؛ حاج خليفة
١ : ٧٧٤ ؛ الحنبلي ، شذرات ٤ : ١٨ - ٢٠

بروكلمان ١ : ٢٩٣ - ٤ ؛ ذيله ١ : ٤٤٧ - ٨ ؛ دائرة المعارف
الاسلامية ٧٢٢ ؛ هارتمان ٤ : ٨٤٦ ؛ هيار ص ١٠٩ - ١١٠ ، زيدان ٣ :
٢٩ ، الزهراء ج ٣ ص ٢٢٨ - ٢٤٢ ، الرسالة العدد ٨١٧ ، مصطفى جواد في
تسکلة الکمال الکمال ص ٤٥٦ -

وفي عام ١٩٥٦ (؟) صدر بدمشق كتاب « الأبيوردي » تأليف
ممدوح حقي وهو كما يذكر مؤلفه رسالة نال به درجة جامعية من كلية الآداب
بالجامعة المصرية . والكتاب مقسم الى كتابين : الأول ويقع في حوالي ١٨٠
صفحة وهو الدراسة أما الثاني فهو « مقتطفات من شعر الأبيوردي » .
والمؤلف معجب بالشاعر أكثر مما يجب وبأمويته أكثر من ذلك ولم يلتزم
اصول البحث الجامعي وذلك بعض ما اخرجته عن الروح العلمي المتزن . وأوقعه
بأكثر من خطأ - وإن كان حسن النية في اعتقاده أن « الأبيوردي » ممثل
القرن الخامس في برلمان الفكر العربي .

حياته

أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن محمد ابن إسحاق بن الحسن بن منصور بن معاوية الأصغر بن محمد بن عثمان . . بن عنبسة ... ابن أمية^(١).

ولد في كوفن - وهي قصبة بين نسا وأيورد - في خراسان ، وأول من تدبرها جده معاوية^(٢). « وأول من نصب المنبر بها ، أحد أجداده وهو عبدالله بن الحسين بن معاوية »^(٣). وكان لآبيه مكانة وثراء^(٤).

(١) روى ياقوت في الارشاد سلسلة النسب من تاريخ جمعه منوچهر بن أسفريسيان بن منوچهر . ويراجع : الأنساب ، الخريدة ، ابن الجوزي ، ابن خلكان ... ممدوح حتي ص ٥٩ - ٦٢ وقد يرد شك في نسبه إلا أن ذلك ليس مما يؤبه له كثيراً . فقد جاء في الارشاد : « ... حكى انه من أيورد ولم يعرف له هذا النسب وأنه كان ببغداد في خدمة مؤيد الملك بن نظام الملك فلما عادى مؤيد الملك عميد الدولة بن جبر ألزمه ان يهجو ، ففعل ، فسعى عميد الدولة الى الخليفة بأنه قد هجأ ومدح صاحب مصر فأيسح دمه فهرب الى همدان واختلق هذا النسب حتى ذهب عنه ما قرف به من مدح صاحب مصر . وكان يكتب المعاي . »

(٢) معجم البلدان

(٣) وفي مخطوطة العراقيات بمكتبة الأوقاف ببغداد : انه في أيام الأبيورودي ، كانت الخطابة بكوفن لعمه أبي علي الحسن بن محمد بن أحمد بن إسحاق المعاي « يستنبد فيها من يختاره ، وربما تولاه بنفسه في الاعياد والأشهر الحرم . »

(٤) اذا صدقنا الشاعر في ديوانه المطبوع ص ٩ ، ٤ ، ٧ ، ١٧٧ ،

وقد يقرن الشاعر إلى الفخر بأبيه وأعمامه ، الفخر بأمه وأخوانه :
أنا ابن الأكرمين أبا وأما وهم خير الوري عثما وخلا
أنا المعاوي أعمامي خلائف من أبناء عدنان والأخوال من سبأ

فأين مثل أبي في العرب قاطبة ومن كخالي في صبيابة المعجم
ويشير هذا البيت الأخير ، وأبيات غيره ، إلى خوالة فارسية^(١)
ويبدو أن « محمدا » أمضى « عنفوان شبابه » في رخاء وترف وأنس^(٢) ،
دون أن يمنعه ذلك عن دراسة اللغة والنحو والتأريخ والأنساب والفقه والحديث
والقراءة^(٣) ولعله بدأ دراسته مبكرا . وقد قال الشعر منذ صباه « وكان نظام
الملك أول حماته »^(٤) .

سافر الأبيوردي في البلاد ، وأقام ببغداد عشرين سنة حتى يموت طبعه

(١) في الديوان المطبوع : « وكتب الى بعض اخواله من سروات
المعجم » ص ٨٦٣ ، ٣١٥ ، وكذلك في مخطوطة مكتبة الأوقاف . أما في
مخطوطة لندن فـ « ... إخوانه ... » ، ينظر ممدوح حقي ص ٦٠ ، ٧٢ ، ٨٤ .
(٢) مقدمة ديوانه المخطوط في لندن وبغداد ...

(٣) ذكر ابن الجوزي وياقوت وسبط ابن الجوزي والسبكي ... عدداً
من أساتذته فقد سمع إسماعيل بن مسعدة الجرجاني وعبد الوهاب بن محمد بن
الشهيد وأبا بكر بن خلف الشيرازي وأبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي
وعبد القاهر الجرجاني النحوي ... وذكر ياقوت في الارشاد ٦ : ٣٤٦ أبا زكريا
التبريزي وذكر السبكي ٤ : ٦٢ إمام الحرمين .

(٤) ديوانه ص ١٩٣ ، ٣٤٤ ، ٢٨ - ، وذكر فتح قلعة جعبر ودخول
الأتراك انطاكية . وربما كان ذلك حوالي عام ٤٦٣ (ينظر ابن الجوزي
سن ٤٦٣)

على العربية ، ولكنه ظل - مع ذلك - يرتضخ لكنه .
ولا نعرف تاريخ دخوله بغداد ، ولا نجد للخليفة القائم أثراً في ديوانه ،
ولكنه مدح المقتدي بعدة قصائد ، وهنا وزيره أبا شجاع عام ٤٧٦ ، ورثي
الرجائي المتوفي عام ٤٧٨ .

ومن أخبار الأبيوردي - فيما يتصل بالمستظهر أنه كتب رقعه إليه وعلى
رأسها : الخادم الماوي ، فكره الخليفة مكانته بذلك فكشط الميم من
الماوي ورد الرقعة إليه فصار الخادم الماوي^(١) .

وكتب إليه مرة في إحدى قصائده يلتمس منه داراً يسكنها^(٢) ، جاء فيها :
...فهذه شتوة ألفت كلاهما حتى استبد بصفو العيشة الكدر
ومنزلي أبلت الأيام جدته فشفقني المبليان : الهم والسهر
وللفؤاد وجيب في جوانبه كما يهز الجناح الطائر الحذر

وابن المعادي يهوى أن يكون له مغنى ببغداد لا تخشى به الغير
مشوى يدافع عن كتي واكثرها فيه مديحك - أن يفتالها المطر...
فلما عرضت هذه القصيدة وقع له بقطعة أرض من « الأجة » نائمة عن
العمران - وهي قريبة من « الثريا » . فوهبها لبعض الصوفية من أهل بلده^(٣)
وقال في ذلك :
... طلبت الثريا في السماء بمدحك فأنزلموني بالثريا على الأرض^(٤)

(١) ابن خلكان ٢ : ٣٨٢ عن ابن السمعاني . - وصحيح أن بني
العباس يكرهون الامويين ، ولكن هذا العمل لا يخلو من مداعبة .

(٢) ديوانه ص ١٥٢

(٣) ديوانه المخطوط . و ١٥٤ = ص ١٨٧ من المطبوع ص ٨٨

(٤) الديوان المطبوع ص ١٨٨

ولا ندرى جواب الخليفة عن هذه المقطوعة ، ولكننا نعلم أن صلة الأبيوردي بخليفته كانت على حظ من القوة ، وقد أكثر من مدحه والاعتراف بفضلها عليه .

حدث مرة أن الأبيوردي فارق بغداد « فصدر إليه من الديوان العزيز كتاب عوتب فيه » و « رغبه في عودته إليها فأجاب بقصيدة جاء فيها :

أنا غرس نعمتك التي لا تجتدى معها السحائب فهي منها أغزر
والنجم يضمه لمن يرتاده منك الطلاقة والجبين الأزهر
وإن اقتربت أو اغتربت فأنني لهج بشكر عوارف لا تكفر

* * *

بغداد أيها المطي فواصلي عنقا تن له القلاص الضمر
إني وحق المستجن بطيبة كلف بها وإلى ذراها أصور

* * *

فكأنها جليت علينا جنة وكأن دجلة فاض فيها - الكوثر

* * *

فصددت عنها إذ نبا بي معشري وبغى علي من الأراذل معشر... (١)
وفي هذا البيت الأخير تعريض بمن أُلجأ على الانتزاع عن العراق (٢) .
ونحن نعلم أن الشاعر قد استتجد مرة بمؤيد الملك على الانتصار ممن أساء إليه بالعراق - وهو ابن جبير وزير الخليفة - فأجاره مؤيد الملك وتقدم بايوائه وتوفر على إرعائه (٣)

(١) ديوانه ص ١٤٢ - ١٤٤ ، وينظر الارشاد ٦ : ٣٤٨ - ٣٥٣

(٢) ديوانه المخطوط ١٥١ ب وينظر ص ٦٤ ، وتنظر ص ٢٤٧ - ٢٤٩ ،

٤٤ - ٢٤٧ والمخ. ص ٦٩ - ٧٠

(٣) ديوانه المخطوط ٦٩ - ٧٠ فقال فيه قصيدته .

ولعرف من أخبار إقامة الأيووردي في العراق انه ولي خزانة دار كتب المدرسة النظامية بعد وفاة القاضي أبي يوسف التي وقعت عام ٤٩٨^(١). ونعرف شيئاً عن صلته بصدقة وزيارته إياه في الحلة . ذاك انه « في غفوان قدومه العراق وصف له سيف الدولة صدقة ، فدحه »^(٢). وقد عاتبه مرة صدقة على تجافيه عن زيارته . فمهد عذره في تأخير ما كان يتوقعه من فريضته^(٣) :

وعيرتني تأخير مدحك برهة ومن أين يستوفي محاسنك الشعر
ثم زاره في جماعة كثيرة من أتباعه ومدحه فأكرمه سيف الدولة - وإن خالط
هذه الزيارة شيء من سوء ظن هو جزء من تعاضم الشاعر ، ولكنه لم يلبث أن
زال - بما هو معروف عن كرم الملك العربي^(٤) .

ولما استوزر السلطان بركيارق ... عبد الجليل بن علي الدهستاني (ويقع
ذلك بعد مقتل مؤيد الملك وأسر محمد عام ٤٩٤) « عرض عليه إنشاء الكتب
عنه ، محاماة على ما كان بينها من الخلة المتمهدة والصدقة المتأكدة ، فلم تضغ
همته إلى ذلك ، واستصحبه عند خروجه من الري إلى أصفهان » فانظم في
جملته مشمولاً بالارعاء التام ، حتى استأثر الله به . فاقترح الصفي أبو المحاسن

= لك المجد لا ما تدعيه الأوائل وما في مقال بعد مدحك طائل

* * *

أبابل لاواديك بالرغد مفعم لدينا ولا ناديك بالوفد آهل
لئن ضقت عنا فالبلاد فسيحة وحسبك عاراً أني عنك راحل ...
وتذكر القصيدة اسم غياث الدين واذن فهي في عهد السلطان محمد بن ملكشاه
الذي تغرد بالسلطنة بعد موت أخيه بركيارق

(١) تنظر الخريدة ، مخ . ليدن قسم بلاد العجم ، الارشاد ٦ : ٣٤٣

(٢) الديوان ص ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٣١١ - ٣١٤ ، ٣٣٤ - ٣٣٦

(٣) الديوان ١٣٣ - ١٣٧

(٤) الارشاد ٦ : ٣٥٦ - ٣٥٨

ابن مسعود بن عبدالله بن خلف النيرماني عليه أن ينتقل إلى همدان ، وقيم بها في ضيافته ليبنى له مدرسة تكون مثابة للناس للاستفادة والاقتباس ، وكان تدير الدولة إلى صاحبه الأمير الاسفهيالار اياز التركي ، فأجابه إلى ذلك وتحويل الى همدان ، وقابل ما بذله من الوعد ببناء المدرسة - وإن اخترته المنية دونه - بشكر ضمنه قصيدة .. منها :

... وأكرم مثواها وأمجدها القرى بنو خلف حتى حططت رحالي
وفازوا بحمدي إذ ظفرت بودهم فلم أتعرض بعمدهم لنوال
مغاوير من أبناء بهرام زادة بهم تلقح الهيجاء بعد حيال

* * *

رعى حرمت المجد في تكرما وقد شدّ عزمي للمسير قبالي
وايقن أني لا ألوذ بياخل يضيع عرضا في صيانة مال ... (١)
وسمع سنقر كفجك بخبره فأراد أن يجمله طغراني الملك أحمد ، ثبات أحمد ، فرجع إلى أصفهان بحال سيئة وبقي سنين (٢) يعلم أولاد زين الملك برسق ثم شرح سنقر الكفجك لاسلطان محمد ذلك وأعطاه إشراف المملوكه ... (٣) تولاهما في آخر عمره (٤) ، وكان يدخل مع

(١) الديوان المخطوط . لندن و ١٦٥ ب - وينظر المطبوع ٢٦٥-٢٦٧

(٢) لعلها « سنتين »

(٣) الارشاد ٦ : ٣٤١ عن العماد في كتابه خريدة القصر ، وفي رواية

العماد شيء من التمريض : « ذكروا ... » . السبكي . السيوطي . وفي السبكي ٤ : ٦٣ عن الحافظ السلفي : « ذكروا ... » انه تولى « إشراف الممالك بخراسان كلها »

(٤) الارشاد ٦ : ٣٤١ عن العماد في الخريدة

الخطير^(١) وأبي إسماعيل^(٢) والمعين^(٣) وشرف الدين^(٤) .
 وكان في منصبه هذا حين سقوه السم بأصبهان^(٥) وهو واقف عند سرير
 السلطان فخافته رجلاه فسقط^(٦) وحمل إلى منزله فقال : -
 وقفنا بحيت العدل مدة رواقه وخيم في أرجائه الجود والباس
 وفوق السرير ابن الملوك محمد نخر له من فرط هيئته الناس
 فخامرني ما خائني قدي له وإن رد غني نفرة الجأش إيناس
 وذاك مقام لا نوفي به حقه إذا لم ينب فيه عن القدم التراس
 لئن عثرت رجلي فليس لمقولي عثار، وكم زلت أفاضل أكياس^(٧)
 والمقطوعة تبين ثقة الأبيوردي بسلطانه ولا تذكر السم ولا تتمم أحدا

-
- (١) ارشاد ٦ : ٣٤١ (وتنظر خريدة بلاد المعجم مخ . ليدن) ، السبكي
 ٦٣ : ٤ والخطير هو أبو منصور محمد بن الحسين المبيدي . . . كان جاهلا . . .
 ولي الوزارة عام ٥٠٥ بعد عزل أحمد بن نظام الملك (ينظر البنداري)
 (٢) « جمع بين الطغرأي والأبيوردي صداقة وكره مشترك للسميرمي »
 (٣) مختص الملك ، أعيد إلى الاستيفاء في وزارة الخطير (ينظر
 البنداري) وينظر ديوان الأبيوردي ص ٧ ، ٢٩٣
 (٤) لعله أنوشروان الذي كانت له الخزانة (ينظر البنداري ص ٩٩)
 (٥) الارشاد ٦ : ٣٤١ عن ابن منده بشيء من التمريض ، الخريدة مخ .
 ليدن عن بلاد المعجم « السبكي ٦٣ : ٤ وينقل ياقوت عن ابن منده انه « يقال
 بل سقاه السم الخطير »
 (٦) السبكي عن السلفي ٢ : ٦٣ « وقع ميتا » - ولياقوت رواية أخرى
 انه : « . . . توفي فجأة . . . وكذا ذكر » .
 (٧) الارشاد ٦ : ٣٤٣ - ٣٤٤ ، عن الخريدة . تنظر مخطوطة ليدن .
 وتنظر طبعة دار المأمون للارشاد ١٧ : ٢٣٨ .

كانت وفاته بين الصلاتين ، بين الظهر والعصر ، يوم الخميس في العشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧^(١) . وصلى عليه في الجامع العتيق^(٢)

آثاره

وكان - « فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية » « متبحراً » « عارفاً بالنسب والأخبار » بل « خبيراً بعلم النسب - من اخبر الناس » « نسبة ليس مثله » « نقل عنه الحفاظ الأثبات الثقات ، وروى عنه الحفاظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في غير موضع من كتابه الذي وضعه في الأنساب .

وقد « عد أوجد عصره وفريد دهره . . . كان إما ما في كل فن من العلوم » . وما قيل عن مكانته من الأنساب قيل عن مكانته من اللغة . فقد كان « فصيح الكلام » « عارفاً بالنحو واللغة » « فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية » « متبحراً في الأدب » « أوجد عصره وفريد دهره في معرفة اللغة » وله فيها « مصنفات ما سبق إليها » « وروى عنه جماعة غير محصورة » . وكان إلى ذلك من محدثي عصره وأحد قراء أبيورد ، وبده باسطة في الانشاء والبلاغة^(٣) .

(١) وقد أكثر المؤلفون المحدثون من جعل وفاته سنة ٥٥٧ وكذلك جاءت في مقدمة ديوانه المطبوع . ويرجع الخطأ في ذلك لأسباب منها طبعات وفيات الأعيان ، وقد وقع في الخطأ نفسه محمد محي الدين عبد الحميد في طبعته الأخيرة لابن خلكان . وقد تأثر محمد بهجت الأثري بطبعات ابن خلكان في مقالته بمجلة الزهراء ص ٢٤٢ ولكنه استدرك فجعل الوفاة عام (٥٠٧) في « ديوان الأدب - تنظر ط ٤ ، بغداد ، ١٩٥٨ .

وربما كان بروكلمان أول من نبه الى التاريخ الصحيح .

(٢) تضيف رواية « ودفن بباب . . . »

(٣) ينظر الارشاد ، الحمدون ، ابن خلكان .

وقد وصل إلينا غير قليل من أسماء مؤلفاته^(١) :

تاريخ أيور ولسا .

كتاب المختلف والمؤتلف .

كتاب ما اختلف واثتلف في أنساب العرب .

كتاب قبسة العجلان من نسب آل أبي سفيان .

كتاب كبير في الأنساب .

كتاب نهضة الحافظ .

كتاب المجتبي من المجتبي في رجال كتاب أبي عبد الرحمن النسائي في

السنن المأثورة وشرح غريبة .

كتاب الطبقات في كل علم وفن .

كتاب تعلقة المشتاق الى ساكني العراق .

كتاب تعلقة المقرور في وصف البرد والنيران وهمذان .

جاء في « المحمدون » : ان تعلقة المقرور ، - « كتاب صنفه بهمدان ،

وسببه أن همدان شديدة البرد في غير الشتاء فكيف فيه ، وكان هو وجماعة

من الأدباء يجتمعون في الليل وقد عجزوا عن وقود النار للعدم فأخذوا في

التعلل في ذلك فصار منه تأليف لطيف في فنه »

كتاب صهلة القارح » يرد فيه على المعري في سقط الزند

كوك المتأمل ، يصف فيه الخيل

زاد الرفاق في المحاضرات » وهو كتاب يشتمل على مناظرات مع ارباب

النجوم ونقض لحججههم وغير ذلك من المحاضرات في الأنساب واللغة » منه

نسخة في دار الكتب المصرية مخطوطة سنة ١٢٨٨^(٢)

(١) ينظر الارشاد ، المحمدون ، ابن خلكان ، الوافي ...

(٢) فهرست مخطوطات دار الكتب المصرية ٣ : ١٧٧ (ط ١٩٢٧) .

وينظر زيدان ٣ : ٢٩

وأهم ما يهمننا من الأبيوردي ، شعره . وقد ذكر الشاعر نفسه أن شعره
« كان ... يعرق ويشم وينجد ويتهم ، وأنا لا أتألف شاردة ، ولا أقيد
أوابده ، والرواة يحرفون بعضه عن مواضعه »^(١) ، وذكر أنه جمع منه « خمسة
آلاف بيت مما أملاه » عليه « مرح الفتاة ومبعة الشباب »^(٢) .

وجاء في الأنساب « أن شعره مدون ، سائر على ألسن الناس . »^(٣) ،
وقال العماد : « سمعت كثيراً من شعره من شمس الدين أبي الفتح النطنزي
بأصبهان - وكان ملتهجاً بذكره ، مبتهجاً بشعره »^(٤) . وذكر القفطي أن
« شعره كثير » قد فتنه فنونا على البلاد^(٥) « فقسمه إلى النجديات والعراقيات
وغير ذلك »^(٦) . ويدخل في « غير ذلك » الوجديات^(٧) .

وتضم مكتبات العالم عدداً من مخطوطات دواوينه^(٨) ، رأيت منها :
النجديات والوجديات والمقطعات^(٩) . وللوجديات - وهي الف بيت - شروح
منها : مخطوطة في ليدن كتبت سنة ٧٥٩ ولا تضيف شيئاً يذكر . ومنها :
جهد المقل وجهد المستدل^(١٠) لعمر بن القوام المعروف بالنظام - من أهل
القرن الثالث عشر .^(١١) وفي خطبة هذا الشرح يذكر ابن القوام « أن الامام
أحمد بن عمر بن عثمان الجندي قد سبقه إلى شرحه ولكنه لم يكن كافياً . » .
ولم يأت ابن القوام في شرحه وتعليقاته بأمر ذي بال .

(١) الأبيوردي في مخطوطة ديوانه بدار الكتب .

(٢) السمعاني في الأنساب

(٣) العماد في الحريرة ، مجلدة بلاد العجم ، ليدن . وتظهر ترجمة النطنزي

في نسخة اكسفورد

(٤) القفطي في انباء الرواة ٣ : ٧١

(٥) القفطي في « المحمدون »

(٦) ابن خلكان (٧) ينظر بروكلان ، زيدان ، هامش ص ٥١ =

طبع من شعر الأبيوردي : المقطّعات ، في القاهرة سنة ١٢٧٧^(١) ثم طبع « ديوان الأبيوردي » بالمطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٣١٧^(٢) على ذمة ملزمه عبدالباسط الانسي مدير مطبعة المعارف والمكتبة الانسية . ويذكر الناشر أن هذا الديوان يحتوي على « جميع شعره : العراقيات ، النجديات والوجديات » وأنه صحح بكمال الدقة والاعتناء على عدة نسخ ... معتبرة صحيحة ، والنسخ التي تصحح عليها هذا الديوان هي نسخة محررة أواخر جمادي الأولى سنة ٧٢٧ ونسخة محررة في شهر شعبان سنة ١٠٥٦ ، والثالثة بخط العلامة ... إبراهيم الأحذب ، نقلها عن نسخة قديمة مكتوبة سنة ٦١٨ حينما زار القاهرة سنة ١٢٧٢ . وقد استعنا على تصحيح نجدياته بنسخة قديمة محررة سنة ٧٦٦ ، واستحضرنا أيضاً المقطعات المطبوعة ... وقد كمل تصحيح هذا الديوان ... على النسخة المعتبرة المنقولة سنة ١٢٦٢ بخط العالم ... أحمد عزت باشا الفاروقي العمري ... وبالنظر لوفرة النسخ وتعدد القصائد في بعض الدواوين المذكورة رتبنا هذا الديوان على حروف الهجاء حتى اجتمع في هذه النسخة جميع ما في النسخ التي عثرنا عليها ... »

كان الافضل ترك الديوان كما بوبه مؤلفه الى عراقيات ونجديات ووجديات ... لأن ذلك ادخل في الفن الشعري وادل على الأمانة العلمية - ولا تبرر وفرة النسخ التبويب المعجمي .

= من ج ٣ من انباه الرواة ، مكتبة مجلس ملي بطهران ، مكتبة الأوقاف ببغداد .

(٨) ويذكر زيدان أن مخطوطات الوجديات في برلين ومنشن واكسفورد

(٩) منه نسخة بدار الكتب المصرية وأخرى في المتحف البريطاني .

(١) سر كيس

(٢) يذكر محقق « انباه الرواة » ج ٣ هامش ٥١ : « وطبع بالمطبعة

العثمانية في لبنان سنة ١٢١٧ وبالمطبعة الانسية ببيروت سنة ١٣٢٧ » ويذكر

زيدان أنه طبع سنة ١٣٠٧ (١١)

هذا ، ولا يحفظ الديوان كل شعر الأبيوردي ، فلا نجد فيه - مثلاً - مرثيته
للحسين التي أخبرنا خبرها ياقوت ، ولا مرثيته في الغزالي التي يرويها الصفدي
في الوافي ١ : ٢٢٢ ولا مقطوعات أخرى نجدها هنا وهناك من مختلف المصادر
وأهم ما يجب ذكره عند الكلام على ديوان الأبيوردي المطبوع هو
التنبية الى ما حشر فيه الناشر من شعر الغزي^(١) . فلقد ضم - على غير علم -
كثيراً من ديوان الغزي على انه من شعر الأبيوردي . ولا يستدعي ذلك
البرهنة ، ما دمنا نملك نسخاً خطية من ديوان الغزي ، وما دمنا نجد في ما سماه
الناشر « ديوان الأبيوردي » أبياتاً ومقاطع استشهد بها المؤلفون القدامى
- وهم يتكلمون على حياة الغزي وشعره . ثم هناك ما جريات الأحداث ،
وإلا فإما هي صلة الأبيوردي بغزة وحلب : يتذكرها ويتذكر أطواراً من
حياته فيها . ثم هناك الأسلوب ، والغزي أرك وكثير الاحتفال بالجناس^(٧)

(٣) ينظر مثلاً المخطوطة رقم ٥٢٣ في دار الكتب المصرية ؛ ديوان
الطغرائي ، المحمدون ...

(٥) سترجم له في هذا الباب

(٧) وقد ظهر أن الاستاذ محمد بهجت الأثري قد سبق إلى التنبية الى
ذلك في حديثه عن الغزي في مجلة الزهراء كما ان ممدوح حي اولاه عناية خاصة
وانتبت مطالع قصائد الغزي التي ضمها ديوان الأبيوردي المطبوع .

خاتمة

قال القفطي : « كان - الأبيوردي - حسن السيرة جميل الأمر منظراً في الرجال » « حسن الاعتقاد جميل الطريقة » . وقال السلفي « والله كان الأبيوردي من أهل الدين والخير والصلاح والمفة ، قال لي والله ما نمت في بيت فيه كتاب الله أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، احتراماً لهما » وقال المهاد « كان رحمه الله عفيف الذيل غير طفيف السكيل ، صائم النهار ، قائم الليل »

وقد يكون هذا صحيحاً ، إلا ان أثره في شعره غير بيّن . ومن المؤرخين من ينسب إليه كمال الفضيلة^(١) وكثرة التعفف^(٢) وقوة النفس^(٣) وعزتها وإبائها^(٤) مما لا تؤيده كثرة المدح في شعره . ولا قيمة بعد ذلك لمن قال إنه « لم يسأل أحداً شيئاً قط مع الحاجة المضايقة »^(٥) .

ولئن ظهرت « عزة النفس »^(٦) وعظم الهمة^(٧) في شعره ، فإنما ظهرتا وعلى صورة تدعو للابتسام ، لما بصحبها من الكبر والتية الذي يخرج صاحبه الى الحماقة^(٨) :

« حدث أبو سعد السمعاني عن أبي علي أحمد بن سعيد المجلي المعروف بالبديع قال سمعت الأبيوردي يقول في دعائه « اللهم ملكني مشارق

(١) السبكي (٢) السبكي (٣) السبكي

(٤) خريده . عجم . ليدن .

(٥) ارشاد ٦ : ٣٤٢

(٦) سبكي وغيره

(٧) ارشاد ٦ : ٣٤١

(٨) ابن الجوزي ٩ : ١٧٧

الارض ومغاربها » فقلت له : أي شيء هذا الدعاء فكتب إلي بهذه الايات :

يعبرني أخو عجل أبائي على عدي وتيهي واختيالي
ويعلم انني من فرط حي حموا خطط المعالي بالعوالي
فلست بحاصن إن لم أزرها على نهل شبا الأسل الطوال
وإن بلغ الرجال مداي فيما أحاوله فلست من الرجال^(١)
وكانت « امويته » هذه دافعاً لكثير من « الجماعات »

ولا غروة في أن كان نخره أطرف شعره ، وانه مما يمكن أن يدرس لذاته ،
لما فيه من أصالة تقوم على كذب يعتقد صاحبه صدقه .

اما نسيبه فعليه مسحة من ملاحظة . وقد طرق الى ذلك أكثر أغراض
الشعر الأخرى المعروفة من مدح وثناء .. بأسلوب له حظه من المتانة
والسلاسة في التراكيب ، والفصاحة في المفردات - من دون تكلف
للصناعة البديعية .

ان الأبيوردي من أكبر شعراء عصره ، ويأتي بعد الطغرائي في
قائمة شعراء « الدرجة الثانية » .

(١) ارشاد ح ٦ ص ٣٤١ ، وينظر « المحدثون » « والأنباء » . وينظر
تكملة المال الاكبال ص ٢٥٨ .

وقال السمعاني : سمعت العجلي يقول : « كنت قاعداً مع الأديب تاج
العرب الأبيوردي فلما اردت أن أقوم أخذ الأبيوردي بعضدي فقال :
أموي يعضد عجلياً ، كفى بهذا شرفاً . » وجاء الخبر في الارشاد : « كنت
متكسراً فأردت أن أقوم فعضدني الأبيوردي وعاونني على القيام ثم قال
... بهذا ... » والعجلي من أهل همدان إمام فاضل ... ولد سنة ٤٥٨ ومات
سنة ٥٣٥ همدان ... ينظر عنه الأنساب والدكتور مصطفى جواد في تكملة
الاكبال هامش ص ٤٥٧

الفصل الثالث

ابن الهبارية

مصادر دراسته

(١) ابن الهبارية (أ): نتائج الفطنة ص ٧-١١ ، ٢٧١ في اصفهان ،
كرمان ، صلاته بمجد الملك وأبي الفرج وإيرانشاه . ظروف تأليف الكتاب .
(ب) الصادق والباغم ص ٨-١١ ، ١١٩-١٢٠ ، صدقة ، الحلة ، تأليف
الصادق ، ابنه .

(٢) السمعاني : الأنساب (هباري) و ٥٨٧ ب : نسبه ، جده لأمه ،
بغداد ، وفاته في كرمان . ثناء على شعره (عدا الهجاء) .

(٣) ابن الأنباري ، الزهدة ص ٤٣٧

(٤) العماد : (أ) النصره ، مخ . و ٥٨ أ ، ٦٠ أ ، ١٠٣ أ ، ١٠٤-١٠٥ :

استشهادات يغلب عليها هجاء ساسة العصر . وتحتفظ « الزبدة » بعدد من
هذه الأشعار ص ٦٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ . (ب) الخريدة ج ١ (مخ. ليدن 12a or):
نسبه ، بغداد « أسفاره » صلاته ، موته عام ٥٠٤ ، ثناء على شعره ، منهج
ابن الحجاج ، ديوانه . مختارات كثيرة (ورد بعضها في النصره) . اما
مخطوط باريس 3326 و ٢٤ ب - ٢٧ أ فهو غير تام .

وفي ج ٣ (الشام) مخ . باريس يذكره عرضاً عند الكلام على الشاعر
السابق بن مهزول .

الخريدة مصدر لا يمكن أن يستغنى عنه في دراسة ابن الهبارية ويروي

المؤلف فيها أخباراً سمعها مشافهة . ولم يشر إلى « النتائج » أو « الصادح » من مؤلفات الشاعر .

(٥) ياقوت (أ) الارشاد ٤ : ٢٩٧ يذكر عرضاً كتاب اللقائط .

(ب) البلدان : بغداد ، برداسير ، جار باذقان ، نيسابور

(٦) سبط ابن الجوزي ، عام ٥٠٩ مخ باريس و ٢٨١ - ٢٨٤ أ (وينظر

المطبوع) : ... ابوه ، نظام الملك ، مختارات من كتابه فلك المعاني ، رثاء الحسين ، سفتا وفاته . وبهذا يستدرك السبط على جده .

(٧) ابن خلكان (١) ٢ : ٣٨٦ - ٣٨٩ (محمد بن محمد ...) : نسبه

الكامل ، هـ . بار ، سير حياته ، ينقل عن الخريدة ولكنه يتكلم على « النتائج » و « الصادح » ولا يستغنى عنه اذا لم تتوافر الخريدة او المرأة . (٢) ج ٢ (محمد بن جبير ...) يروي عن كتاب لأسامة ابن منقذ التقاءه السابق بن مهزول وهجاءه ابن جبير . (٣) ج ١ ص ٢٨٣ (الحسين ...) صلاته مع الشاعر البارع ، ص ٤١٠ : صدقة (٤) ج ٣ ص ٤٥٣ بيت لابن الهبارية نسبه إلى حمص ييص .

(٨) ابن أبي أصيبعة . طبقات ج ١ (يحيى بن التميمي) ص ٢٧٧ .

هبة الله ابن التميمي ص ٢٥٩ .

(٩) ابن الطقطقي ص ٢٦٦ - ٢٦٧ أبيات في مديحه وهجائه . وتنظر

الطبعة الثانية ص ٣٥٥

(١٠) الصفدي : الوافي مط . ج ١ ص ١٢٤ ، ١٣٠ - ١٣٣ وفي المخ .

و ٤٠ ، أ ، ٤٢ ، أ - ٤٣ ، أ ، ٩١ ، أ ، كأنه يختصر الخريدة والمرأة وابن خلكان مع شيء من الاختلاف ، ولعله اعتمد مصادر أخرى (ينظر المط . ص ١٣٣ في كلامه على ديوانه)

شذرات الذهب - مرآة الجنان - البداية والنهاية - لسان الميزان ٥ :

دائرة المعارف ، بروكلمان ١ : ٢٩٣ ، تكملته ١ : ٤٤٠ ، هارتمان ٤ :
٨٣٦ - ٨٤٥ ، هيار ص ١٠٧ - ١٠٨ ، شوقان ٢ : ١٧١ - ١٧٤ ، زيدان ٣ :
٢٧ ، ٢ : ١٣٣ ، دائرة البستاني ١ : ٧٢٦ - ٧٢٧ سر كيس ٢٧١ - ٢٧٢ .
حميدة ص ١٥٠ - ١٦٨ يتسكلم على نتائج الفطنة ، الصادح والباغم) ، مجلة
المشرق ، السنة الرابعة . « نظم كلية ودمنة » للويس شيخو

حياته

الشريف نظام الدين أبو يعلى^(١) البغدادي محمد بن صالح^(٢) بن حمزة بن
عيسى بن محمد بن عبدالله بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن
عبدالله بن العباس الهاشمي^(٣) ، المعروف بابن الهبارية ، والهبارية بفتح الهاء
وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف راء ، هذه النسبة إلى هبار ، وهو جد أبي
يعلى^(٤) لأمه^(٥) .

ولد أوائل المئة الخامسة ، ونشأ ببغداد^(٦) ، ومن المحتمل جداً أن يكون

(١) أبو يعلى ، هكذا كتبت في كل المصادر ، وجاء في المرأة على « يعلا » ،
أما في مخطوطة خريدة باريس فـ « يعلي » . وكنيته في « الأنساب » :
« أبو جعفر » .

(٢) وجاء في « المرأة » : « محمد بن علي وقيل بن محمد » . وجاء في مادة
بغداد من معجم البلدان : « وقال أبو يعلى ابن الهبارية : أنشدني جدي أبو
الفضل محمد بن محمد لنفسه : إذا سقى الله ... »

(٣) النسب الكامل في ابن خلكان

(٤) ابن خلكان ٢ : ٣٨٩ ، الأنساب

(٥) ابن خلكان ٢ : ٣٨٩

(٦) إذا صدقنا طبعة حيدر آباد للسان الميزان ، تكون ولادة ابن =

قد تلقى مبكراً المهم من علوم عصره ومعارفه في القرآن واللغة والأدب وما إليها « مما صقل ذهنه »^(١). وكان جده شاعراً ، انشده - فيما أنشده - قوله في بغداد :

إذا سقى الله أرضاً صوب غادية فلا سقى الله غيثاً أرض بغداد
أرض بها الحر معدوم كأن لها قد قيل في مثل : « لا حربي الوادي »^(٢)
ونعرف من علماء العصر الذين اتصل بهم ابن الهبارية الشيخ الشيرازي^(٣) ،
ونحن نعلم أن الشيرازي كان استاذاً بالمدرسة النظامية ببغداد ، وربما كان هذا
هو الذي جعل بروكلمان يقرر ان ابن الهبارية قد درس في النظامية
ولم تكن صلة ابن الهبارية بالشيرازي وأهل العلم والدين لتحول بينه
وبين « خلاعة » ببغداد ومجونها وكان شخصيته كانت خليطاً من هذا وذاك مع
ميل للنسكته وحب للمداعبة :

يقول أبو سعيد إذ رأي غيفاً من ذعام ما شربت

= الهبارية عام ٤١٢ هـ ، ويذكر هذا « اللسان » أنها كانت بأذربيجان ، وذلك
بعيد ، ولو صح لما ترجم له العماد في مجلدة العراق . وقد رجح الدكتور مصطفى
جواد ان تكون « درزيجان » - ولسان الميزان المطبوع في حيدر آباد كثير
التصحيف . ويقول ياقوت عن « درزيجان » أنها : « قرية كبيرة تحت بغداد
على دجلة بالجانب الغربي ... وقال حمزة : كانت درزيجان إحدى المدن السبع
التي كانت للأكرسة وبها سميت المدائن » . ومن المناسب أن نشير إلى أن
لويس شيخو جعله « بغداد المولد » .

(١) ابن الهبارية نفسه في شعر ترويه الخريدة

(٢) ياقوت في معجم البلدان : بغداد

(٣) وقد روى ابن الهبارية عنه أحياناً في مدح بغداد . وما يذكر أن

الشيرازي توفي عام ٤٧٣ ببغداد « وقد رثاه الشاعر - فيمن رثاه -

علي يد أي شيخ ثبت قل لي : فقلت علي يد الافلاس ثبت^(١)

وقد نقل ابن خلكان انه « كان بينه وبين البارع » مداعبات لطيفة « ، فانهما كانا رفيقين ومتحدين في الصحبة ، فاتفق أن البارع المذكور تعلق بخدمة بعض الامراء وحج « فلما عاد ، حضر الشريف (ابن الهبارية) إليه مراراً فلم يجده ، فكتب اليه قصيدة طويلة دالية يعاتبه فيها ويشير إلى أنه تغير عليه بسبب الخدمة ، وأولها :

يا ابن ودي وأين مني ابن ودي غيرت طرقة الرياسة بمدي
- ولولا ما أودعها من السخف والفحش لذكرتها - . فكتب اليه البارع المذكور جوابها واطال فيها وضمنها أيضاً شيئاً من الفحش وأولها :

وصلت رقعة الشريف أبي يع-	لى فقلت محل لقياء عندي
فتلقيتها باهلاً وسهلاً	ثم الصقتها بطرفي وخدي
وفضضت الختام عنها فظننـ (م)	ك بالصاب إذ يشاب بشهد
بين حل من العتاب ومر	هو اولى به ، وهزل وجد
وتجن علي من غير جرم	بعلام يكاد يحرق جلدي
يدعي انني حجت وقد	زار مراراً - حاشاه من قبح رد
ثم دع ذا ، ما للرياسة والحج ،	أين لي من حل أنف وعقد ؟
فباذا عـ - لمت بالله أني	قد تنكرت أو تغير عهدي
من تراني أعامل أم وزير	لأمير أم عارض للجند ؟
أنا ذاك الخليع الذي تع	رف ، أرضي ولو بحجرة دردي
وإذا صح لي مליح فذاك اليو	م عيدي ، وصاحب الدست عندي
أتراني لو كنت في النار مع ها	مان أنساك ، أو في جنان الخلد

(١) ابن خلكان ٢ : ٣٨٧ . وجاء في خريدة ليدن قسم العراق : « يقول

أولو اني عصبت بالتاج أسلو لك ولو كنت عانياً في القد
أنا أضعاف ما عهدت على المـ د وإن كنت لا تجازي بود...

ونقتصر من هذه القصيدة على هذه الابيات ، ففيها سخف لا يليق ذكره... »^(١) والقصيدة تبين طرفاً من خلاعة الشعراء وطرفاً من نفسياتهم وحياتهم ، وإذا أضيف اليها سواها أمكن أن نصدق من يقول إن ابن الهبارية قد أمضى شبابه في خمارة قطربل في ضواحي بغداد^(٢) ولم تسكن روح المداعبة والمعاينة لدى ابن الهبارية لتقف عند حد ، وإنما لتستحيل جرأة في مخاطبة أهل السلطة وولماً بهجائهم . وقد قال ابن خلسكان^(٣) : وجدت بخط أسامة بن منقذ . . أن السابق بن أبي مهزول الشاعر المعري^(٤) قال : دخلت العراق فوجدت ابن الهبارية فقال لي في بعض الأيام إمض بنا لنخدم الوزير ابن جبير^(٥) - وكان قد عزل ثم استوزر - قال السابق فدخلت معه حتى وقفنا بين يدي الوزير فدفع إليه رقعة صغيرة ، فلما

(١) ابن خلسكان ١ : ٢٨٣ - ٤

(٢) دائرة المعارف الاسلامية

(٣) الوفيات ٢ : ٤٨٤ (ترجمة محمد بن جبير) وينظر الوافي ج ١ م ١ - باريس ٩١ (٤) جاء في الخريدة ج ٣ (الشام) م ١ - باريس ١٤٤٠ : « السابق المعري أبو الحين ابن أبي مهزول ... سافر إلى العراق في زمان بني جبير واجتمع بابن الهبارية » . وفي الوافي ٣ : ٣٩ - ٤٠ : « محمد بن الخضر ... التنوخي ... قال ابن المنجار : كان شاعراً مجّوداً ... دخل بغداد وجالس ابن ناقياً والأيووردي وأباً ذكريا التبريزي ... ودخل الري واصبهان ولقي ابن الهبارية الشاعر . » وفي الفوات ٢ : ٢٤٨ - ٢٥٠ : « ... كانت وفاته بعد الخمائة »

(٥) عميد الدولة محمد بن محمد نحر الدولة بن جبير وقد وهم الناشر الذي طبع « الصادح والباغم خسه في مقدمته ص ٦ نحر الدولة نفسه

قرأها تغير وجهه ورأيت فيه الشر ، وخرجنا من مجلسه ، فقلت ما كان في الرقعة ؟ فقال : خير ، الساعة تضرب رقبتني ورقبتك ، فاشفقت وقلت : أنا رجل غريب ، صحبتك هذه الأيام وسعيت في هلاك . فقال : كان ما كان : فقصدنا باب الدار لنخرج فردنا البواب ، فقال : أمرت بمنعكما ، فقال السابق : أنا رجل غريب من أهل الشام ما يعرفني الوزير ، وإنما القصد هذا ، فقال البواب : لا تطول ، ثم إلى خروجك من سبيل ، فأيقنت بالهلاك . فلما خف الناس من الدار ، خرج إليه غلام ومعه قرطاس فيه خمسون ديناراً ، وقال : قد شكرنا فاشكر . فانصرفنا ودفع لي عشرة دنانير منها . فقلت ما كان في الرقعة ؟ فأشددني :

قل للوزير ولا تُفزعك هيئته وإن تعاضم واستولى لمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية فاشكر .. صرت مولانا الوزير به
فسأليت ألا أصبح به بعدها^(١).

ولنا أن نتصور أن هذا النوع من الهجاء الذي ينسجم ونفسية ابن الهبارية ، كان وسيلة من وسائل الرمح التي يضمها إلى ما سواها من مديح وغير مديح ، ولنا أن نتصور أن ابن الهبارية ما كاد يمسك بالأربعين ديناراً حتى خف إلى رفاقه يبشرهم ، فكان لهم بها يوم يذكرونه .

لكرم بني جهر وغيرهم حدود ، ولحياة المجون تكاليف واذن فقد ثقلت على ابن الهبارية حياة بغداد وضاق بعبئها ، وعزم على السفر إلى سواها ، إلى اصبهان .

(١) اسم ابنة الشيخ (أي نظام الملك) هذه صفة فقد روى ابن الطقطقي : « لولا صفة » ، أما الأولى فزائدة ينظر ابن خلكان ٢ : ٤٨٤ . والوافي ج ١ نخ. باريس ٩١ (وتنظر ٩١) . وقد ترد « فلانة » فيحسب البعض « فلانة » هذه اسماً عاماً (ينظر زامبور)

« قدم اصبهان بأطماره ، وبها السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك »^(١) ،
ومع ما هو مشهور عن الوزير وكرمه ورعايته لأهل الفضل والأدب فإن ابن
الهبارية لم يجد بابه مفتوحا على مصراعيه ؛ فظل يذكره فضله ويستعطفه^(٢) :

انا جار دارك وهي في عرف الهوى ربع حرام ، آمن جيرانه
لا يزهديك منظري عن مخبري فالبجر ملح مياهه عقيانه
ليس البرود ولا القدود فضيلة : « ما المرأ إلا قلبه ولسانه »^(٣)
ولعله قال في هذه الفترة :

نظام العلى ما بال قلبك قد غدا على عبدك المسكين دون الورى فظا^(٤)
وربما « وسط » أبا الفرج بن صاعد بن التلميذ ليخاطب الوزير بشأنه ، وربما
لجأ إلى وسائل أخرى قبل أن يصبح من البطانة « ملازما لخدمة نظام الملك
وله عليه الانعام التام والادرار المستمر »^(٥) .

« وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم ابن دارست شحنة ومنافسة
- « كما جرت العادة بمثله بين الرؤساء » -^(٥) « فحمل تاج الملك ابن الهبارية
على هجوم نظام الملك فقال : فكيف وهو منعم في حق ، فألح عليه ، فقال : -
لا غرو ان ملك ابن إسحاق وساعده القدر
وصفت له الدنيا وخص (م) أبو الغنائم بالكدر
فالدهر كالذولاب ليد س يدور إلا بالبقر
فقال النظام : هذا إشارة إلى أني من طوس - والعامة يقولون : إنهم بقر .

(١) المرأة . مخ . باريس . (٢) الخريدة ج ١ مخ . ليدن

(٣) الخريدة والمرأة

(٤) ينظر الصادح والباغم ؛ ابن أبي أصيبعة

(٥) ابن خلسكان ٢ : ٣٨٦ ؛ جاء في المرأة ٨ : ٥٨ من ط . حيدر آباد :

وأبو المحاسن صهر نظام الملك ، ويقال له : أبو الغنائم ...

وخلع عليه وأعطاه خمس مائة دينار»^(١) فقال ابن الهبارية لتاج الملك : « ألم أقل لك إني ما أهجوه وهذا فعله في حق»^(٢)

« وكان ابن الهبارية - مع فرط إحسان نظام الملك إليه يقاسي من غلمانه وأتباعه شر مقاساة ، لما يعاملونه من بداءة لسانه . فلما اشتدت عليه الحال منهم ، كتب إلى نظام الملك »^(٣) يخبره سوء ما يلقي :

لذ بنظام الحضرتين الرضى إذا بنو الدهر تحاشوك
واجل به عن ناظريك القذى إذا لثام الناس أعشوك
واصبر على وحشة غلمانه لا بد للورد من الشوك^(٤)
ولعل نظام الملك كان يعلم ما يفعله غلمانه، ولعل الغلمان كانوا يفعلون ما يرضي سيدهم .
وما كانت علاقة الشاعر بالوزير حسنة دائماً . وروي العماد الاصبهاني أنه :

(١) ابن خلكان ٢ : ٣٨٦ . وفي الخريدة ج ١ مخ باريس ٢٥٥ « قال ... أهج ... فأبى فعمله على أن سأل نظام الملك شيئاً صعبت عليه اجابته ... فقال : لا غرو ... فاستدعاه وخلع عليه » . وفي المرأة سن ٥٠٩ « قدم اصبهان ... فدخل على النظام ومعه رقعة فيها هجوه والأخرى مدحه ، فأعطاه التي فيها هجو النظام وفيها : لا غرو ... فكتب النظام على رأسها يطلق لذي القواد رسمه مضاعفاً » . واحسب أن كلمة « رسمه » - وهي تشير الى الاعتياد على أمر سابق - تكذب أن الأبيات قد قيلت منذ قدومه اصبهان ولقائه الأول . ويضعف رواية المرأة هذه كون العماد اسبق وأوثق ، وان رواية ابن خلكان قريبة من رواية الخريدة ، هذا الى أن سبط ابن الجوزي نفسه قد حشر الروایتين .
(٢) عن سبط بن الجوزي عن العماد .

(٣) ابن خلكان ٢ : ٣٨٧ . ذكر العماد في الخريدة ان ابن الهبارية انفذ هذه الأبيات مع ولده الى نقيب النقباء علي بن طراد الزيني - ولقبه نظام الحضرتين أبو الحسن .

« حكي عنه أنه هجا بالأجرة نظام الملك فأمر بقتله فشفع فيه جمال الاسلام محمد بن ثابت الخجندي - وكان من أكابر العلماء - فقبل شفاعته »^(١). ويفصل سبط ابن الجوزي هذا الخبر ويذكر : انه « يقال إن سبب غضب نظام الملك على ابن الهبارية قوله - وقد كتب بها إليه : -

أيجمل يا نظام الملك أني	اعاود من حماك كما قدمت
وأصدر عن حياضك وهي نهب	بأفواه السقاة - وما وردت
يدل على فعالك سوء حالي	وينطق عن مقالي إن كتبت
إذا استخبرت ماذا نلت منه	- وقد عم الوفود ندى - سكت
وما في الوافدين عليك شخص	يمت من الولاء كما أمت
هم دوني إذا اختبروا جميعاً	فلم بالدون دونهم خصصت
ولي أصل وفصل غير خاف	ولكن ما لفضل منك بخت
إذا ما ضمت عند بني جهر	وعندك مع سماحك وامتهنت
فأين الفرق بينكم ؟ وماذا	يبعدي عن ديارهم استفتت ؟ ^(٢)
وها أنا ساكت فإن اصطلحنا ^(٣)	وإلا خاتي صبري وقلت !

وقال ابن المارستانية : لما هدر دمه استجار بصدر الدين محمد بن الخجندي - وكان يمضي في كل يوم الى دار النظام بأصبهان ومعه الفقهاء للمناظرة - فقال لابن الهبارية : ادخل معنا في جملة الفقهاء - متنكرا - فاذا فرغت المناظرة فقم في المجلس مستغفرا ، ففعل ، فقال الخجندي : قال الله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغادون » . وقال « إلا من تاب وآمن » . والخادم يسأل العفو عن

(١) الخريدة . ج ١ ، مخ . ليدن 21 or ١٥٧ وتنظر خريدة باريس (٢) وردت في مرآة حيدر آباد ١ ج ٨ و ١٨ ص ٥٩ استندت وهو خطأ . (٣) اصطلحنا عن طبعة شيكاغو : اصطلحنا عن مخطوط باريس ولعلها اصطحبنا .

الشريف بقبول شفاعته خاصة وشفاعة الفقهاء عامة ، فقال النظام : عفا الله عما سلف . ثم أذن له في الانشاد ، فقام وقال : -

لمزة أمرك دار الفلك حنانيك فالأمر والنهي لك
فقال النظام : كذبت - ذاك الله تعالى . فقال :

رفعت الشريعة بعد الحول فلو تستطيع لباست يدك
ولو كنت في زمن المصطفى لنص عليك وما أهملك
ولورد موسى إليك الأمور رددت على السامري ما أفك
فلم يختلف قومه بعده ولا قيل إذ جاء ما أعجلك
وربك ولاك - لا غيره فمن ذا يحاول أن يعزلك «^(١)

« تم إنشادها ثم أقام مدة بأصبهان »^(٢). ومن المحتمل جداً أنه لم يستطع أن يجد عند الوزير ما يصبو إليه من كرم وإيثار - بعد الذي بدر منه من هجاء « مع ما هو معروف عن ابن الهبارية من فساد الخلق وسوء السيرة وضعف الدين ، كما أن صلته بأي الغنائم بن دارست عامل آخر ، وذكر سبط ابن الجوزي ان ابن الهبارية كان « يعيل إلى أبي المحاسن فنقم عليه نظام الملك لهذا السبب »^(٣)

وصلة ابن الهبارية بابن دارست هذا لم تفنه ولم تهيه له حاجاته ، وكذلك صلته بمجد الملك مستوفي الدولة الملكشاهية - وقد كانت اوضح

(١) المرأة . وفي الخريدة « ... فقام ينشد نظام الملك يوم غفوه عنه :

لمزة ... » (٢) الخريدة ج ١ ص ١. ليدن

(٣) هذه الأخبار وسواها لا تدع قيمة لما جاء في تاريخ بروكلمان

ودائرة المعارف الاسلامية من ان غضب نظام الملك وما اليه كان بينغداد ... - وقد رأينا في حاشية سبقت أن ابا المحاسن هو ابو الغنائم نفسه .

وأحسن - وقد كمال له المديح واعترف له بالفضل^(١). فضاقت بالشاعر اصبهان واشتد عليه العيش بها : وبدا أهلها كالتماثيل ليس فيها غير حسن الشخوص . هذا الى غلاء الأسعار وإلى أنه كان في حالة لا تسمح له بالهجرة عنها فما اشبهه بالطائر المقصوص .

وفي ظروف على مثل هذه القساوة ، انتفض ، فألف سينيته^(٢) في هجاء أكابر ساسة العصر هجاء مقظدا ، ساخرا ، فاحشا ، شديدا « اصيلا » يتفق كل الاتفاق وطبعه ، ويعرب جيدا عن نفسيته - وما سلم احد من لسان ابن الهبارية ، فلكشاه خبيث ، ونظام الملك خرف بارد وابو القنائم في ... امه يعلو وليس ليومه أمس ... والزوزني صاحب الطغراء والانشاء : بارد سمج ... لو ان نور الشمس في يده من بخمله لم تطلع الشمس ... وربما فكر الشاعر بمفارقة ومفارقة اصبهان إلى العراق أو غير العراق ، ولكنه لم يجد مأملا :

... ولقد همت بأن أفارقهم	ونجد بي عيرانة عنس
لكن ثنائي عن فراقهم	علمي بأن الناس قد خسوا
من ذا أروم وأجديده لقد	عم البلاء وأشكل اللبس :
المقتدى المسكين ليس له	عقل ولا رأي ولا حس
يدني وينقض ما يشيده	فكأنه مبخر يفسو
هذا وكهرايين شحنته	كالسكب خب بارد نمس
.....
وأبو شجاع في وزارته	كالخرس لكن دونه الخرس
أبني جهير أرنجى وهم	بالأمس أقرب سوقة غبس ^(٣)

(١) خريدة . مخ . ليدن ، تتألف الفطنة ص ٧ - ٨

(٢) الخريدة ، النصرة . الزبدة (٣) وردت القصيدة في الخريدة ،

وفي النصرة ، في الزبدة ص ٦٤ - ٦٦ - وترد غبس على عنس في بعض الروايات.

ونستطيع أن نقرب تاريخ هذه الفترة إذا علمنا أن أبا شجاع قد وزر للخليفة المقتدى عام ٤٧٩ .

ويظهر بغض ابن الهبارية لاصبهان في شعره ، ومن ذلك قوله :

بلد أبو الفتح اللئيم عميده	والقاسم بن الفضل قيل رئيسه
ونقيبه التيس الرضا متبطر	مع أنه دنس المحل خسيسه
وابن الخطيبي
والوقف في أيدي العلوج وكلهم	قد زاد من مال المصالح كيسه
وانا وسامان . . . امامنا	وجميع من صقلت نهاء دروسه
نبكي على الفصل الذي قدصوحت	بسقوطهم افئانه وغروسه

ولا ندري كم أقام ابن الهبارية على هذه الحال من الضيق والحيرة . ويذكر العماد له قصيدة قالها في مدح تاج الملك - وقد عاد للوزارة :

لو أعطي الدست لسانا فنطق
لقال تاج الملك بي منكم أحق
وققع هذه الوزارة حوالي عام ٤٨٦ هـ

ثم فارق ابن الهبارية اصبهان إلى كرمان^(١) ، وفي شعره مدح لكبراء كرمان وفضلائها . ومن رآه - في هذه الفترة - أو في غيرها - مكرم ابن العلاء^(٢) . اما ملك كرمان آنذاك - ومنذ عام ٤٩٠ هـ - فكان إيرانشاه^(٣) :

(١) نتائج الفطنة ، خريدة ليدن . (٣) الخريدة مخ . ليدن .

(٣) هو الأمير السلجوقي الرابع لسكرمان ، حكم بعد أبيه طورانشاه (عام ٤٨٩/١٠٩٦ ودام حكمه مدة خمس سنوات وكان ميالاً للبدع والاحاد وكان ظالماً لأهل كرمان وقد نار عليه أهل كرمان استجابة لفتوى العلماء فقتلوه عام ٤٩٤ وكان أحد أقاربه ارسلان شاه قد اختفى خوفاً منه عند احد الحذائين فيبحثوا عنه واسند إليه الملك فحكم (٤٢) سنة (ينظر كزبيده ص ٣٢٥)

... وصرت عند سيد الملوك إيران شاه موئل الصملوك

* * *

... كيف واني في جنان عدن أنال ما يوفي على التمني
هذا ما يقوله الشاعر ، فهل هو صحيح ؟ لقد قال هذه الأبيات في مقدمة
الكتاب الذي ألفه في هذه الفترة وسماه « نتائج الفطنة في نظم كلية ودمنة »
وارسله الى اصهبان هدية بمناسبة عيد النيروز إلى مجد الملك « اسعد بن موسى ...
سيد الكفاة ، أكبر شخصية لدى السلطان بركيارق »^(١) ترى لم هذه الهدية ؟
أما يمكن ان يكون مدح إيران شاه من قبيل المجاملة ودفع الشر ؟ ممكن !
ولكن ابن الهبارية يصر على انه كان مرثاها^(٢).

ومما يجدر النص عليه أن الشاعر لم ينس أن يذكر أن النيروز هو العيد
الذي غرس به خسرو - « جد » مجد الملك عادة « العطاء » والهدايا^(٣) ، واذن
فلم يكن ابن الهبارية بعيداً جداً عن الطمع .

واخبرنا كذلك بأنه قدم كتابه « نتائج الفطنة » الى مجد الملك بوساطة
أبي الفرج^(٤) لأنه لم يكن يستطيع المتول بنفسه^(٥) . فمن هو أبو الفرج هذا يقول
ابن الهبارية : انه الحكيم ... الفيلسوف - الكريم^(٦) ، وان هذه ليست الوساطة
الأولى^(٧) . وهذه صفات تنطبق تمام الانطباق على أبي الفرج

(١) وهو من اصل فارسي .

واذن فان ابن الهبارية لم يضع نتائج الفطنة لملك كرمان ايران شاه - كما
يقول لويس شيخو .

(٢) يذكر كاتب مقالة إيران شاه في دائرة المعارف الاسلامية : ان

اخلاق الأمير تفسجهم كل الانسجام مع روح ابن الهبارية

(٣) نتائج الفطنة ص ١٠ (٤) نتائج ص ١٠

(٥) نتائج ص ١٠ - ١٢ (٦) نتائج الفطنة

(٧) نتائج ص ١١

يحى بن صاعد معتمد الملك ابن التليذ^(١).
وإذا أمكن لنا أن نفتنع بأن ظروف ابن الهبارية في أثناء اهداء « نتائج
الفطنة » كانت حسنة فلا شك في أنها لم تكن كذلك حين بعث ابنه بكتاب
« الصادح والباغم » إلى سيف الدولة صدقة - صاحب الحلة .
... عملته لسيد الملوك وموئل الملهوف والصعلوك

* * *

يا ليتني سكنت تلك الحلة بين شمس المجد والأهله

* * *

لكنني إذ فاتني مرادي من ذلك المسرح والمراد
أحببت أن يكون لي في حضرته ذكر وعني نائب في خدمته
فلم أجد إلا كتاباً انظمه انحفه بنظمه واخدمه

* * *

انفذت إذ عاق الزمان رحلي نجلى إلى مجلسه وفضلي

انفذته مع ولدي	بل مهجتي وكبدي
وانت عند ظني	أهل لكل من
وقد طوى إليكا	توكلا عليك
مشقة شديدة	وشقة بعيدة

(١) وجاء عند ابن أبي أصيبعة ص ٢٧٧ « ... وقال الشريف ... محمد ابن
الهبارية الهاشمي من قصيدة يمدح الحكيم أبا الفرج يحى بن صاعد ابن
التليذ - وكان ابن الهبارية قد أتاه إلى أصبهان فحصل له من الأمراء
والأكابر مالا جزيلا ... » وقد ضرب ناشر نتائج الفطنة - وهو يبحث عن
« أبي الفرج » - أخماساً بأسداس دون أن يقترب من الحقيقة .

ولو تركت جئت سمياً وما وجئت
 ان الفقار والملا ارتك من ذوى الولا
 فأنعم على كتابي بصالح الجواب
 وكان « صالح الجواب » ان « اجزل عطيته وأسنى جائزته »^(١) ولعله « أحرز
 فيه الفا من ذهب مصفى »^(٢)

ويمكن تقرب هذه الفترة إذا علمنا أن صدقه قد أسس الحلة عام ٤٩٥
 (وأنه قتل عام ٥٠١)

ولم يشك ابن الهبارية ضيق عيشه بكرمان الى صدقة وحده ، فقد شكاه
 مثلاً إلى ابن التلميذاذ كتب :

... انما طلفت كرمات بكم انكم لي عوض ما أشرفه
 اتني انفذت نجمي قاصداً أشتكى دهرًا قليل النصفه^(٣)

وكان مريضاً حين كتب ذلك . ولعله كان في مرضه الأخير ، مرضه الذي
 مات به وكانت حماه شديدة جداً :

باعد يداً والنصح من خلقي لا تدن من نفسي فتحترق^(٤)
 ومات هنا ، في كرمات .

وجاء في نسخة باريس من مخطوطة الخريدة أنه توفي عام ٥٠٤ وعن
 نسخة مثل هذه نقل ابن خلكان من غير تعليق ؛ بينما روت نسخة ليدن
 التاريخ بشيء من التمريض « ... وذكر أنه ... » . اما سبط ابن الجوزي ،

(١) ابن خلكان

(٢) الصادق والباغم ط . بغداد سنة ١٣٤٣ هـ

(٣) ابن أبي أصيبعة

(٤) الخريدة . نخ . ليدن

والصفدي في الوافي فيذكر أنه توفي « عام ٥٠٩ وقيل ٥٠٤ والأول أصح »^(١)

آثاره

لابن الهبارية عدة مؤلفات ، نعرف منها :

١ - ديوانه : وبعد أن روى العماد الاصبهاني طرفا من أخبار الشاعر في كتاب الخريدة^(٢) قال : « ثم وقعت بيدي مجلدة مقفاة من شعره ... » وقد اختار العماد منها عدداً غير قليل من القصائد والأبيات ما بين حرف الراء واللام . وقال ابن خلكان : « وديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات » وقال الصفدي في الوافي^(٣) : « شعره ثلاث مجلدات ، غالبه سخف ومجون » . وأعاد الحاج خليفة كلام ابن خلكان دون أن يشير إلى أنه رأى المجلدات^(٤) . ولم يعد لهذا الديوان اليوم اثرهما .

وما وصل إلينا من نصوص ، يبين أن أهم أغراض الشاعر هي السخف

(١) وفي ابن خلكان « وقال ابن السمعاني توفي بعد سنة تسعين وأربعمائة » وفي الصادح والباغم . طبعة بغداد سنة ١٣٤٣ « ... توفي سنة ٤٩٠ هكذا وجدت بالنسخة التي كملت منها هذه النسخة » ولا قيمة لهذين التاريخين . ولا العام (٥٠٢) الذي ذكره لويس شيخو

أما لسان الميزان في طبعة حيدر آباد فيقول : « ... تحول إلى كرمان ، إلى أن مات بها في صفر سنة تسع وخمس مائة وله خمس وتسعون سنة »

(٢) مج ١ نخ . ليدن .

(٣) نخ . باريس

(٤) وفي طبعة حيدر آباد لسان الميزان : « ويقال إن نظمه بلغ مائة

مجلد بالأواخر وذكر الشهرستاني أنه كتب نظمه في عشرين مجلدا » (١)

والهجاء والمديح والغزل مع شيء قليل من الحكم والرثاء ، وتغلب على أسلوبه الركة وتراكيب الحديث الاعتيادي

٢ - نتائج الفطنة في نظم كلیلة ودمنة : وقد رأينا طرفا من ظروت تأليفه بكرمان . اما موضوعه فواضح من العنوان . وقد وصل إلینا عدد من مخطوطاته^(١) . وطبع مرتين في بمبي عام ١٣٠٤ / ١٨٨٦ وعام ١٣١٧ / ١٨٦٩^(٢) . وفي عام ١٩٠٠ نشر نعمة الله الأسمر بلبنان « نتائج الفطنة » ، وليس في كلامه ما يشير الى علمه بطبعتي بمبي . والحقيقة أن الأسمر لم يطبعه ؛ وزعم أنه « هذبه » فقد قال : « اقدمت على ... حذف ما فيه من الأمثال التي يترفع أهل العصر عن مطالعتها ونظم غيرها مأخوذا من النسخ النثرية [لكلیلة ودمنة] المطبوعة مع نظم ما ذكرت أن الكتاب خال منه - مثل الرجل الخائف من الذئب وهو أول باب الأسد والثور » ومن بعض فقرات من سائر الأبواب ، ومن باب الحمامة ومالك الحزين والشعلب وهو آخر الأبواب - وأشرت إلى ما نظمته بأن وضعته ضمن هذه العلامة « »^(٣) . وقد « تجاوز [الأسمر] الحد بالزيادات العديدة التي أضافها ... فان هذه الزيادات تشبه الرقعة الجديدة في الثوب العتيق »^(٤)

واشار ابن الهبارية في مقدمة كتابه إلى ابان اللاحقي الذي نظم كلیلة ودمنة قبله ولكنه افتخر عليه . وذكر في الخاتمة انه نظمها في عشرة أيام^(٥) .

٣ - الصادح والباغم : ولدينا منه مخطوطات كثيرة في أوروبا وغيرها .

(١) في الاستانة والمتحف البريطاني . ينظر بروكلان ، وينظر لويس

شيخو في مجلة المشرق

(٢) سر كیس ، لويس شيخو (٣) ص ٣

(٤) لويس شيخو

(٥) نتائج الفطنة . تكلم لويس شيخو على نظم كلیلة ودمنة في مجلة المشرق .

وطبع مرارا : في القاهرة عام ١٢٩٢ / ١٨٧٥ - ٦ وفي بيروت عام ١٨٨٦ وفي بغداد . (وكانت طبعتها الثانية بتاريخ ١٣٤٣ هـ . ثم طبع عام ١٣٥٥ / ١٩٣٦ (في مصر ؟) طبعة يذكر ناشرها انه اعتمد فيها مخطوطتين في دار الكتب المصرية مع مقارنتها بطبعة ١٨٨٦ .

ومر معنا شيء من ظروف تأليفه بكرمان وإهدائه الى صدقة . ونخبرنا مؤلفه كذلك أن : -

هذا كتاب فيه علم وأدب يفوق أنواع القريض والخطب

* * *

فجاء مثل الذهب المسبوك سلكت نهجاً ليس بالمسلوك
في نظمه وسبكه ووضعه لا من كلام همتي من جمعه
بل ابتداعاً لصنوف الحكمة بهمة في العلم أي همه
وضعته مخترعاً معناه لملك ما خاب من رجاه

* * *

هذا كتاب حسن فيه تحار الفطن
انفقت فيه مدّه عشر سنين عده

* * *

ولم أزل أهذبه منقحاً وأحسبه

* * *

بيوته ألفان جميعها معاني

يعتديء الكتاب بجدال بين هندي وفارسي كل يمدح بلاده . وقد أطنب الأول في الفخر بالشرنخ ، والثاني بالزند ، وبعد أن فرغ الهندي بكليلة ودمنة حكى قصة الناسك والاص الفاتك ، وروى الـص خلالها قصة الظليم ، وحكى الظليم في نهايتها قصة البعير والجمال ... الخ ثم يأتي

باب البيان ومفاخر الحيوان ويشمل قصة التاجر وقصة امرأة الراعي وقصة عامر ومارح ثم : حديث الأسدين ، زوجة البيطار ، جابر ، الحمار والضرغام ، الذئب والغزالة « امرأة التاجر ... الخ ثم القسم الثالث وفيه باب الأدب وهو محاورة بين الطير والغزال حول غرور الدنيا ، صعبة السلطان ، واجبات السلطان ، علو الهمة ، مضار التجارب ... الخ وهكذا يفقد الكتاب ما فيه من فن وبواد شاعرية حتى يستحيل ضرباً غشياً من الحكم والمواعظ . وتأثر الكتاب بروح « كليلة ودمنة » واضح . وقد تنبه إلى ذلك القدماء أمثال ابن خلكان .

« والصادح والباغم » إن لم يكن من الشعر العالي فإنه يظل محاولة لها شأنها في تاريخ القصة الشعرية .

لقي الكتاب - على مر الأيام - نجاحاً ملحوظاً ومن أدلة ذلك كثرة مخطوطاته وتعدد طبعاته . ومن المناسب أن نذكر أن ابن حجة الحموي المتوفي عام ٨٣٧ قد اختصره بما سماه تفريعات الصباح^(١) وأن « الحلواني » قد اختار منه وأضاف إليه وسمى مجموعه : الناعم من الصادح والباغم^(٢) . وقد تضاعف الاهتمام بهذا الكتاب ولا تكاد اليوم تسمع من يذكر اسمه أو يعجب به فقد قلت عناية الناس بالشعر الذي يقوم على الوعظ السهل الرخيص^(٣) .

(١) عن مخطوطته ينظر بروكلمان .

(٢) وذكر حميدة ص ١٥٠ - أنه « ينسب إليه [أي إلى ابن الهبارية] كتاب ثالث هو « درر الحكم في أمثال الهنود والمعجم » ومنه نسخ خطية في فينا وموينخ ، وقد نسب إلى عبدالمؤمن بن الحسن الصاغاني ، وقيل إنه أكمله ، وقيل أنه نظم لكليلة ودمنة أو لشيء منه . ج ٢ ص ١٣٣ تاريخ آداب اللغة العربية » انتهى كلام حميدة والذي يفهم من كلام زيدان أن كتاب « درر الحكم ... » من نظم عبدالمؤمن . وكذلك يفهم من كلام لويس شيخو .

٤ - « فلك المعاني » : نص عليه سبط ابن الجوزي وروى منه في المראה
طرفاً منها : « قال الشريف البياضي :

« ليس الشريف من الشريف جدوده من نفسه شرفت فذاك شريف »
ومنها : « حج الكافي أبو الفضل زيد ابن الحسين فلما عاد قال :

يا رب أي فضيلة في مكة حتى فرضت على عبادك برها
أخلصها أحببتها الطيبها اخترتها أم ليس تعرف حرها »
ومنها : « قال المعري :

أرى جيل التصوف شرّ جيلٍ لقد جئتم بشيء مستحيل
أقال الله حين عشقتموه : كلوا أكل البهائم وارقصوا لي .

ومنها : قال رجل لابن عباس : سل الله أن يغفيري عن الناس ، فقال : ان الله
لا يغفري الناس عن الناس ، ولكن أدع أن يغفرك عن لثام الناس .

٥ - تنزيه الأدب ومنه مخطوطة بالموصل^(١) .

٦ - اللقائط : قال ياقوت في ترجمته لمحمد الجهاني : « قرأت في كتاب
اللقائط لأبي يعلى ابن الهبارية وقد ذكرنا أبا محمد الاعرابي ووضع منه وانتصر
للميمري الذي شرح الحماسة وغيره واستدل على صحة رواياتهم واتقان علمهم
ومقالاتهم ثم قال : فكيف تترك أمثال هذه الروايات لرواية مثل أبي الندى
ولم يذكر فيها من لقيته من شيوخ بلاد فارس من فضل أبي الندى إلا انه غاب
عن أهله مدة وأقام في البادية سنين عدة وعاد يروي ويخبر وكان له ابن فأخذ
يطليه بالزيب ويقفه في شمس القميص بالفندجان وهي حارة جداً ولم يزل يفعل به
ذلك ليكون أسمر اللون كالعرب حتى مات ذلك المسكين »^(٢) .

(١) ينظر داود چلي . (٢) الارشاد ٦ : ٢٩٧ . ومن تصحيف

لسان الميزان ان أصبحت اللقائط : اللقائط .

خاتمة

إن كان ضياع ديوان ابن الهبارية ربما للأخلاق والأخلاقين ، فإن فيه خسارا ، لمن يعني بتاريخ أدب العصر وسياسته ومجتمعه وبمحاوّل أن يستكمل معالم مدرسة السخف .

والشاعر أصيل في هجائه وهزله وسخفه ، ولم تمنع هذه الأصالة من تقريبه من ابن الحجاج فقد « سبك في قلبه وسلك أسلوبه ... وفاقه في الخلاعة »^(٢) . ويبدو ابن الهبارية في « نتائج الفطنة » وفي « الصادح والباغم » كأنه شخصية أخرى فهو حكيم ، عاقل ، عارف بأخلاق الناس ، داع إلى التدبر واعظ إلى الخير ، ولا شك في أن للعمر وتراكم الخبران أثرأ في ذلك ولكن هذا لا يمنعنا من أن نلاحظ فيه - ما لاحظناه لدى ابن الحجاج من ازدواج في الشخصية .

وقد نص كثير من القدماء على جودة شعر ابن الهبارية ، ولكن ذلك لا يمكن أن يعني بأية حال من الأحوال صف ابن الهبارية إلى جانب شعراء الطبقة الأولى - أو جانب الطغرائي والأبيوردي إذا نظرنا إلى البناء والتراكيب .

(١) ابن خلكان .

هو أصيل وإن جاء في لسان الميزان « انه لما رأى بوار الشعر عدل إلى مسالك الهزل فنظم على طريقة ابن الحجاج وبالغ في هجاء كافة الناس حتى خافوه واتقوا لسانه ، واغترط حتى هجا اياه وامه ثم عمل قصيدة هجا فيها الوزير وجميع أهل الدولة فأمر بإهدار دمه فاقتفى ثم انسحب خجال في العراق حتى دخل اصبهان ... »

الفصل الرابع

شعراء من المئة الخامسة

(١) صدر

كلمة في المصادر :

في الديوان أشعار كثيرة قالها في ساسة عصره ، منها ما يبين إيذاء ابن دارست إياه ، ومنها ما يبين قربه من عميد الدولة ابن جبير . ولم تفرد له الدمية المطبوعة صفحة ولكن مخطوطة مجلس ملي ومكتبة المتحف العراقي وغيرها تذكره وتذكر له عدداً من الأبيات . وجاء في المنتظم ٢٨٠ : ٢٨٢ كلام مهم عليه وعلى أبيه ولقبه ووفاته . ولم تذكره الخريدة ولكن النصرة تذكره مرة مادحا ومرة رائيا (بنداري ١٤ ، ٣٣ - ٣٥) . ويتعرض له ابن الأثير في « عدة حوادث » . أما سبط ابن الجوزي (١٢١) . ي (باريس و ١٤٢ ب) فيعيد الكثير من أخبار جده . وفي ابن خلكان ٢ : ٥٧ - ٥٩ ، ٣ : ٤٥٠ - ٤٨٥ تعيين لمكان وفاته مع تفصيلات أخرى تتعلق بديوانه وشاعريته وولادته مما لا يستغنى عنه . وابن خلكان وغيره من أمثال ابن الطقطقي ٣٤٠ والصفدي الوافي ١ و ٣٩ ب ، ٤٠ ب ، ٢١٩ ب (ينظر المطبوع ، الفهرس) يؤرخون بعض شعره في بني جبير .

وينقل الحنبلي ٣ : ٣٢٠ - ٣٢١ ما قاله ابن خلكان نصا . وكان بإمكان ناشري الكتب المتأخرة ان يفيدوا من المتقدمة فلا تقول مكتبة القدسي في الشذرات - مثلاً - ان شعره بارد بينما يقول ابن خلكان « نادر » وهو الذي يقتضيه العقل والنقل - وشتان

وخلت طبعة استانبول لكشف الظنون من ذكر ديوان صرّدر بينما ذكرته الطبعات الأخرى .

وينظر : أبو الفداء ٢ : ١٩٩ - ابن الأثير ١٠ : ٣٩ (السنة ٤٥٠) ، ٤٠ (السنة ٤٦١) ٦١ - ٦٢ (السنة ٤٦٥) - ابن الوردي ١ : ٣٧٧ - ابن نفري بردي في النجوم الزاهرة ، ٥ : ٦٤ - حاج خليفة ٧٩٧ - العباسي ٢ : ٥ - ابن كثير ١٢ : ١٠٨

بروكلان ١ : ٤٤٥ - هارتمان ٦ : ٧٩٧ - ٨١٣ - هيار ١٠٦ - ١٠٧ - زيدان ٤ : ٢٦ - البستاني ، دائرة ٥٣٣ - ٥٥٥ - الطاهر في « هنا بغداد » العدد ١٦٤ (كانون الأول) ١٩٥٧

هياته :

الرئيس^(١) أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل الكاتب البغدادي^(٢) المعروف بصرّدر^(٣) من فضلاء العراق^(٤) .

(١) ابن خلكان ٢ : ٥٧

(٢) الباخري ، مخطوطة مجلس ملي

(٣) جاء في مقدمة الديوان المطبوع : « قد ورد اسم الشاعر في بعض...

الكتب مضبوطا بالقلم بفتح الصاد وورد في التاريخ الكامل والمنتظم مضبوطا بضمها . ويظهر أن المرحوم البارودي كان من المرجحين ضبطه بالفتح إذ ضبطه كذلك في غير موضع من مختاراته . وقد رجح ناشر الديوان الفتح معتمداً بيتي البياضي - والترجيح في محله ، على كل حال .

(٤) الباخري في الدمية المخطوطة .

ولم نقف على السبب الموجب الذي دفع بعدد من المحدثين الذين ألفوا في تاريخ الأدب العربي ، إلى دراسة صرّدر - في باب « ايران » - كما فعل هيار ، أو « شعراء الفرس » كما فعل بروكلان وزيدان .

« كانت ولادته قبل الأربعمائة »^(١) من أب كان يسكن الرصافة^(٢) من بغداد و « بنز بالاحاد »^(٣) . ويلقب لشحه صربمرا^(٤) . وعلى الرغم من إحداد الأب وشحه فإن الابن قد « حفظ القرآن وسمع الحديث من ابن بشران وغيره »^(٥) ، وحدث^(٦) . ودرس العربية وتمرس بفريقها حتى لم يكن القول بأنه لقنها في أحضان القبائل والبدو ، وقرأ الشعر وأولع بمتينته وقال الجيد منه منذ العهد البويهي^(٧) . وعد « أحد نجباء عصره »^(٨) ، ونفر بشعره وعلمه واعتد بهما دون أن يعدم بين « شعراء وقته »^(٩) من يعيب شعره ؛ فقد هجاء الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي فقال :

لئن اقب الناس قدما أباك وسَمَّوه من شحه صربمرا

(١) ابن خلكان ٢ : ٥٨

(٢) جاء في المنتظم المطبوع بحيدر آباد ٨ : ٢٨٢ « قال المصنف وقرأت بخط ابن عقيل قال كان صربمرا خازنا بالرصافة » . بينما يروي ابن كثير عن ابن الجوزي انه « قرأت بخط ابن عقيل : صربمرا جارنا بالرصافة » . وهذه هي الرواية الصحيحة ، وقد دخل التصحيف طبعة حيدر آباد .

(٣) المنتظم ٨ : ٢٨٢

(٤) ابن خلكان ٢ : ٥٧

(٥) المنتظم . وفي شذرات الذهب ٣ : ٢٠٣ سن ٤١٥ : « أبو الحسين بن بشران علي بن محمد بن عبدالله بن بشران ... الأموي البغدادي المعدل ... قال الخطيب : كان صدوقاً ثباتاً المروءة ، طاهر الديانة ، ولد سنة ٣٢٨ وتوفي في شعبان سنة ٤١٥ » . وابن بشران المحدث غير ابن بشران محمد بن أحمد بن سهل النحوي الواسطي المولود عام ٣٨٠ والمتوفى عام ٤٦٢ (ينظر عنه مثلاً - ارشاد الأديب)

(٦) المنتظم (٧) ديوان صردر ٢٧

(٨) ابن خلكان ٢ : ٥٧

فأنك تنثر ما صرته عقوقا له وتسميه شعرا^(١)
 عد البخارزي البيتين من قبيل المألحة والظرافة^(٢). وتولى من سواء الدفاع عن
 صردر فقال ابن الجوزي إن ذلك «ظلم فاحش، فإن شعره غاية في الحسن»^(٣) وقال
 ابن خلكان: «وامعري ما أنصفه... فإن شعره نادر وإنما العدو لا يبالي بما يقول»^(٤).
 قصد ابن الفضل أهل النفوذ والجاه فأثنى على القائم وابن المسلمة. ولما
 ضايقته بغداد أو ضايقه «ابن دارست الوزير وابن الحصين السكاتب» عزم على
 الهجرة وأقام بواسط. ثم تغيرت الأحوال، واستوزر الخليفة نجر الدولة ابن جبير
 فهناك الشاعر بقصيدة أرسلها إلى بغداد - تحدث فيها عن هجرته فقال^(٥): -
 ... ولكنني أبعدت في الأرض مذهبي لا عزاز نفس قد جفاها عذيرها
 وهجج بي عن أرض بغداد ذلة كوخز سنان السميري حصورها
 لأمثالها تعلو الجياد سروجها ويلتقم الحرف العليقة كورها
 فكنت بأن أنسى لذلك فصاحتي سوى أن طبعاً في الحمام هديرها
 تركنا ربى الزوراء ينزو خلالها جنادب يعلو في الهجير صيرها
 وقلت: بلاد الله رحبٌ فسيحةٌ فهل معجزى أخوصة استجيرها؟!
 وقد ترك الأسد البلاد تزهأ إذا ما كلاب الحي لجَّ هديرها
 ثم تبع القصيدة بنفسه فجاء «الزوراء» وشرع يوطد صلته ببني جبير ولا سيما
 بعميد الدولة: يمدحه ويهنئه، يودعه ويستقبله، وحل النيروز مرة فرأى الشاعر
 أن يهدي العميد «كتبا عوض الدراهم والدنانير»: -

(١) ابن خلكان ٢: ٥٧ وهي أوجه الروايات الأخرى، وقد جاء في
 الدمية المطبوعة ٥٧ «لئن نبذ...» وفي المنتظم «لئن نبز الناس شحاً أبالك...
 فأنك تنثر بالصربرا» وفي الكامل: «لئن نبز... فأنك تنظم ما...»
 وسوف نوجز القول في البياضي (أو ابن البياضي).

(٢) الدمية ٨٧ (٣) المنتظم ٨: ٢٨١ (٤) الوفيات ٢: ٥٧
 (٥) ديوان صردر ٧٢- الحصور: الأسر، الأخوثة: مجثم الدجاجة والنعامة.

ولما رأيت المال عندك هيناً جعلت هداياه رياض الدفاتر^(١) ومرض الشاعر مرة فتعهد العميد بالزيارة وأرسل إليه من يبلغه دعاءه بالشفاء : وهذا وامثاله لطف دون شك ، ولكن الشاعر ما زال يشكو ، لانه يسمى الى منصب ، وقد عرض عليه العميد تقلد « عمل من أعمال العراق » ولكنه أباه ولم يرضه^(٢) .

وكانت لصردر « الى جوار علاقاته ببني جهير علاقات أخرى ، منها ما كانت بنظام الملك الذي « قال له ... انت صردر ، لا صربع »^(٣) . ولم يجده كل ذلك شيئاً ، فقد ادركته المنية دون أن يحقق ما كانت نفسه تصبو اليه .

روى ابن الجوزي في « سبب موته » أنه ركب يوماً فتردى هو والدابة في البئر فاتا^(٤) وذلك في صفر سنة ٤٦٥ « ودفن بباب أبرز »^(٥) في بغداد . اما ابن خلكان فقال^(٦) « انه تردى في حفرة للأسد في قرية بطريق خراسان » . وقد أجمع المؤلفون على تاريخ الوفاة إلا صاحب « المرأة » فقد جعلها عام ٤٦٧ هـ .

(١) ديوان صردر ٨٨ (٢) نفسه ٩٢

(٣) المنتظم ٨ : ٢٨٠ ، الكامل ١٠ : ٦١ - ٤٦٥

(٤) المنتظم ٨ : ٢٨٢ ، اما رواية ابن كثير - وطالما نقل عن المنتظم - ف : « ركب يوماً دابة هو ووالده فسقطا بالشونيزة عنها في بئر فاتا فدفنا ببرز ... » ولا تخلو هذه الرواية من التصحيف في أكثر من كلمة .

(٥) ويقول الدكتور مصطفى جواد في هامش ٦١ من التكملة : « وباب أبرز (أو ببرز) بشرقي بغداد هي محلة الفضل والحمام المالح والبارودية الحالية ، وكانت مقبرة الأجمة متصلة بها .

وعن الأجمة ، وقد وردت في « حياة الأبيوردي » ينظر هامش ص

٦١ - ٦٢ من التكملة (٦) ابن خلكان ٢ : ٥٧ - ٥٨

ديوانه

خلف صدر در « ديوان شعر صغير »^(١). مخطوطاته موفورة ، منها نسخة في ليدن تقع في ١٢١ ورقة واضحة الخط جميلة ، وقع الفراغ منها عام ٥٤٩ هـ ، ومنها نسخ أخرى في برلين ولندن وبطرسبورج وكلكتا^(٢). وقد طبعت دار الكتب المصرية الديوان عام ١٣٥٣ / ١٩٣٤ على مخطوطة كتبها لنفسه المرحوم محمود سامي البارودي نقلاً عن نسخة القسطنطينية ، جاء في ختامها « قال عبدالله بن ابراهيم الخيري : هذا آخر ما وجد من شعره ، وكان رحمه الله يقول : إن أكثر شعره ضاعت مسوداته في النهوب والاختلافات . وما كان سبب جمعه غري ، وكان رحمه الله كلما عمل بعد ذلك قصيدة ينفذها إليّ ، ويقرأها عليّ ... »^(٣)

إن جهد « الدار » يبين مشكور ، ولو سعت إلى مقابلة نسخة البارودي بمخطوطات أخرى كان عملها أتم .

أسود الديوان الأغراض المألوفة من مدح ونسيب ، وغير قليل من الشكوى . وقد بالغ ابن الجوزي إذ قال « أن شعره غاية في الحسن » وكان ابن الأثير معتدلاً في حكمه إذ اكتفى بأن جعل صدر در « من الشعراء المجيدين » . أما قول ابن خلكان من أنه « أحد نجباء عصره ، جمع بين جودة السبك وحسن المعنى ، وعلى شعره طلاوة رائقة وبهجة فائقة . » فحكم طريف لا يخلو من صحة .

(١) ابن خلكان ٢ : ٥٧

(٢) ينظر بروكلمان وزيدان

(٣) يذكر زيدان ٣ : ٢٦ أنها برواية أبي حكيم عبدالرحمن الخيري :

(٢) الباخريزي

كلمة في المصادر :

هذا أديب يمدنا كتابه « دمية القصر » بمعلومات ذات بال عنه وعن أبيه وعن تأدبه وأسفاره وصلاته بالعلماء والأدباء والساسة . ونفهم من ديوانه - غير صلات المدح لساسة عصره كالكندري ونظام الملك ... شيئاً عن حياته فهو يخبرنا انه جاء العراق أكثر من مرة وانه كان له ولد توفي في حياته ... ونجد شيئاً من هذا في « الملتقط » و« الأحسن » - وكنا نطمع بالكثير ! وهيئات !

حدثنا قبله الثعالبي عن أبيه في تنمة اليتيمة ٢ : ٣٦-٣٧ . وكان السمعاني من أقدم من تكلم على الباخريزي وقد نقل ياقوت عنه - في معجم الأدباء - : وروده بغداد ومدحه القائم وموقف البغداديين من شعره ... ولا بد من أن يكون ذلك مما كتبه في « الذيل » . اما في الانساب و٥٧ ب فقد تكلم على دراسته على الجويني ، وعلى اشعاره واشغاله وأسفاره وعودته وقتله . والمعاد من أقدم من ترجم له ايضاً ، ولكننا لم نر هذه الترجمة فيما رأينا من مخطوطات الخريدة ، وإن كان ياقوت قد نقل ما ذكره المعاد عن أثر الدمية في تأليف الخريدة وعن لهُو الباخريزي وشاعريته وعن وظائفه وأسفاره وديوانه وقتله عام ٤٦٧ . وحفظ ياقوت كذلك ما ذكره البيهقي (أبو الحسن ابن أبي القاسم زيد البيهقي) في كتاب « مشارب التجارب وأخبار الوزير أبي نصر الكندري بشأن صلة الشاعر بالوزير .

وحفظ لنا مصدر فارسي هو لباب الألباب لعوفي ١ : ٦٨ - ٧١ أخباراً مفيدة عن كتابة الباخريزي لطغرل بك وعن لهُو وغرامه . وقتله عام ٤٦٨ (؟) وأشعاراً بالعربية والفارسية . نقل برون في كتابه « تاريخ الأدب الفارسي »

أكثر هذه الاخبار - . وترجم هذا الجزء من كتاب برون إلى العربية
الدكتور ابراهيم الشواربي

وتحصر أهمية ياقوت في رواياته ٥ : ١٢١ - ١٢٩ عن السمعاني
والعماد والبيهقي - وذلك غير قليل . ثم إنه لم ينس ولم ينس أباه في « بلداته » .
وحفظ لنا الحسامي في استفاده من ابن النجار ما ذكره عن اساتذته
واشتغاله بديوان الرسائل وقدمه بغداد ، وما رواه عن السمعاني من قتله في
ذي القعدة .

ولم يشأ سبط ابن الجوزي أن يتابع جده فيهمل بالخرزي ، فترجم له -
دون ابن يزيدنا شيئاً ، اللهم خير تذييل البيهقي على الدمية . وكذلك
لم يزيدنا ابن خلكان ٢ : ٥٨ - ٥٩ جديداً - على أهمية ترجمته - وإذا كان
ابن خلكان قد أهمل النص على مصادره فاقنا لنعلم عن طريق مقابلتها بياقوت
أنه أفاد من العماد مثلاً . كما أنه أفاد من ابن النجار .

ولم تزد الكتب الأخرى على أن تكون تلخيصاً أو نقلاً عن النقل .
ومن ذلك شذرات الذهب ٣ : ٣٢٧ - ٨ الذي جمعت كل حروفه من ابن
خلكان . ثم إن الناشر فهم عبارة « وقتل في مجلس الأئس » على أنها في
« الاندلس » مما يمكن أن يكون سبباً دعاه إلى حذف كلمة « مجلس » التي
بقيت حية في « وفيات الاعيان » . ثم يأتي مؤلف حديث هو الزركلي فيميد
رواية « الاندلس » ، والزركلي ، وإن اعتمد المخطوطة فقد كان في إمكانه أن
يستعيض عن الخنبلي بابن خلكان - وهو الأول . وكان على مكتبة
القدس - التي نشرت الشذرات - أن تستعين بابن خلكان في إصلاح ما
تشك فيه من معان وما لا تراه منسجماً مستقيماً من التعابير ، فبعد أن تقرأ مثلاً :
« وصنف كتاب دمية القصر ... وقد وضع على هذا الكتاب أبو الحسن علي
بن زيد كتاباً سماه وشاح الدمية » وهو كالذيل لها . « وكالذي سماه
السمعاني الذيل » أقول بعد أن تقرأ هذا وترى اضطرابه تعود إلى ابن

خله كان لثقرأ » ... هو كالذيل له ، هكذا أسماء السمعاني في الذيل .
ومن المصادر : ابن كثير ١١ : ١١٢ - اليافعي ٣ : ٩٥ - ابن تقي بري
٥ : ٩٩ سن ٤٦٧ - السبكي ٣ : ٢٩٨ - لباب ابن الأثير ١ : ٥٣ (وينظر
الكامل سن ٤٦٧)
بروكان ١ : ٢٩٢ ، تكملة ١ : ٤٤٦ - دائرة المعارف ١ : ٦١٢ - ٦١٣
- هيار ١٠٧ - برون ٢ : ٣٥٥ - ٣٧٦ - الشواربي في ترجمته لبرون ٤٥٢ -
زيدان ٣ : ٢٦-٢٧ - الزركلي ٢ : ١٦٤

هـ

الرئيس الأديب^(١) أبو القاسم - أو أبو الحسن -^(٢) علي بن الحسن بن علي
بن أبي الطيب البخارزي السنجي ؛ وبخارز في خراسان وهي ناحية من
فواحي نيسابور^(٣) ، بينها وبين هرات^(٤) ؛ والسنج بلد معروف بفرشستان
وغرشستان ولاية بين غزنه وكابل وهرات وبلخ^(٥) :-

(١) الشذرات ٣ : ٣٢٧

(٢) ترد الكينيتان في الارشاد وقال أبو الحسن البيهقي كنية البخارزي :
أبو القاسم . وهو الصحيح « وقد مدح البخارزي أبا القاسم علي بن موسى
نقيب الطالبين بمرو فقال ص ٣٧٦ من ديوانه :

وزارك مني سمي كني فراع حقوق السمي الكني

(٣) أنساب . إرشاد ، وفيات (٤) معجم البلدان

(٥) معجم البلدان ، « ... والعوام يسمونها غرجستان والغالب علي
تسميتها اليوم علي لسان أهل خراسان بالفور . » وقد وردت النسبة في
طبعة مارغوليت لمعجم الأدباء السنخي وذلك تصحيف وقعت فيه أيضاً
الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٤٦٢ ، ولا غرو ، لأن كاتب المادة
الأصلية هو مارغوليت نفسه . وتنبت طبعة دار المأمون من الارشاد إلى
التصحيف . ينظر السبكي ٣ : ١٥

لا نعرف نصاً عن مولد « علي » ولكن المحتمل ان يكون في باخرز وبعد المائة الرابعة - في العشرة الثانية مثلاً^(١) وقد تناوبت على تربيته أمه والظفر^(٢). وكانت ابوه « الشيخ حسن » ذا وجه جميل تصونه نعمة صالحة . أديباً فاضلاً^(٣) ، تولى تربية ابنه وتعليمه وهياً له التلمذة لأئمة العصر في الفقه والحديث . وروى لنا علي نفسه أطرافاً من أخبار تعلمه فقال :

« أي منذ ناست على الشطاط عذبة ذؤابتي وأومضت للمفترس المتصون المحتاط مخيلة نجابتي . أنس مني والذي في متصرفات احوالي رشداً . . فشغل بي وكده وكده . . وصرف عنايته إلى جذب بضيعي وشجذ لطبعي نظر المتقف بأناته في كعوب قناته ، حتى يقوم سنادها ويثقف منادها . وياشر أمري بمجد ... ولم أزل ... صادق الرغبة ... عزمة مني على صناعة الشعر . . وهمة في اشاعة الذكر . . فلما فرغت من حفظ كتاب الله . ارتفع عن منافسة المعلمين أمري وكبر عن تقلد طوقهم عمري وذهبت بنفسي عن أن اكون قرين المقرئين . القيت الألواح . . فضم والذي إلى من الأدباء كل موثوق به مستوثق منه . استظل بداية الدراية تميز بين اكفائه بحسن الكفاية ... وأنا منيخ على المواظبة مغرى بملاحظة الصحف ، مغرماً بمطالعة الكتب . . . ولما أضر بي طول الجحام وقرمت إلى علك شكيمة اللجام ، استقبلت وطراً وودعت وطناً وذلك في شهور أربع وثلاثين وعهد الصبي نخيم ما انتقل . . وسرت على اسم الله والمشيوعون يذرون على الهوى فتات الأكباد ، والمودعون يزرون لعناق التوديع اعضاءهم على الاجياد . . وقد وليت وجهي شطر الفضلاء .
الوجه ... »^(٤)

(١) بنظر Huart

(٢) الملتقط ٤٧ (٣) الثعالي - تمة اليتيمة ٢ : ٣٦ - ٣٧

(٤) دمية القصر المط . ص ٣ مقابلاً على مخطوطة المتحف العراقي .

« ... وقد أدركت نيسابور من المقيمين بها أبا فضلها وأخا أفضالها وابن ميكالها المستوفي للفضائل بواف من ميكالها^(١) ». والميكالي هذا هو أبو الفضل عبيد الله بن أحمد قال فيه السمعاني : « من اعيان نيسابور أوجد عصره في خراسان أدباً وفضلاً ونسباً وعقلاً .. سمع الحديث الكثير وعقد له مجلس الاملاء في رجب سنة ٤٢٢ واستمر ذلك الى حين وفاته وانتشرت تصانيفه وديوان شعره في الآفاق ...^(٢) » وكانت وفاته عام ٤٣٦^(٣) وقد درس عليه البخارزي الفقه في صباه^(٤) » وقال البخارزي ... صحبتته بعدما أناف على الثمانين وفارقت « وهواي مع الركب الجمانين » ونادته فلم اقرع على منادته سن الندم وقدمت عليه فغمرني انعامه من الفرق إلى القدم وجالسته فأحمدته في كل أمر ...^(٥)

كما أدركت « ثعالبها أبا منصور »^(٦) « عبد الملك بن اسماعيل الثعالي . جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور ... وكان هو ووالدي نيسابور لصيقي دار وقريبي جوار ، فكم جملة كتب تدور بينهما في الاخوانيات وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات ، وما زال بي رؤفاً وعلي حانياً ، حتى ظننته أبا ثانياً^(٧) » « وبلت يدي من الطارئين » على نيسابور « بالعميد أبي بكر القهستاني سمي » وابن سمي والدي ، ومن ديوانه المسموع لي منه أنفس ما ادخره من طريفي وتالدي .^(٨)

(١) الدمية □ (٢) الانساب ٥٤٨ - ٩

(٣) الأنساب (٤) المستفاد

(٥) الدمية ١٢٢ □ (٦) الدمية □

(٧) الدمية ص ١٨٣

(٨) الدمية ص ٥

(٩) الدمية ص ٥

وكان من شيوخه الامام الموفق النيسابوري ، فقد « ذكر ... البيهقي في كتاب مشارب التجارب وأخبار الوزير أبي نصر ... الكندري ... أن الشيخ علي بن الحسن الباخري كان شريك أبي نصر الكندري في مجلس الافادة من الامام الموفق النيسابوري في سنة أربع وثلاثين واربعمائة ... فقال مداعبا :

أقبل من كندر مسيخرة للنحس في وجهه علامات
يحضر دور الأمير وهو قتي موضع أمثلة الخرابات
فهو جسيم و... سعة كجنة عرضها السموات ^(١)

وكان من شيوخ الباخري « أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن ابن عائذ النصابوني الملقب بشيخ الاسلام ... قال عبد الغافر ... وعظ المسلمين في مجالس التذكير سبعين سنة وخطب وصلى في الجامع يعني نيسابور .. توفي عام ٤٤٩ هـ ... وسمع منه عالم لا يحصون » ^(٢) وقد درس عليه الباخري الفقه في صباه ^(٣)

ومنهم الامام أبو عبدالله الجويني الذي تصدر في نيسابور منذ عام ٤٠٧ للتدريس والفتوى وقد تخرج به خلق كثير منهم ولده - امام الحرمين عبدالملك - . وكان [الباخري] في شبابه قد تردد إليه ولازمه ^(٤) « واختص بملازمة دروسه » ^(٥) ، حتى انحرف في سلك أصحابه ^(٦) وقد حدثنا بشيء عن ذلك فقال « قد اختلفت إليه فصارت دهم أيامي بمجالسته غرا وملأت جيبي وحجري من حسن عباراته درا » ^(٧)

(١) الارشاد

(٢) السبكي - طبقات الشافعية ٢ : ١١٧ - ١٢٤

(٣) المستفاد

(٤) الأنساب (٥) الوفيات

(٦) الأنساب

(٧) الدمية ١٩٥

واذ يحدثننا البخارزي عن اسفاره وعن الأعلام الذين لقيهم ، انما يقلب على حديثه الكلام على أهل اللغة والأدب والشعر ، ويستمر ويقول : « ورأيت بهراة .. قاضيها منصورا ونصرا . وقد حاسيتهما كئوس الوداد وراضعتها لبان الاتحاد ... ومدحتهما في الحياة عناية بالود ورثيتهما بعد الوفاة رماية للعهد . ولقيت بمرجان أبا محاسنها ... وعبد قاهرها ... وأبا عامرها ... وقصدت بمرور الروذ أمجديها : الموسوي وهو صدر خريديتها وقاضيها السماي وهو بيت قصيدتها ... ويبلغ شرف سادتها ... ابا الحسن محمد بن عبدالله . وبالري وزيرها الصفي ونحريها أحمد بن فورجة البروجردي ... وبأصفهان أبا مطرزاها صاحب « طراز الذهب على وشاح الأدب » ... وبهمذان أبوي الفرج : أحمد بن محمد ... وابن أبي سعد بن خلف . وبغداد ابن شبلها الخادر في قصباتها وابن نحريها النحري بين شعرائها وابن برهان الذي أوضح برهان النحو ... وبالبصرة ابن قصبانها ... وبواسط واسطة عقدها ابن بشران ... »^(١)

ولم يكن البخارزي متفقا أو شاعرا حسب لانه « بعد الاشتغال بالفقه » شرع في فن الكتابة واختلف الى ديوان الرسائل^(٢) وروى هو نفسه انه بعد مجلس الامام الموفق تصرف به أحوال ادته الى ديوان الرسائل بالعراق^(٣) ، ويذكر العوفي انه كان في شبابه كاتباً لطغرل بك الساجوق^(٤) ومن ماجريات حياته هذا الصدد ما رواه هو نفسه عن صلته بالكندري فقال : « دخل يوما وأنا قريب عهد بالانتظام في [الديوان] ، فلما وقع بصره

(١) الدمية ٥ - ٦ وقد تكلم البخارزي على الكثير من هؤلاء الأعلام في غضون الدمية . ينظر فهرستها . كما ينظر الوفيات والفوات والارشاد وبغية الوعاة . وجاءت « بمرور الروذ امجديها » على « بمرور امجديها » في مخطوطة المتحف العراقي . اما « الخادر في قصباتها » فهي من المخطوطة ، لانها جاءت في المطبوعة على « قضائها » .

(٢) الوفيات (٣) الدمية ١٤٦ (٤) الألباب . وينظرون في ترجمة الشوابري ٤٥٢

أثبت صورتي وأقرأه تذكر العهد القديم سورتي فأقبل عليّ وأقال : أنت صاحب « أقبل » ، يشير إلى الأبيات التي مازحته بها ، أقبلت : أيدي الله سيدنا ، فقال : أتفاءلت بأبياتك إذ كانت مفتوحة بلفظ الاقبال مؤذنة بقراغ البال^(١) . وما رواه من انه : « من عجيب الاتفاقات أيضاً أني انفذت اليه في ذمام الأمل

من خراسان وهو بمدينة السلام فوافيت الدار المضدية بها وقد عقد فيها مجلس منرور على ملوك العرب والمعجم والديلم والأكراد وهم يرمون أسباب زفاف السيدة العباسية الى السلطان ركن الدولة - وعميد الملك مستنجد يذاكر وزراء أولئك الملوك ومجاذيبهم أهذاب المحادثة كمعادته في التفكه بمار الأدب والتفنن في لغات الترك والمعجم والعرب ... فطلعت عليه بغتة وهو يروي أبياتاً كنت عبثت بها في صباي :

عجبت من دمعتي وعيني	من قبل بين وبعد بين
قد كانت عيني بغير دمع	فصار دمعني بغير عين

ويروي أيضاً : -

وجه حكى الوصل طيباً زانه صدغ	كأنه الهجر فوق الوصل علقه
وقد رأيت أعاجيب الزمان وما	رأيت وصلاً يكون الهجر وثقه

فوافقت رؤيته إليّ روايته لشعري : فقال للحاضرين ها هو ذا ، وقد كان عندنا بخراسان ساعة أطلقنا بشعره اللسان فاذا « بموسى » وقد جاء على قدر ، فبرد غليله بشرب من البعمادة محتضر وأثار النظر فكأنه يتقاضى شعري المنتظر ، فأبرزت القصيدة من الكم وقضت بها أسمع ، أولئك الملوك الشهم ، ورفعت غفيري بدالية أولها : -

أقوت معاهدم بشط الوادي	فبقيت مقتولا وشط الوادي
وسكرت من خمر الفراق ورقصت	عيني الدموع على غناء الحادي

(١) الدمية ١٤١ - ١٤٢

فلما انتهيت الي قولي : -

قالت وقد فنشت عنها كل من
أنا في فؤادك فارم لحظك نحوه
لاقيته من حاضر أو بادي
ترني، فقلت لها : وأين فؤادي

سكر برشف رحيقه وجمع بين برق ابتسامه ورعد تصفيقه ، وأقبل على
الحاضرين وقال : لنا في المعجم مثله فآتوا في العرب بمثله . وصار ذلك عنوانا
لكتاب مفاخري وشرفا باذخا تمطس عنه مناخري^(١) .

ويذكر البيهقي أن الوزير « أمر للشاعر عندما فرغ من انشاد هذه
القصيدة بألف دينار مغربية »^(٢) وكان قد خلع عليه قبل انشادها اياه بيوم .
ويروي البيهقي حكاية اللقاء على شكل آخر فيقول : « ورد عليه وهو
في صدر الوزارة في ديوان السلطان ، فلما رآه الوزير قال له : انت صاحب
« أقبل » ؟ فقال له : نعم ، فقال الوزير : مرحبا وأهلا فاني قد تفاءلت
بقولك « أقبل » ... الخ »^(٣) . ويظهر أن البيهقي يخلط بين حادثتين مختلفتين
والمعقول أن نصدق البخارزي في ذلك وان نتخذة حجة تضعف قول المهاد
بأنه « ورد بغداد مع الوزير الكندري » ، تضعفها أو تنفيها .

واذا عدنا إلى دالية البخارزي المذكورة رأيناها يشكو ويتظلم :

... ولقد بثت إليه شجوي اني
في بقعة لبست ثياب حدادها
لأنا الأسير وليس لي من فادي
بزعيمها ابن الأقف الحداد

* * *

فاليك منه المشتكي يا من يعي
ومراده أبي الاقي منه ما
صوت الليف رسمه الممتاد
لاقي « على » من شقي « مراده »

(١) الدمية ١٤٢ - ١٤٣

(٢) ياقوت ، الارشاد عن مشارب التجارب للبيهقي

(٣) ياقوت ، الارشاد عن مشارب التجارب للبيهقي

ولطالما هدم الزمان قواعدي فبنيتني ورفعت من أعضادي
وفي هذا البيت الأخير - في الأقل - ما يضعف رواية البيهقي ، لأنه - كما
تري - يشير الى معرفة سابقة وأفضال كثيرة .

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي يشتكي فيها الشاعر من هذا «الحداد» .
ففي قصيدة «بغدادية» أخرى قال :

... ومالي إلى «مالين» شوق فانها منفضة من جور «حدادها» الكلب

* * *

وأخرجني والفدر من فعلاته عن الوطن المألوف والعطن الرحب
وأتهب أموالني فليس يجبنني إلى ردّ خلخال «لرمة» أو قلب^(١)
وليست كل أبيات الباخري في الكندري مدحا وشكراً ، فقد وصف طرفا
مما هيأت له بغداد من حياة رخية تناسب مزاجه ، لاهية تشغله عن سواها :
فها أنا في «بغداد» أرعى رياضها وأرتع منها في الرهاة والخصب
وأسحب أذيالي عليها «وكرخها» مظنة أطراي و «دجلتها» شربي

* * *

وأسبأ في حاناتها «عكبرية» أرق من الاعتاب في عقب العتب^(٢)
على أنه من الانصاف أن نقرر بأن اللهو ليس كل مطالب الباخري ، فقد
كان طامحاً أيضاً ، ألم يقل في الدائبة :

ولسوف تسمو باعتنائك رتبتي حتى أنص على السماك وسادي
وفي البائية : -

أباري أثوي ام أسير مع الركب أسير لأن السير أدنى إلى قلبي

(١) الديوان . وكان الباخري قد رفع مثل هذه الشكوى إلى
طغرلبك (الديوان ص ٧) . وجاء في معجم البلدان : مالين ... من قرى
باخرز . (٢) الديوان ص ٣٨

أَتَشْغَلُنِي خُودُ تَسْكَبِ ثَدْيِهَا عَنْ الذَّرْوَةِ السَّمَاءِ أَعْلَى بِهَا كَعْبِي
سَلامٌ عَلَى وَكَرِي وَإِنْ طَوَى الْحُشَا عَلَى حِمْرَاتٍ مِنْ فَرَاحٍ وَمِنْ زَعْبِ

* * *

أَلَمْ تَرْنِي وَتَرْتِ بِالْشَرْقِ عِزْمَةً رَمَتْنِي كَالسَّهْمِ الْمُرِيثِ إِلَى الْغَرْبِ
وَقَدْ وَضَعَ كُلُّ أَمَلَةٍ فِي يَدِ الْكَنْدَرِيِّ^(١) . وَصَحِيحٌ أَنَّ الْكَنْدَرِيَّ كَانَ
يُكْرِمُهُ وَيَقْرَبُهُ :

يَعْدَتْنِي بَيْنَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَكَذَلِكَ (م) بِي عَدٍّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ « سَلْمَانَا »
إِذَا حَلَّتْ بِوَادِيهِ رَأَيْتُ حَمِيًّا مِمَّنَّ عَارِدَ خُطْبِ الدَّهْرِ خُزْيَانَا^(٢)
وَلَسَكُنَ الْكَنْدَرِيُّ قَدْ « يَفْطُمُهُ » أَحْيَانًا « عَنْ بَابِهِ الْمَعْسُولِ دَرْتُهُ »^(٣) . ثُمَّ
إِنْ عَلاَقَتُهُ لَمْ تَزِدْ كَثِيرًا عَلَى عَلاَقَةِ الْمَادِحِ بِالْمَدُوحِ ، وَيَبْدُو أَنَّهُ لَمْ يَحْقُقْ كَثِيرًا
مِنْ مِطَاحِهِ ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَرْتَفِعْ عَنِ الْكِتَابَةِ فِي دِيْوَانِ الرِّسَائِلِ ، وَإِنْ ذَكَرَ
الْمَادَّاهُ قَدْ « تَنَقَّلَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ فِي الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَازِلِ »^(٤) .

وَلَمْ يَكُنْ عِطَاءُ الْكَنْدَرِيِّ لِيَكْفِيهِ ، لِهَذَا فَهُوَ لَمَّا وَرَدَ إِلَى بَغْدَادٍ مَدَحَ
الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَقَالَ : « وَقَدْ أَسْعَدَتْ سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ بِالْمَثُولِ فِي تِلْكَ
الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ ، وَالرَّقِيَّ إِلَى تِلْكَ الْمَرَاتِبِ الْمُنِيفَةِ ، وَأَنْشَدْتَ - بَائِيَةً قَرَعْتَ
شَقَاشِقِي أَعْوَادَ السَّرِيرِ بِمَا مَلَكَتْ فِيهَا مِنَ الْهُدَيْرِ » . وَمَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ :

عَشْنَا إِلَى أَنْ رَأَيْنَا فِي الْهُوَى عَجَبًا كُلَّ الشُّهُورِ ، وَفِي الْأَمْثَالِ : « عَشْرَ رَجَبَا »^(٥)
وَلَرُبَّمَا كَانَ لِعَجَبِهِ بِهَذِهِ الْبَائِيَةِ أَنْ صَدَّرَ بِهَا دِيْوَانَهُ - وَمِنْ عَادَةِ الشُّعْرَاءِ أَنْ
يَعْجَبُوا بِمَا يَقُولُونَ . وَإِلَّا ، فَلَيْسَ فِي الْقَصِيدَةِ أُمُورٌ خَارِقَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تَبْذُرَ
مَتَوَسِّطَ الشُّعْرِ أَوْ أَنْ تَعْلُوَ كَثِيرًا عَنْ رَدِيئِهِ . ثُمَّ إِنَّ الْبَيْهَقِيَّ ، يَرُوي بِمُهْجَةٍ
الْوَائِقِ - وَالْمَهْدَةِ عَلَيْهِ - أَنَّهُ « لَمَّا وَرَدَ [الْبَاخِرَزِي] إِلَى بَغْدَادٍ » مَدَحَ الْقَائِمَ

(١) شِعْرُهُ فِي الْمُلْتَقَطِ ص ١٦ (٢) الدِّيْوَانُ ص ٤٧ ■ الْمُلْتَقَطُ ص ١٠

(٣) الْإِرْشَادُ ، الْوَفِيَّاتُ (٤) الدِّمِيَّةُ ص ١٠ - ١١

بأمر الله بقصيدته التي صدرها ديوانه وهي « عشنا ... » « فاستهجن
البغداديون شعره ، وقالوا : فيه برودة المعجم ، فانتقل الى السرخ
وسكنها وخالط فضلاءها وسوقتها مدة ، وتخلق بأخلاقهم ، واقتبس من
اصطلاحاتهم . ثم أنشأ :

هبت علي صبا تكاد تقول إني إليك من الحبيب رسول
سكري تجشمت الرُّبِّي لتزورني من عليّ ، وهبوا تعليل

فاستحسنوها وقالوا : تغير شعره : ورق طبعه ^(١) .

ويبدو أن مدائحهم للقائم لم تحقق له مأرباً .

ويظل الشاعر مع الكندري ^(٢) يمدحه ويشكره ، ثم تتغير الأحوال
ويغلب نظام الملك حتى على السلطان ألب أرسلان ويعمل على إقصاء الكندري
وسجنه فيحدثنا الباخري : « ودخلت عليه بنيسابور وهو محبوس في دار
عميد الملك فساق معي من مجاري أحواله قصصاً وأساغ من منافات أنفاسه
غصصاً وأتني على صاحب نظام الملك بآلامه وسماء باحسن أسمائه وقال في أثناء
ثنائه : حقق أمني واستلب حياتي من يدي أجلي » ^(٣) . وثناء الكندري
على نظام الملك غير معقول ولا سيما بالشكل الذي عرضه علينا الباخري .
فما الذي أمني على الباخري هذه اللهجة وأداه الى هذا المفهوم ؟ أهو الخوف
من نظام الملك أم قلة في الوفاء ؟ أم كلاهما ؟ لقد ابتدأ الباخري الحديث عن
ولي نعمته بـ « تجاوز الله عن سيئاته » ^(٤) .

وكان الشاعر أكثر سماجة وأكثر جبناً لما قتل السلطان ألب أرسلان

(١) ياقوت في الارشاد عن البيهقي في مشارب التجارب .

(٢) ولنلاحظ ان اسم الكندري يرد في ديوان الباخري وفي دمية

القصر على : منصور بينما يرد في الكتب الأخرى كالنصرة والوفيات ... علي محمد .

(٤) الدمية ص ١٤٠

(٣) الدمية ص ١٤٤

الوزير أبا نصر الكندري فقال يخاطب السلطان :
 وعمك أدناه وأعلى محله وبؤاه من ملكه كنفارحبا
 قضى كل مولى منكم حق عبده نغوله الدنيا وخولته العفي
 فن أي أنواع الشعر هذا ؟ إلا إنه من بحر العقوق والجبن والمنطق الاعوج ،
 وعجيب أن يعلق البيهقي على هذه الأبيات فيقول : « وهذا معنى لطيف ومقصد
 ظريف فله در الشعراء وقرأتهم والأدباء ومنأهم »^(١) .
 ثم انصرف البخارزي إلى نظام الملك يمدحه ويمثله ويفخمه وينال عطاياه
 ويعترف له بالفضل^(٢) . ولكن نعم الوزير لم تكن متصلة مما يبعثه على الحث
 عن طريق عرض آلامه وفعل الدهر به وحاجة « اولاده » ، وقد يذكره
 بخدماته^(٣) . ويظهر أنه لم ينل شيئاً ذا بال ولم يستطع أن يبلغ من « المراتب »
 ما يشاء فـ « فضل حياة العزلة واستقال من منصبه »^(٤) . ثم شرع في أسفار
 طويلة - وكأنه يضم تأليف كتاب يجمع فيه ما يرى وما يسمع من الأحداث
 والأشعار والأخبار . وربما كان ذلك في شهور ٤٦٤ . وقد أراد أن يخدم
 بهذا الكتاب - وهو دمية القصر - نظام الملك^(٥) .
 هذه الشواغل ، وما هو أهم منها مما يدعيه ويكثر الشكوى لأجله من
 فقر وفقد الأب والأم وتكاليف الزوجة والأبناء والأخوات ثم ما عرف
 عنه من تفقه وسماع للحديث - كل أولئك لم يمنعه من ان يعيش « عيشة لاهية

-
- (١) ياقوت في الارشاد عن البيهقي في مشارب التجارب . وتنظر الدمية
 والارشاد لاستيفاء مثل هذه الأخبار
 (٢) الديوان والدمية والملتقط
 (٣) الملتقط ص ٢٤
 (٤) الشواربي في ترجمته لبرون نقلا عن عوفي في لباب الألباب
 (٥) تنظر الدمية ص ٥ ، ٣١١

عائشة^(١) . « انتهت بمقتله ... »^(٢) « في مجلس أنس »^(٣) و « شرب »^(٤) بياخرز .

ويقال إنه أنشأ بالفارسية وهو في حالة النزاع هذه الرباعية :

انتي ذاهب ... فتعال الآن وانظر قبل الرحيل
وانظر إليّ وأنا اتمذب في هذا الحال المؤلم الويل
ثم انظر إلى هذه الحجارة من فوقي وإلى يدي من تحتها
وإلى فراق الأحبة ... وإلى سيف الأجل القاطع الويل^(٥)

« طل دمه غدرا »^(٦) « وذهب هدرا »^(٧) . وكانت ذلك في « ذي القعدة »^(٨) « سنة سبع وستين وأربعمائة »^(٩) صيف ١٠٧٥ م والشاعر في « أيام السكهولة »^(١٠) .

(١) الشواربي في ترجمته لبرون عن عوفى ص ٤٥٢

(٢) المستفاد ، وفيه « ... على يد بعض . . . الدولة النظامية . »

(٣) السمعاني في المستفاد ، ياقوت عن الخريدة ، ابن خلكان دون أن ينص على الخريدة .

وينظر شذرات الحنبلي وأعلام الزركلي .

(٤) المرأة العوفى .

(٥) الشواربي في ترجمته لبرون ص ٤٥٣ نقلا عن العوفى

(٦) المستفاد (٧) ياقوت عن الهامد ، الوفيات . المرأة

(٨) الوفيات (٩) كل المصادر : السمعاني ، الهامد ، ياقوت ،

ابن خلكان « سبط ابن الجوزي ... وشذ عوفى إذ جمعه سنة ٤٦٨ ومن

اخطاه دائرة المعارف الاسلامية المترجمة الى العربية (مج ٤ ص ٢٦٢ - ٢٦٣)

جمال وفاته عام ٣١٧ هـ

(١٠) المستفاد . وفي القاموس : السكهولة لا تتجاوز الاحدى والخمسين .

ورثاه شاعر فارسي اسمه عياضي ببيتين معناها : -

مسكين « علي بن الحسن » فقد وقع في هذا العراك المشؤوم
وقتل بغير جريرة « كالحسين بن علي » المظلوم
وقد كان أسداً ... وكأن الأدب عرينه وواديه
ولا عجب إذ اقتل الأسد في مأسدته وبواديه^(١)

وقد يكون الشاعر حسن النية في التشبيه ولكنه لا يخلو - على أية حال -
من صفاقة ، وربما كان هذا الشاعر من خلان الفقيده وندمائه . والعجيب انك
لا تعدم ان تقرأ فيما بعد « قال الأمام الشهيد ... »^(٢) ويقصد بذلك البخارزي
الذي قتل في « أثناء ثورة من ثورات الشراب »

مؤلفاته

(١) الديوان - ونفهم من خبر رواه السمعاني أن البخارزي جمع ديوانه
بنفسه ، وأنه صدره بقصيدته : « عشنا إلى أن رأينا في الهوى عجباً ... »
وقال سبط ابن الجوزي ان « ديوانه مشهور » ، وقال ابن خلكان انه « مجلد
كبير ، والغالب عليه الجودة » .

وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة منه - قد تكون فريدة - نقلت للأب
انستاس ماري الكرملي عام ١٣٤٨ هـ عن نسخة قديمة جاء في آخرها : « قال
جامع هذا الديوان البديع أبو القاسم محمد بن أحمد بن الحسن بن الحسين
الخجندي . قد وفقت للحصول على أغلب قصائد البخارزي ، لكنني وجدت
في بعضها أخطاء غير تامة ، وفي البعض الآخر كلمات تصعب قراءتها ، فأبقيت
في مكانها بياضاً ريثما أعثر على أحسن رواياتها وأصحها نقلاً وأحسنها كتابة .

(١) الشواربي في ترجمته لبرون ص ٤٥٤ نقلاً عن لباب الألباب لعوفي .

(٢) الديوان ص ٢ . (٣) الشواربي ص ٤٥٢

وكذلك أبقى أوراقا أيضا لتدوين ما فاتني من القصائد والمقاطيع التي وعدني بها بعض الأصحاب ممن عُني بجمعها ، وحرص عليها ، لكنني لم أزل أسمع منهم المواعيد الطيبة بلا جدوى ، فبيضت منها ما تمكنت من الحصول عليه ، حرصاً على تدوينه وأرجأت الباقي إلى حين ... وذلك في الخامس من محرم الحرام من سنة اثنتين وسبعين بعد الأربعمائة للهجرة .

يقع هذا الديوان في ٤١٥ صفحة ، وهو مصدر ربه « عشنا ... »

ولدينا إلى جوار هذا الديوان : « الملتقطات من ديوان أبي الحسن علي بن الحسن الباخري » وتبلغ زهاء خمسين صفحة تصدرت النسخة الأحمدية لخطوطه الدمية . وقد طبعت ملحقة بالدمية .

أما « الأحسن للباخري » فهو « مما عني بجمعه الشيخ الامام أبو الوفاء محمد بن القاسم الأُخسيكتي »^(١) ، وتضم مكتبة المتحف البريطاني نسخة منه . وقد بوبه مؤلفه إلى : النسيب ، الإخوانيات ... الشكاية ... المجون . الخريات ، المعميات ، الزهد » وتقع صفحاته بين ٧٧ - ١٥٥ من مجموع ضم مخطوطات عدة . ويبدو - من المقدمة أن الأُخسيكتي اتبع في الاختيار والتأليف رأى « ضياء الملك منصور » . وما يذكر ان العوفي صاحب الباب الألباب يقول : « كنت عند الوزير ... وبدأنا نقرأ ديوان الباخري المسمى « الأحسن في شعر علي بن الحسن ... »

(٢) - دمية القصر وعصرة أهل العصر . « هو ذيل يتيمة الدهر التي للشعالي »^(٢) وقد نهج نهجه في التبويب على الاقطار والاختيار للأدباء الذين عاصرهم مع ايراد قليل من أخبارهم وأحكام عامة يغلب عليها المدح والمبالغة في

(١) الأُخسيكتي أو الأُخسيكتي لأن أخسيكت مدينة من فرغانة بالتاء والتاء .

(٢) الوفيات .

المدح ، ولا يُعنى - شأن الشعالي - بترجمهم من حيث الولادة وشؤون الحياة والوفاة . ويأسف « برون » لأنه « قصر عنايته على ذكر الشعراء الذين صاغوا شعرهم بالعربية وأغفل ذكر شعراء الفرس ، ولو أنه تحدث عنهم لكان حديثه مصدراً لكثير من الأخبار الصادقة الصحيحة »^(١) .

ألفه حوالي عام ٤٦٤^(٢) فجمع ما أوعى في أسفاره ومذكراته ومطارحاته . وقال « أودعته من روائع الحكم نهزا لأولى الأبواب ، وضمنته من بدائع الكلم نزها للأرباب ؛ وأخذت فيه ولمسك الشباب لطخة في الوفرات ، وفرغت منه والكافور المشيب لطفة على القسرات ... وخدمت به المجلس العالي النظامي القوامي الرضوي جالياً عليه حرة كريمة ، وجالبا إليه درة يتيمة .. وبعد فلو هب على هذه الخدمة من تلقاء الرأي العالي ... عاش العبد على رضاء البال ... وإن محيت محو الريح للسحب ... خاب العبد ... ولم يجد إلا لحم بنانه مأكلا ، ولم يرد إلا دمع أجفانه منهلا . »^(٣)

قدم الباخريزي « دميته » الى نظام الملك بهذا الذل وعلى هذا الاستجداء . ولا ندري كم نفحه سيده ، ولكن ما كادت « تُطلع هذه الدمية رأسها من شرفة قصرها »^(٤) « حتى انثال عليها فضلاء عصرها » يثنون ويبالغون في الثناء عليها وعلى مؤلفها^(٥) ، وفي مدح نظام الملك والدعاء له والرجاء من ذلك الذي « يعتاض حمد الناس من ماله »^(٦) ان يهب المؤلف الذهب والفضة ،

(١) برون في ترجمة الشواربي ص ٤٥١

(٢) الدمية ص ٥ . ويذكر Huart انه بلغ به حتى عام ٤٥٠ وهذا

ما لا تؤيده أخبار الكتاب وترجماته .

(٣) الدمية ص ٣١١ (٤) الدمية ص ٣١١

(٥) الدمية ص ٣١١ - ٣١٥

(٦) الدمية ص ٣١٤

فقال قائل : -

جلوت علينا دمية القصر غادة
وقد نبذ الناس «اليقيمة» بعدها
وقال ثان : -

مادمية القصر إلا روضة أنف
من كل لفظ كنظم الدر مخترع
أبقت أسامي من فيها مخلدة
فليحسنن من نظام الملك موقعها
يشقى بها كاتب ماتت خواطره
وهي العرائس لا ترضى لبهجتها
وقال ثالث : -

... فيا «دمية القصر» اسحبي ذيل عزة
وتيهي فقد وشاك ماشاءه «علي»

في هذه الأبيات وأمثالها كثير من المبالغة . فليست الدمية - كما نراها اليوم -
بالدرجة التي كانوا يتصورونها ، وقد نسيها الناس - أو كادوا ، ولم ينسوا
«اليقيمة» . وكان العصر - وما يزال - يستسيغ مثل تلك المبالغات و «المجاملات»
الاخوانية ، ومن يدرينا فلعل هدفهم الأول في ذلك تحفيز الوزير الى العطاء ،
ولربما كانت للباخري يد تخمهم .

يرى مارغوليوت أن مكتبه نظام الملك هي التي جهزت القسم الأكبر من
مصادر الدمية ، ولم يقل الباخري ذلك ، ولو صح لملاً دميته مدحاً ونفراً
به ، ولا ندري أين وجد مارغوليوت خبره ، ولعله فسر به قول المؤلف يمدح
نظام الملك بأنه « بنى لنفائس الكتب خزانة ، اختصر طريق المنبعثين الى
تحصيلها وكفاهم كلف الاسفار في طلب الاسفار بضم شتاتها » - وهذا غير كاف .

وضع أبو الحسن علي بن زيد البيهقي (المتوفى عام ٥٦٥) على «الدمية» كتاباً سماه «وشاح الدمية» وهو كالذيل لها^(١)، ثم كتاباً آخر هو «درة الوشاح» يعني تنمة وشاح الدمية^(٢). كما يمكن عد «زينة الدهر» ذيلاً على دمية القصر^(٣).

وقال العماد الكاتب: طالعت هذا الكتاب [أي الدمية] بأصفهان في دار الكتب التي لتاج الملك بجامعها: وبعثني ذلك على تأليف كتابي هذا [أي خريدة القصر]^(٤). وهكذا فقد «هذا العماد حذوه»^(٥).

وللدمية شرح ذكره صاحب كشف الظنون في الكلام على طبقات الشعراء^(٦)، «ولم يذكر اسم مؤلفه، ولا وقفت عليه»^(٧).

ونسخ الدمية المخطوطة كثيرة - كاملة وغير كاملة: في بغداد (مكتبة المتحف) والموصل (جامع الباشا) والنجف (صادق كونه) وحلب (في الأحمدية والمارونية) والقاهرة (التيمورية والأزهرية) وطهران (مكتبة ملي) وفيينا وباريس. ويذكر زيدان - فيما يذكر - برلين وغوطة

وفي معهد المخطوطات بالجامعة العربية جزء من وشاح الدمية بـ ٢٥٣ ورقة، حجم صغير، ناقص من أوله وآخره، كتب في القرن السابع، وهو مصور عن مكتبة حسين جلبي^(٨).

(١) الوفيات ١: ٥٨. «هكذا سماه السمعاني في الذيل»، وقال العماد في

الخريدة هو شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسن البيهقي والله أعلم.

(٢) تنمة صوان الحكمة ص ١٧١

(٣) الوفيات ٢: ٤٩٥ (نجد ... العماد)

(٤) الارشاد، وتنتظر مقدمة العماد لخريدته

(٥) المرأة. (٦) كشف الظنون ٢: ٩٣ (٧) الطباخ في

مقدمته للدمية (٨) فهرس معهد المخطوطات العربية ص ٥٤٥

طبع كتاب الدمية سنة ١٣٤٩ / ١٩٣٠ بالمطبعة العالمية بحلب بعناية محمد راغب الطباخ ، معتمداً نسخة الأحمدية ثم المارونية والموصلية . وقد قال - فيما قال - « لا أدعي أنني أخرجته خالياً من الغلط ... » .

ولم يكن قوله هذا من باب التواضع ؛ فان القاريء لا يحس - مثلاً - أثراً للعقابة بين النسخ ، وانه يفتقد الفهارس ؛ ومن يقابل النسخة المطبوعة بالمخطوطات الأخرى يلحظ نقصها ، ويمتقد أنها - إن سدت حاجة موقفة فانها لا تغني عن مراجعة المخطوطات ، ولا تحول دون طبعة ثانية .

٣ - اشعار فارسية متفرقة ^(١)

٤ - قصيدة مطولة جعل عنوانها « طرب نامه » أو « رسالة الطرب » جعلها مكونة من رباعيات فارسية تتسلسل بحسب الترتيب الهجائي ^(٢)

هائمه

ان الذي يهمننا من الباخري شعره العربي وقد كان هو مزهواً به ، وكان معاصروه يعجبون به ، ومنهم من عده « أوحد العصر » « وأشعر الناس » ^(٣) ، وقال المهاد « كان واحد دهره في فنه » وساحر زمانه في قريحته وذهنه « صاحب الشعر البديع والمعنى الرفيع ... لقد رأيت أبناء العصر بأصفهان مشغوفين بشعره ، متيمين بسحره » ^(٤) . وزاد ابن خلكان انه « السابق الى حيازة القصب في نظمه ونثره »

(١) « العوفي في الجزء الأول من لباب الألباب ص ٧٠ وكذلك رضا

قليخان في الجزء الأول من كتابه « معجم الفصحاء » ص ٣٤٣ ، وينظر الشواربي في ترجمته لكتاب برون ص ٤٥٢

(٢) العوفي ... (٣) الدمية ص ٣١٥

(٤) المهاد في الخريدة « نقله ياقوت في الارشاد

وهذا هو شعره بين ايدينا ، و « كميته » - والحمد لله غير قليلة وهو يتقلب بين المديح والنسيب ، والشكوى والهجاء والسخرى والفزل بالمذكر مع ألعاب ذهنية وزخارف بديعية متسلسلة ومبالغات تصل الغلو وتتمدها الى الكفر وفساد الذوق ، والركعة في كل ذلك غالبية و « النثرية » شائعة واذا سلمت له الأبيات المحدودة فلا تقوى هذه الأبيات المحدودة المحدودة على أن ترتفع عن متوسط الشعر . ان « القدماء » في أحكامهم لم يبحثوا عن الشاعرية والموهبة ولا عن الأصالة والإيقاع وكان كل موزون مقفى - لديهم - شعرا . ولم تختلف احكام النقاد الفرس عن احكام العرب فقد قال عوفي مثلا : « لقد أصبح - الباخري - في اللغتين علما يرتفع فوق أرجاء العالم ويمكن من أن يسلب فضلاء الزمان قصب السبق في هذين اللسانين . »^(١) أيكون - على هذا - شعر الباخري باللغة الفارسية مثل شعره باللغة العربية ؟ أرجو ألا يكون !

(٣) ابن السَّيْل

مصادره :

لقد رأى الباخريزي ابن السَّيْل وسمع أشعاره ، ولا يغني كلامه في الدمية المطبوعة ص ٦ و ٨٣ - ٨٤ عن المخطوطة (طهران أو بغداد) . وقرأ السمعاني شعره على تلاميذه فيما قرأ . وحدثنا السمعاني عن نسبه وعلمه وشعره ومسكنه من بغداد (الانساب و ٣٢٩ أ) وروى كثيراً من أشعاره ، وقد حفظ ذلك العماد في الخريدة ج ١ و ٩١ ب - ١٠١) ، (وتكرر بعض مواد الترجمة عند ابن الجوزي ج ٨ ص ٣٢٢ - ٣٢٩ ويزيد عليها خبر وفاته ورأيه في عقيدته .) وإذا كانت الخريدة قد حفظت لنا ما كتبه إلى العماد أبو شهاب ابن محمود الشذباني عن السمعاني قراءة عليه فإنها حفظت أيضاً أخباراً ذات بال ، ومجموعة من الشعر تستغرق أكثر من خمس عشرة صفحة مرتبة على حروف الهجاء - تجدها عند القفطي أيضاً . وكان الباخريزي من مصادر العماد . ويعمد القفطي في «المحمدون» ما جاء في الخريدة دون أن ينص عليها . والنقل الحرفي يفضحه ، وكذلك السند ، يقول القفطي مثلاً : روى لنا عنه أبو القاسم بن السمرقندي وأبو الحسن بن عبد السلام الكاتب وأبو السعادات بن العطار وأبو سعد الزوزني ببغداد ومحمد بن القاسم بن المظفر القاضي بالموصل . وما حدثه هؤلاء ولا كتبوا إليه وإنما كتبه الشذباني عن السمعاني بالجامع القديم من كتابه . ويمكن أن يشمل هذا القول ما ذكره عن الدمية وعن خط ابن المارستانية وكتابه .

ويروي ابن الأثير متفرداً ج ٩ ص ٤٤٧ سن ٤٥٠ خير هربه من الغز ، (وينظر ج ١٠ ص ٧٦ سن ٤٧٣) . وقد فات هؤلاء المؤرخين أن ينبهوا على

مكانته في النحو وعلى تاريخ ميلاده مما حفظه لنا الحسامي عن ابن النجار ،
أما تعاطي الحكمة فقد نهياً له مصدر جديد هو ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٤٧
في الباب العاشر الذي عقده على « طبقات الأطباء العراقيين » وقد ووى له
تماذج من الشعر .

فانت ابن خلكان فرصة ترجمة ابن شبل - وهو يعلم شهرته (ج ١ ص
٥٧٣ - ٤ في الكلام على المقلد بن المسيب وولده قرواش ومادحيه) - فانت
وفاتنا وإن كنا وجدنا مفردات الترجمة التي يعني بها ابن خلكان متفرقة عند
غيره . ثم إن ابن شاكر قد استدرك ذلك في « فواته » ٢ : ٢٤٤ : ٢٤٧ -
دون أن يضيف جديداً ، وكذلك الصفدي في وافيته ج ٢ ص ١٠٨ على أن
في الوافي إشارة إلى حفيده . وكان ابن أبي أصيبعة من مراجع الصفدي .
ومن مصادره أيضاً : ابن الشجري - الحماسة ص ١٨٥ - ٨٦ ، ٢٧٤ ؛
لباب ابن الأثير ٢ : ١٠ هارتمان ج ٦ ص ٨١٦ ، مجلة الآداب البيروتية في
العدد الثاني والثالث من السنة الأولى .

هياتر :

أبو علي محمد بن الحسين بن عبدالله بن أحمد بن يوسف بن الشبل^(١) بن

(١) ابن الشبل، في المنتظم والخريدة (السمعاني وابن المارستانية) والقفطي
(عن السمعاني ...) والفوات والوافي ؛ ابن شبل عند البخاري وغيره مثل
ابن الأثير في الكامل وابن أبي أصيبعة . وجاء في لباب ابن الأثير الشبلي ،
نسبة إلى الجد ؛ وفي البداية والنهاية الشبلي وابن الشبلي .

وعلى أن الإجماع أنه : ابن الحسين فان ناشر حماسة ابن الشجري فضل
« الحسن » على الحسين وكذلك فعلت الوفيات ٢ : ٢٤٤ . وجاء في الوافي :
« وزعم بعضهم أنه الحسن بن عبيدالله » . ولا قيمة لرواية مجلة الآداب من =

أسامة^(١) ، الشيخ الشاعر « الحكيم .

« من أهل شارع دار الرقيق »^(٢) ببغداد ، ولد في مدينة السلام عام ٤٠١^(٣) وبها نشأ^(٤) . وقد درس وتعلم كثيراً من نواحي المعرفة في عصره من أدب وشعر وما إليهما ، وعدّ من شعراء زمانه وكبار نحاته ، وسمع الحديث وحدّث^(٥) .

= انه : أبو محمد بن الحسين .

(١) الخريدة ، المحمدون

(٢) ابن الجوزي ، وتنظر الخريدة والمحمدون

(٣) ابن النجار في المستفاد

(٤) ينظر ابن أبي أصيبعة

(٥) قال ابن الجوزي : « سمع من أحمد بن علي البلدي » ووردت في الوافي « ... الباذي » وفي « المحدثون » : « سمع غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام عن أحمد بن علي الباد » ويصحح ذلك الدكتور مصطفى جواد بـ « البادا » معتمداً تاريخ الخطيب البغدادي ومما جاء في كتاب الخطيب ٤ : ٣٢٢ « أحمد بن علي بن الحسن ... بن طهمان أبو الحسن المعروف بابن البادا ... كان ثقة فاضلاً من أهل القرآن والأدب ... ومنزله في درب يعقوب آخر شارع دار الرقيق ، ومات ... سنة ٤٢٠ » .

وجاء في لباب ابن الأثير « سمع الحديث من أبي الحسن بن المقتدر بالله وغيره » وفي « المحدثون » : « روى عن الأمير أبي محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله حكايات . »

وقال ابن الجوزي : « روى لنا عنه اشياخنا » ، وجاء في الخريدة و « المحدثون » : « روى لنا عنه أبو القاسم السمرقندي وأبو الحسن =

قال البخارزي : « قصدت ... ببغداد ابن شبلها ... الخادر في
قصباها » « سنة خمس وخمسين واربعمائة فوجدته قد شد على الأدب الجزل أزارار
نيابه ، وجع أقسام الفضل ملء اهابه » - ولا غرو فقد كان ابن شبل آذاك
قد نيف على الخمسين .

ولم يقف ابن شبل عند العلوم اللسانية أو الشرعية ، وإنما تعداها إلى
المنقولة حتى أصبح « حكما فيلسوفا ، ومتكلما فاضلا » ، « قوي الاطلاع
في العلوم الحكيمة والأسرار الالهية » - وعد في الأطباء المراقين ^(١) .

ولم يكن ابن شبل فيلسوفا محترفا حسب ، إنما كانت قضايا الوجود
الكبرى تشغل فكره ونفسه فكان يسائل « الفلك المدار » عن الجبر
والاختيار والقضاء والقدر ويتساءل عن الاسباب التي يؤخذ بها البريء بجزيرة
غيره وما يمت الى ذلك بما ينتاب الانسان من حياة وموت وخوف وأمل وقناعة
وطمع وهو في ذلك بين حيرة تأخذه نحو التشاؤم ، والسخط على الخليفة ،
والسخرية من نظام الكون مما يجعله قبيح العقيدة برأي المتدينين كابن
الجوزي - وأحاطت بابن شبل ظروف أذكت من هذه « الفلسفة » ، مثل
نهب الغز إياه عام ٤٥٠ هـ ومثل موت أخيه - وهو عزيز عليه .

وكانت لابن شبل ميزة أخرى - ليست مما يكتسب في كتاب أو
إرادة ... عرف بها وأصبحت من لوازم ألقابه ، فقد كان « ظريفا » من
« ظراف بغداد » ، ومن كان كذلك تسابقت إليه المجالس والكؤوس فوجدت

== عبد السلام الكاتب وابو السعادات بن العطار وابو سعد بن الزوزني بالموصل ،
ومحمد بن القاسم بن المظفر القاضي بالموصل . « وتظهر الأناصب » و ٣٢٩
ولباب ابن الأثير ٢ : ١٠

(١) ينظر ابن أبي أصيبعة ثم الوافي والوفيات .

فيه « النديم المطبوع »^(١) . ولعله كان يغطي بظرفه تشاؤمه وينسى بخمره حيرته .

« مات ابن الشبل في يوم السبت ، العشرين من المحرم سنة ثلاث وسبعين واربعمائة »^(٢) « ودفن في يوم الأحد ثانيه » « بمقبرة حرب في غربي بغداد »^(٣) . وخلف ديواناً ظل مشهوراً - دون أن يصل إلينا .

نعرف من نسله : سبطه محمد بن أحمد بن علي بن عبد القفار ، وقد روى عن جده شيئاً من شعره . ومحمد هذا هو ابو عبد الرحمن بن الاخوة^(٤)
فأتم

ان القليل الذي وصل إلينا من شعر ابن الشبل يدل على موهبة وأصالة ، ويبدو فيه قريباً من أبي العلاء المعري . ولو وصل ديوانه لكان له شأن آخر .

(١) وأضاف « الوافي » انه كان « نظيفاً »

(٢) وشذّ ابن أبي أصيبعة إذ جعل وفاته عام ٤٧٤ . ولعل مجلة الآداب قد اعتمدته في اعتمادها هذا التاريخ . وفي لباب ابن الأثير : « وكانت وفاته سنة نيف وسبعين واربعمائة »

(٣) في هامش ص ٢٧ من تكملة إكمال الاكمال : ان باب حرب تقع ... شمال السكاظمية الغربي وفي مقبرة باب حرب أحمد بن حنبل وبشر الحافي وأبو بكر الخطيب ... وينظر هامش ص ٥ .

(٤) ينظر الانباه ٢ : ١٦٧ وهو يشير الى تلخيص ابن مكتوم .

الفصل الخامس

شعراء من المئة الخامسة - السادسة

(١) الفزى

مصادره :

يروى ديوانه - وهو مخطوط - شيئاً عن صلاته بغزة وحلب وشيئاً عن أسفاره وصلاته . وبلغنا « صدر صالح » مما كتبه أبو سعد السمعاني في المذيل لتاريخ مدينة السلام ، وكان قد أدركه و « عايشه » في بلدة واحدة أيام إقامته في مرو - ولم يثبت أنه اتصل به . ونقل الينا عنه : العماد وابن عساكر وابن الانباري : مولده ٤٤١ هـ مرو ، ثناء ، ناطح التسعين وفاته عام ٥٢٤ . وكان طبيعياً أن يفتح ابن عساكر ج ٢ ص ٢٢٩ - ٢٣١ للفزى صدر كتابه فيحدث عن ميلاده ودراسته في الشام وبقداد وأسفاره . وخص ابن الانباري ص ٤٦٢ - ٤٦٤ الفزى - دون سائر شعراء عصره - بعناية خاصة وروى لنا مكانته في عصره « وربما أفاد ابن الجوزي ج ١٠ ص ١٥ - ١٦ من الزهدة . بينما يخصص العماد في خريدة الشام حوالي عشرين صفحة ٥٦ - ٧٥ يتكلم فيها على مولده بغزة ، تنقلاته ، ثناء ، خطبة ديوانه ، أرباحه « شعره ، نماذج كثيرة ، رسالة إلى الطغراني ، نقول عن السمعاني ، وفي خريدة العراق يرد ذكره عند الكلام على صدقة ، وفي خريدة بلاد المعجم عند الكلام على مكرم بن العلاء .

وذكر عروضي ديوانه ص ١٣ . وفي معجم البلدان تنظر « غزة » (وفيها عبارة من ابن الأنباري وجدناها من قبل عند ابن الجوزي) ، « الحلة »

وهي مماورد في خريدة العراق . ويشبه ابن الأثير (ج ١٠ ص ٤٦٩ عام ٥٢٤)
ابن الجوزي ويذكر بيتين في الزهد . وبقيت من ابن النجار فقر عن نسبه
وشاعريته نجدها عند ابن خلكان . وتعيد المرأة (ج ٨ ص ٨١-٨٢ سن ٥٢٤)
ما جاء عند ابن الجوزي وابن عساكر والعماد . وينقل ابن خلكان ج ١ ص
٢٤ - ٢٧ من ابن النجار ومن ابن عساكر والعماد ايضاً ، ويشكلم عن غزوة
مطيلاً . وفي الجزء نفسه (على الصفحة ٨٥) مقارنة شعرية ، وفي ج ٢ ص
٥٧٠ - ٥٧١ زيارته لمكرم .

ثم : ابن الوردي ج ٢ ص ٣٦ - ابن كثير ج ١١ ص ٢٠١ - الياقيني
ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣٢ - الحنبلي ج ٦٨ ؛ حاج خليفة ج ١ ص ٧٦٣ ؛
العباسي ص ١ ، الصفدي في شرح لامية المعجم .
وبروكلان ج ١ ص ٢٩٤ ؛ وتكملته ج ١ ص ٤٤٨ ؛ هيار ص ١١٠ - ١١١ ،
زيدان ج ٣ ص ٦٨ ، الأثري في مجلة الزهراء م ٣ ص ٢٢٨ - ٢٤٢ ، عزام
في « الرسالة » العدد ٨١٧ ، ممدوح حقي في كتابه عن « الايبوردي » ،
الحسيني : هل الأدباء بشر ؟ ص ٣٠ ، كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ٥٧ ،
مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، (ديوان الغزي المخطوط ، بقلم محمد راغب
الطباخ) ، مختارات البارودي .

هبات :

أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن عباس بن محمد بن عمر بن عبدالله الأشهي
الكلبي الغزي^(١) ، ولد في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة بغزة بفلسطين^(٢)

(١) النسب الكامل عن ابن خلكان عن ابن النجار . ويظهر أن عدداً
من المؤرخين كان يختصر في سلسلة النسب . وتقرئ ابن خلكان بأن جملة
« ابراهيم بن يحيى ... » . ووردت الأشهي عند ابن النجار وابن خلكان
وبلidan ياقوت . (٢) باجماع الرواة .

من الشام^(١) ، وبها نشأ ثم أقام بحلب مدة^(٢) ثم « دخل الشام » سنة إحدى
وثمانين وأربعمائة وسمع الحديث فيها^(٣) .

ثم « رحل إلى بغداد » و « أقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة » و مدح
ورثى غير واحد من المدرسين بها وغيرهم ، ومن هؤلاء أبو الحسن علي بن محمد...
المعروف بالـكيا الهراسي ، وكان الغزي في خدمته ، فلما توفي سنة ٥٠٤ رثاه ارتجالاً :
... من قاز منه بتعليق فقد علقت يمينه بشهاب ليس يشكدر^(٤)

وفي غضون إقامة الغزي في بغداد دخل الحلة فلم يحمدها^(٥) ، وفرح كثيراً
حين بلغه خبر مقتل صدقه^(٦) .

ثم ترك بغداد :

ولو سمحت أرض العراق بمسكة ترفعت عن « جي » وأكل قديدها^(٧)
و « رحل إلى خراسان »^(٨) « فدخلها »^(٩) . وامتدح بها جماعة من
رؤسائها ، وانتشر شعره هناك^(١٠) ، وقد « جاب البلاد وتغرب وأكثرت
النقل والحركة وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان ولقي الناس ومدح ناصر الدين

(١) العماد وابن الأثير .

(٢) ديوانه .

(٣) ابن عساكر . وعنه ابن خلكان « سمعه على الفقيه نصر المقدسي » .

(٤) ابن عساكر وينظر ابن خلكان .

(٥) العماد « معجم البلدان » ديوانه .

(٦) ابن خلكان ، وينظر ابن عساكر . ديوانه . ديوان الأبيوردي .

(٧) خريدة الشام ص ٢٦ .

(٨) العماد ، ابن خلكان .

(٩) ابن عساكر .

(١٠) ابن عساكر وعنه ابن خلكان .

مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها - ولقد أبدع فيه :
حملنا من الأيام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائيا ...^(١)
وأقام مدة في أصفهان « في دار الشاب أبي المحاسن بن فضالويه »^(٢) وزار
فارس وخوزستان^(٣) .

وأقام مدة في كنف الوزير الأجل بهاء الدين رشيد الدولة كريم الملك تاج
الحضرتين ، يمدحه ويستجيب له في جمع « فقر شعره »^(٤) .
لقد « سافر - الغزي - الدنيا »^(٥) وسئمها وسئم الشعر فقد « ترك قول
الشعر وغسل كثيراً منه »^(٦) لأنه لم يجد الباعث ولم يتحقق الريح ، سئم
« وقد كبر وضعف » :

طول حياة ما لها طائل فنص عندي كل ما يشتهي
أصبحت مثل الطفل في ضعفه تناسب المبدأ والمنتهى
فلا تلم سمعي إذا خاني « إن الثمانين وبلغتها »^(٦)

لقد امسى « شيخاً كبيراً مسناً »^(٧) وحين خرج من مرو إلى بلخ أدركته
المنية^(٨) . « ونقل عنه انه كان يقول لما حضرته الوفاة : أرجو أن يفر الله لي

(١) ابن خلدون كان عن العماد .

(٢) العماد ، خريدة الشام ص ٧٤ . وقد تكون « الشاب » تحريفاً للشهاب .

(٣) » » » ص ٣ .

(٤) مقدمة ديوان الغزي .

(٥) معجم البلدان .

(٦) ينظر ابن الوردي وخريدة الشام ص ٣٥ .

(٧) العماد عن مذييل السمعاني ، ص ٣٢ .

(٨) السمعاني وعنه ابن الانباري وينظر ابن الجوزي .

لثلاثة أشياء : لأنني من بلد الامام الشافعي ولاني شيخ كبير ولاني غريب «^(١)»
لقد جاوز الثمانين ومات « في ذلك الطريق » عام ٥٢٤ هـ و « حمل إلى بلخ
ودفن فيها » .

رئوانه :

قال الغزي : «... قد كنت في عنفوان الصبا ألم بد [الشعر] المام الصبا بخزام
الربي ، وانظمه في غرض أستدعيه لأذن لعميه » . فلما دفعت إلى مضائق الغربة جعلته
وسيلة تستحلب اخلاف الشيم «^(٢)» . ولم يصل إلينا شعره الأول ، وفقد من الثاني
كثير وقد أحرق هو نفسه منه مقداراً . ولم يحفظ منه إلا ما أجاب به ملتئم
مخدومه رشيد الدولة الى جمع فقر من شعره ليروض نفسه بحفظها وتأمل معانيها
ولفظها «^(٣)» . ومخطوطات هذا المجموع موفورة ، منها نسخة في دار الكتب
المصرية وأخري في باريس «^(٤)» وهي تقع في ٥٠٠٠ بيت (وليس ١٠٠٠ كما جاء
في وفيات ابن خلكان) . ومر معنا كيف ان ناشر ديوان الأبيوردي
حشروا مقداراً كبيراً من شعر هذا المجموع على انه للأبيوردي .

ويروي السمعاني ان الغزي « كان ضنيفاً بشعره ، ما كان يملئ منه إلا القليل »
ويروي أنه : « ورد علينا « مهو » وكان نازلاً في المدرسة النظامية ، إلى أن

(١) ابن خلكان . ووردت عند غير ابن خلكان على اختلاف يسير ،
ينظر العماد وابن الجوزي وابن الانباري وابن عساكر . وأهم ما في الاختلاف ،
التاريخ كأن يذكر جاوزت السبعين أو الثمانين أو التسعين والمعقول أن يكون
الثمانين لأننا نعرف تاريخ ميلاد الشاعر وتاريخ وفاته باجماع المؤرخين . وترد
الشافعي : المطلي ، وهو محمد بن إدريس وبلده غزة .

(٢) مقدمة مخطوطة ديوانه

(٣) ينظر « هل الأدباء بشر »

والجزء الاول من خريدة العراق المطبوعة .

اتفق له الخروج من مرو إلى بلخ ، فباع قريباً من عشرة ارطال من مسودات شعره بخطه من بعض القلائسين ليفسدها ، فحضر بعض اصدقائي وزاد علي ما اشتراه شيئاً وحملها في الحال إلى « فطالعتها فرأيت شعراً دهشت من حسنه وجودة صفته ، فبيضت من شعره أكثر من خمسة آلاف بيت ، وبقي منه شيء كثير . وبقية شعره الذي كان معه اشتراه بعض الميئين واحترق ببلخ مع كتيبات له . »^(١)

وروى العماد في خريدة الشام كثيراً من شعر الغزي (ص ٣ - ٧٥) وقال : « سمعت أكثر أشعاره من جماعة الفضلاء كابن كاهويه وابن فضالون وسيدنا عبدالرحمن ابن الاخوة وغيرهم »^(٢) .

فأما

كان طبعياً أن يثني على الغزي ابن عساكر والعماد وغيرهما . ولم يبالغ كثيراً من قال إنه « شاعر محسن »^(٣) وأنه « من ... المجيدين »^(٤) وكان « له خاطر مستحسن وشعر مليح »^(٥) . أما انه « مشهور »^(٦) فذلك ثابت في عصره وبعده عصره . ولأمر ما أحب النقاد قصيدته التي يصف بها الأتراك :

في فتية من جيوش الترك ما تركت للرد كراتهم صوتا ولا صيتا
فهذا ذوق العصور منذ بداية انحطاطها . والجناس فن الغزي البارز ، وربما ميزه عن كبار شعراء عصره فهو أكثر استتملاً له من الأبيوردي مثلاً ، هذا صحيح ، أما أن الغزي « كان يضرب به المثل في صناعة الشعر » وأن أبا الفتح محمد بن ابراهيم الطبري

(١) برواية العماد - خريدة الشام ص ٣٢

(٢) خريدة الشام ص ٧

(٣) ابن عساكر (٤) ابن الأثير

(٥) ابن الجوزي (٦) ابن خلسكان

الأديب كان يقول غير مرة في المذاكرة ، اذا استحسن شيئاً من شعر نفسه ، هذا يشبه شعر الغزي « فلطبري ولسواء أن يضربوا بالغزي الأمثال ولكنهم لا يستطيعون أن يقنعونا بأنه « شيء » يذكّر الى جوار الكبار من ساقية أو أنه مما يمكن أن يضرب به المثل في عصرنا الحاضر - وقد أرتقت الأذواق -

كان زمام اطراء الغزي يفلت من يد « النقاد » حتى قال العماد ، « انه » أتى بكل معنى مخترع ونظم مبتدع ، وحكمة محكمة الفسج ، وفقرة واضحة النهج ، وكلام أحلى من منطق الحساء ، وأعلى من منطق الجوزاء فكّم له من قصائد كالفرائد ، وقلائد كمقود الخرائد ، وغرر حسان ودرر وجمان ، والعماد معذور - على كل حال ولا سيما اذا علمنا ان الدكتور عبدالوهاب عزام يعد الغزي « من كبار شعراء العرب » .

انك مهما ترفع الغزي لا تنكاد تبلغ به الدرجة الثانية وانه هو نفسه لعالم بأنه بعيد عن أن يلحق بالوليد وأبي تمام وأبي الطيب ، بل إنه لا يستطيع أن يبلغ مبلغ الطغراني والأبيوردي من أبناء عصره - وان قرنه السمعاني بهما . ثم إن « عزاما » يرى أن الغزي « وقور في شعره حكيم يصوغ الحكم والمواعظ ويضرب أمثالا من تجاربه وما لقي من غير الزمان وهو في هذا الفن يبلغ درجة عالية يمتاز فيها ، وهو مهما يفتن في ضروب الشعر لا يستطع إخفاء نزعة الزهد ... » وتلك أشياء إن وجدت فهي أضعف ما في ديوان الغزي . ان الغزي في حياته وفي شعره مثل المستجدي الوضع ، يتنقل من ممدوح لممدوح يعرض بصناعته بأرخص الاثمان ، وربما كان عصره المسؤول الأول عن ذلك ، وليكن ، ولكن أين الوقار والحكمة ، وأين الاقتنان العالي الممتاز ؟ وأخيراً أتى له الزهد ؟ وأين ؟ نعم لقد شكّا بيت أو بيتين أو ثلاثة ، والشكوى غير الزهد ، ولعلها دليل الطمع أحياناً ، لقد تكلم عزام وكأنه يتكلم على شاعر اكبر من الغزي بكثير وربما كان المسؤول في ذلك حرصه على الدعوة إلى العناية بالغزي والاقبال على ذكره .

(٢) البارع

مصادره :

كان ابن الجوزي من تلاميذ البارع في الحديث ، وقد نص على ذلك في المنتظم وآكام ١٠ : ١٦ - ١٨ على : نسبه ، أخيه ، علومه ، الولادة ، العمر ، الوفاة ، وذكر أنموذجين من غزله التقليدي - وينظر كذلك ٨ : ٣٠١ . وتعني الخريدة بالبارع ج ١ ن ١ . باريس و ٣٤ ب - ٣٦ أ وتذكر نسبه وبيته ومكانته من النحو ، وديوانه وأخريات أيامه (ولم ترد له ترجمة في مخطوطة ليدن) . وفي الارشاد ٦ : ٢٢٨ أخبار مهمة ، وكأن ابن خلكان اقتبس منه ، أو أنه وياقوتان هما من منبع واحد ، فقد تحدثا عن سخطه وصلته بابن الهبارية . ولعل ابن الاثير ١٠ : ٤٦٩ سن ٥٧٤ قد ألم بابن الجوزي . ولا يستغنى عن الوفيات ١ : ٢٨٢ - ٢٨٤ ففيه نسبه الكامل وصلة بيته بالوزارة ، وحجه ، وينظر ٢ : ٣٨٨ (محمد ... بن الهبارية)

ثم : المستفاد ، المرأة ج ٨ سن ٥٢٤ ؛ ابن جماعة و ٧٦ ب - ٧٧ أ ، القفطي في الانباء ١ : ٣٢٨ - ٣٩٠ ، وينظر عن أخيه لأمه ٣ : ٧٢٥٦ ؛ ويلخص السيوطي في البغية الارشاد دون أن يشير إليه ، ويذكر من مصادره ابن النجار والصفدي ، وينقل روضات الجنات ص ٢٤٨ عن بحار الأنوار دون أن يضيف جديدا .

هياته :

أبو عبدالله الحسين بن محمد بن عبدالوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيدالله بن القاسم بن عبدالله بن سليمان بن وهب الحارثي بن كعب بن عمرو البكري ، يعرف بالبارع والبدرى والنباس والبغدادي ، وبيته بيت

« السؤدد وكرم المحدث » غني بالوزراء « لأن عبيد الله كان وزير المعتضد ، والقاسم وزير المعتضد والمكتفي ، وسليمان بن وهب وزير المهدي والمعتضد . كانت ولادة « الحسين » في العاشر من صفر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ببغداد ، ومن هنا جاء لقب البغدادي ، أما البديري فمبسطة إلى البدرية ، وهي إحدى المحال الشرقية مما يلي دار الخلافة والشط^(١) ، كان يسكنها ، ولعلها كانت مسكن أبيه أيضاً ، أما عن الدباس فيقول ابن خلدون كان أنها تقال لمن يعمل الدبس أو يديعه ، ولم يشر إلى صلة هذا بالشاعر .

درس الحسين علوم العربية ، وقرأ القرآن بالقراءات علي أبي بكر الخياط وأبي علي بن البناء ، وسمع من القاضي أبي يعلى بن الفراء الموصلي وابن المسلة وأبي بكر الخياط وغيرهم ، وصنف له أبو محمد المقرئ - أحد شيوخ ابن الجوزي - كتاباً يتضمن الخلاف .

والحسين مصنفات حسان في القراءات ، وأقرأ خلقاً كثيراً منهم أبو جعفر عبد الله بن أحمد بن جعفر الواسطي المقرئ الضريع . وحدث ، وسمع منه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي (وكتب له إجازة) ، كما سمع الحافظ أبو القاسم بن عساكر وأبو عبد الله الحسيني بن علي بن مهجل الضريع الباقدرائي^(٢) . هذا إلى أنه كان لغويًا نحويًا معدودًا في زمانه ، فاضلاً ، عارفاً بصنوف الآداب ، حتى قال عنه العماد إنه : « عديم النظر في أوانه » وقال القفطي : « أفاد عالماً »^(٣)

(١) الانباه . ويقول الدكتور مصطفى جواد : أنها تقع في جنوبي المدرسة المرجانية . (٢) أكثر من غني بخبر تعلم البارع وتعليمه ابن الجوزي . وياقوت . (٣) والبارع هو أخ أبي الكرم - المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب النحوي - لأنه . وقد ولد المبارك عام ٤٣١ (؟) وتوفي عام ٥٠٠ ، ينظر عنه المنتظم والانباه والارشاد وبغية الوفاة .

و « كانت بين البارع وبين الشريف أبي يعلى بن الهبارية الأديب الشاعر مداعبات لطيفة » فانهما كانا رفيقين ومتحدين في الصحبة منذ نشأ . « وقد رأينا شيئاً من ذلك ورأينا العتاب المتبادل بينهما بعد عودة البارع من الحج^(١) . ويكاد يكون هذا كل ما نعرفه من شؤون حياته . ولا نعرف بعدها إلا أنه أسن وعاش زهاء ثمانين عاماً ، وأضر آخر عمره « وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادي الآخرة - وقبل الأولى - من سنة ٥٢٤ هـ ودفن بباب حرب^(٢) في غربي بغداد ، شمالي الكاظمية^(٣) .

هاتمة :

في الأخبار أن شعر البارع كثير وأن له ديواناً ، وقد حكم له ابن الجوزي وابن الاثير بالملاحه « وياقوت وابن خلكان بالجوذة ، ولا يبعد أن يكون ذلك صحيحاً ، وليس لنا حق المناقشة لأن الشعر الذي وصل إلينا نزر ، على أننا نحس المبالغة عندما نقرأ السيوطي ينقل عن ابن النجار بأن للبارع شعراً في الغاية .

ومن يعلم مكانة البارع من القراءة والحديث لا يمكن أن يفترض له مكاناً في السخف ، ولكن الذي حدث انه بلغ منه منزلة « سامية » . والسخف اذا صدر من « متدين » بدا أقوى وأوقع .

(١) عند دراستنا لابن الهبارية في الفصل الثالث من هذا الباب ،

ص ١٢٨ .

(٢) وقد دفن في هذه المقبرة ابن شبل - كما رأينا - والحظيري -

كما سنرى .

(٣) هامش ص ٢٧ من تكملة إكمال الاكمال . وينظر هامش ص ٥ .

(٣) ابنه أفلح

مصادره :

يفيدنا « الألساب » بكلامه على « عبس » ، بينما يفني ابن الجوزي (عام ٥٣٥ ج ١٠ ص ٨٠-٨٤) على الشاعر ولكنه لم يرتض جرأته على الهجو . ويفصل حديث الدور التي أعطاها إياه المسترشد وأضاعها عليه تجسسه لديس - وقد رأى ابن الجوزي انقاضها . ثم يذكر ابن الجوزي نماذج من شعره مع رسالة من نثره . وينظر عام ٥١٧ ج ٩ ص ٢٤٣ . اما العماد فيستشهد « في النصرة » بهجائه و ٩٥ أ ، ٩٧ أ ، وبعديحه و ١١١ أ ، ١١٢ ب و يذكر في « الحريدة » مخ . ليدن ١٥٨ - ١٥٩ صلتته بالحلة وبعداد ويثني على شعره ويورد نماذج منه - كان العماد في الخامسة عشرة حين رأى ابن أفلح عام ٥٣٤ ، وكان الشاعر قد عرف أباه ومدح عمه . أما مخ . باريس فمختصر ، ويقرأ فيه « أبو الفرج ابن التلميذ » .

يوجز ابن الأثير ج ١٠ ص ٥٣٥ سن ٥١٧ خبر هدم الدار مع شبه بحديث ابن الجوزي ، أما عن وفاته فينظر ج ١١ ص ٥٣ سن ٥٣٥ . وينتقد ضياء الدين ابن الأثير المتوفى ٦٣٧ في « مثله السائر » (ص ٢٠٩ من طبعة بولاق سنة ١٢٨٢) كتاب ابن أفلح في الفصاحة . ويروي ابن الديبني ص ١١٨ عن المؤرخ المحدث عمر القرشي أن الحظيري كان صديقه . ويعيد سبط ابن الجوزي ج ٨ ما قاله جده ويزيد عليه صداقة الحظيري . ويحدد المستفاد تأريخ ميلاده ، وفي ابن خلكان ج ٢ ص ٥٩ - ٥٣ ترجمة مهمة فيها ... ديوانه ، وفاته ، تحديد عمره وفي ج ١ ص ٤١٠ كتابته لديس الأول (؟) ؛ وفي ص ١٦٦ إنكاره على الحريري مقاماته .

وينظر : القفطي ، « المحمدون » ص ٣٤٣ ؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٧ - ؛ البارزي و ٦٨ ب .

بروكلان ج ١ ص ٤٤ ؛ ديجويه وهوتسا في فهرس مكتبة ليدن ط ٢ سن
١٨٨٨ ص ٤٧٦ - ٤٨٠ ؛ هارتمان ج ٦ ص ٨٧٠ ؛ مصطفى جواد ، مجلة الغري
سن ٧ ، العدد ١ ، ٢ .

هياتر :

جمال الملك أبو القاسم علي بن أفلح العبسي الشاعر الكاتب البغدادي -
« من أهل بغداد ^(١) » انتقل إليها من الحلة ^(٢) . ولد في العشرة السابعة أو
الثامنة من المائة الخامسة ^(٣) . وبما أن الحلة السيفية تأسست عام ٤٩٥ فلا يمكن
أن يؤخذ قول المهادان « أصله من الحلة السيفية » على خصوص اللفظ - إذا
كان لابد من أخذه ^(٤) . والذي لا شك فيه أن ابن أفلح كان على اتصال ببني
مزيريد منذ « شببيته » ^(٥) وكان يشتغل لهم في الكتابة ^(٦) .
قصد بغداد ، و « تقدم عند المسترشد » ^(٧) ولقبه جمال الملك « وأكرمه

(١) الخريدة . (٢) الخريدة .

(٣) جاء في المستفاد أنه ولد عام ٤٦٣ هـ ولكن البارزي في مختصر
« وفيات الأعيان » يحمل عمره ٦٤ سنة ووفاته عام ٥٣٨ وعلى هذا يكون
ميلاده عام ٤٧٤ .

(٤) لعل المقصود به ، النسب إلى الجامعين أي الحلة قبل أن تصبح حلة ،
أو النسبة إلى إحدى حلل النيل وقراها انتقل منها إلى الحلة بعد تمصيرها .
(٥) ابن خلكان ج ١ ص ٤١٠ (ترجمة صدقه) .

(٦) يقهم من كلام ابن خلكان ١٠ ص ٤١٠ أنه كان كاتباً بين يدي ديبس
[الأول] ، وهذا ما لا يمكن أن يصح - وابن خلكان - يعلم أن ديبساً
هذا قد توفي سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين وأربعمائة .
(٧) المرأة - وما بعده عن المنتظم .

وخلع عليه « وأعطاه أربعة آدر في درب الشاكرية وكان هو قد اشترى دوراً الى جانبها فهدم السكل وأنشأ داراً كبيرة ، وأعطاه الخليفة خمسمائة دينار وأطلق له مائة جذع ومائة ألف آجرة وأجرى له ادراراً في كل سنة ». وكان طولها ستين ذراعاً في أربعين وقد اجريت بالذهب وعملت فيها الصور وفيها الحمام المجيب فيه بيت مستراح فيه ييشون إن فركه الانسان يمينا خرج الماء حاراً ، وإن فركه شمالاً خرج بارداً . وكان على أبواب الدار مكتوباً :

إن عجب الزوار من ظاهري	فباطني - لو علموا - أعجب ^(١)
شيدني من كفه منزنة	يحمل منها العارض الصيب
ودبجت روضة أخلاقه	في رياض نورها مذهب
صدر كسا صدري من نوره	شمسا على الأيام لا تغرب
وكان على الطرز مكتوباً ^(٢) :	

ومن المروءة للفتي	ما عاش دار فآخره
فاقنع من الدنيا بها	وأعمل لدار الآخرة
هاتيك وافية بما	وعدت وهذي ساحره
وكان على الحيري مكتوباً :	

وناد كأن جنات الخلود	أعارته من حسننها رونقا
وأعطته من حادثات الزما	ن ان لا تلم به موثقا
فأضحى يتيه على كل ما	بني مغربا كان أو مشرقا
نظل الوفود به عكفا	ونعسي الضيوف له طرقاً
بقيت له يا جمال الملو	ك والفضل مهما أردت البقا
وسالمة فيك ريب الزما	ن ووقيت منه الذي يتق

(١) جاءت « الزوار » في المرأة على : « الراؤون » ..

(٢) الطرز ، هكذا وردت في المنتظم ويقول الدكتور مصطفى جواد

« لعله الطرز بتقديم الزاي » .

ثم ظهر أنه عين لديس . وسبب ظهور ذلك عليه ، أنه كان في المسجد الذي يحاذي دار السالك رجل يقال له مكي يصلي بالناس ويقرئ القرآن ، فكان إذا جاء رسول دييس أقام عند ذلك الامام بزي الفقراء فأطلع على ذلك بواب ابن أفلح . وأتفق أن ابن أفلح غضب على بوابه فضربه فاستشفع بالناس عليه فلم يردده ، فمضى وأطلع صاحب الشرطة على ذلك فسكبس المسجد وأخذ الجاسوس وهرب ابن أفلح وإمام المسجد ، وأمر المسترشد بنقض داره وكان قد غرم عليها ألف دينار . ^(١)

نقضت : وكان ذلك في محرم سنة ٥١٧ ^(٢) - وهو الشهر الذي انتصر المسترشد في حرب مع دييس - « ثم ظهر أن ابن أفلح مضى الى تكريت »
 « فاستجار بيهرز الخادم » « وأقام عنده » ثم آل الأمر أن شفيع فيه ، فعفا الخليفة عنه ^(٣) .

عاش ابن أفلح بعد ذلك زهاء عشرين عاماً ، فقد توفي ببغداد ، يوم الخميس ثاني شعبان سنة خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وثلاثين وخمسمائة ، ودفن في الجانب الغربي بمقابر قريش ^(٤) ، والراجح في تاريخ وفاته : هو ثاني شعبان سنة ٥٣٥ . وورد أن عمره أربع وستون سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً ^(٥) .

(١) المنتظم : وتنظر المرأة

(٢) المنتظم وينظر ابن الأثير عام ٥١٧ (٣) المنتظم والمرأة

(٤) يقول الدكتور مصطفى جواد في هامش (ص ٥) من تكملة إكمال الاكمال : ان مقابر قريش هي بلدة الكاظمية الحالية ، وينقل عن ياقوت ان « ... مقابر قريش ببغداد وهي مقابر باب التبن التي فيها قبر موسى الكاظم ... » « وعليها سور بين الحرية ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهري ... » (٥) « الوفيات » خاصة

آثاره :

(١) - ابن افلح « كاتب و مترسل بليغ »^(١) . ووصلت إلينا من رسالة رسالة كتبها إلى أبي الحسن ابن التاميز : « اطال الله بقاء سيدنا . . . وبعد فاني اذكر عهد التزاور ذكر الهائم الولوع ، وأحن إلى عصر التجاور حنين الهائم الى الشروع :

إني وحقك منذ ارتحلت نهاري حنين ويلي أنين . . .^(٢)
(٢) - وجاء في كتاب المنل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين أبي الفتح نصر الله ابن محمد . . . ابن الأثير المتوفي عام ٦٣٧

« وقفت على كتاب يقال له مقدمة ابن افلح البغدادي ، وقد قصرها على تفصيل أقسام الفصاحة والبلاغة ، وللمراقين بها عناية وهم واصفون لها ومكبون عليها . ولما تأملتها وجدتها قشوراً لا لب لها . »
وهذا كل ما نعرف .

(٣) - قال ابن خلكان : رأيت ديوانه في مجلد وسط . . . قد جمعه بنفسه وعمل له خطبة وقفاه وذكر عدد ما في كل قافية من بيت واعتنى بأمره وهذبه . ولم يزد حاج خليفة على أن أعاد قول ابن خلكان موها بأنه رآه .
وفي مكتبة جامعة ليدن بهولنده مخطوطة كتب عليها « ديوان ابن افلح هو أبو القاسم العباسي » وقد رأيت ، ولا يمكن أن يكون ديوان علي بن افلح ولا من عصره . . . وقد برهن فهرس المكتبة على ذلك ، ومن أبسط براهيته أنه لا يتفق مع وصف ابن خلكان ثم الاسلوب والروح السائد . . . هذا إلى ان فيه من الشعر ما يرجع الى القرن العاشر للهجرة .

(١) الاستفادة .

(٢) ابن الجوزي .

هاتمة :

يروى المؤرخون أن ابن أفلح كان مشهوراً^(١) ، حسن المديح ، مدح الخلفاء ومن دونهم من أرباب المراتب وجاب البلاد ولقي رؤساءها وأكابرها . ومن النماذج التي وصلت إلينا نرى له نسيباً سليم اللغة ينهج فيه نهج الشريف ومهيار ويدعي العلم بالهوى ، ونرى له غزلاً غلامياً ساقه في « غلام ناقص الجمال » وآخر أعرج ، ولعل مرد ذلك أو مرد بعضه إلى الظرافة التي هي من أخلاق الشاعر ، ونرى له هجاءاً « في بعض الرؤساء » من عمداه ووزراء . ويظهر أن الهجاء أبرز ما فيه ، فقد كان شديده ، كثيره ، وكان « متجرئاً مرهوب الشبا حديد السنن ... بذى اللسان قل من أحسن إليه إلا جازاه بالقيح وجازاه بالذم العريج^(٢) » . ولكن هجاءه هذا لم ينجه من لسان الآخرين فمن شاتم « وجهه المشوه الأسود الذي قد من رحي » ومن شاتم بأشياء أخرى^(٣) .

(١) ابن خلكان وابن الأثير . (٢) الخريدة .

(٣) تنظر الخريدة . - وينظر عن ابن أفلح ما كتبه الدكتور مصطفى

جواد في السنة السابعة والثامنة من مجلة الغري .

(٤) الأرجاني

مصادره :

في ديوانه نصوص عن أصله وبلده وشي . عن حالته المالية وظروفه المختلفة وأسفاره، تنظر مثلاً ص : ٦٤ ، ١٦٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤ ، ٣٨٣ ، ٣٩٩ . والسمعي من أدركه بل تلمذ له ، وهو الذي ضبط النسبة بفتح الألف وسكون الراء ثم أورد - في الأساب و ٢٤ أ - أخباراً موجزة عن حياته ونسبه لأمه ودراسته . وتفرد بجمل تاريخ الوفاة عام ٥٤٠ وذلك عجيب ولا يمكن أن نقره إزاء إجماع الآخرين على ال ٥٤٤ . ويمدح ابن الجوزي الأرجاني في المنتظم ١٠ : ١٣٩ - ١٤٠ سن ٥٤٤ ويختار له ويذكره على أنه قاض .. ورد بغداد أيام المستظهر . ويذكره العماد أكثر من مرة وهو يتكلم على شخصيات « النصر » و ٢٠٧ أ ، ٢٠٨ أ ، ٢١٤ أ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ولم يغفل البنداري هذه الاشارات . اما في الخريدة (مجلد بلاد المعجم) فكانه واسع جداً ، ومكان المختارات واسع أيضاً ثم إن العماد يؤرخ أوائل أشعاره ونجد أكثر هذا في مخطوطة أ كسفورد وليدن المتمايتين - دون أن تستوعبانه . وربما كان في الموجود من الخريدة في مكتبة القرويين ما يكملها . كما يرد ذكره عند الكلام على الغزي في خريدة الشام . - وقد رأى العماد ولد الشاعر .

ولم ترد له ترجمة في المطبوع من مرآة الزمان . ولا يستغنى عن ترجمة ابن خلكان ١ : ٨٣ - ٨٥ لأنه ينقل في كتابه عن الخريدة من الأخبار ما لم تصل إلينا . ويضيف البارزي في مختصر الوفيات أن العماد كان تلميذ الأرجاني وهذا ما لم يدعه العماد نفسه .

وينظر : معجم البلدان في أرجان (يعين تاريخ ميلاده) ؛ ابن الأثير ١١ : ٩٦ - ٩٧ سن ٥٤٤ ؛ السبكي ٤ ؛ ابن الطقطقي ٣٥٤ ؛ أبو الفدا ٣ : ٢٣ ؛

ابن الوردي ٢ : ٤٩ ، المعبر ٢ و ٧٠ ب ؛ ابن كثير ١١ : ٢٢٦ - ٧ ، اليافعي ٣ : ٧٧٠ ، الحنبلي ٤ : ١٣٧ - ٨ ، ابن تفرري بردي ٥ : ٢٨٥ (... القاضي ... الأديب العلامة ...)

بروكلان ١ : ٢٩٤ ؛ تكملة ١ : ٤٤٨ ؛ هيار ١١١ ؛ زيدان ٣ : ٢٩ ، مخطوطات الموصل ١٥١ ، كحالة ٢ : ٩٢ (ومن مصادره المخطوطة : الأسنوي : طبقات الشافعية . ومن المطبوعة يذكر : خيرى النشواتى : الوصف عند الأرجاني) .

مباتر :

« القاضي الامام »^(١) أبو بكر ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين . « من العرب محتده ، وسلفه القديم من الأنصار ... أوسى الأس خزرجيه ... » « مولده في المعجم » ، « سنة ستين وأربعمائة » أو « حدودها »^(٢) . « ومنبت شجرته أرجان »^(٣) وهي « بلد صغير » من أعمال تستر ومن « كور الأهواز

(١) الخريدة مخ . أكسفورد وكذا كل خير يأتي في الترجمة بين قوسين

من غير نص .

(٢) معجم البلدان .

(٣) قال السمعاني في الأنساب و ٢٤ « بفتح الألف وسكون الراء وفتح

الجيم » وقال ابن خلكان : « بفتح الهمزة وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم ... وأكثر الناس يقولون إنها بالراء المخففة » واستعملها المتنبى في شعره مخففة :

أرجان أيتها الجياد فانه عزي الذي يذر الوشيح مكسرا

وحكاها الجوهرى في الصحاح والهازمى في كتابه الذي سماه « ما اتفق لفظه

وافترق سواه » بتشديد الراء . وروى ياقوت الوجهن . اما اليافعي - وهو

ليس حجة في الموضوع - فبفتح الهمزة وكسر الراء مع خلاف في تشديدها

وتخفيفها .

من بلاد خوزستان - الأقليم التاسع بين البصرة وفارس ، و « موطن أسرته تستر وعسكر مكرم من خوزستان » أيضاً . كان « جده من قبل أمه - أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم بن ماسك الأرجاني أحد المشايخ المشهورين بالزهد والورع ودقائق الحقائق ... توفي عام ٤٠٠ أو في حدودها » .

كان « أحمد » في « عنفوان عمره بالمدرسة النظامية بأصفهان متفقها » و « سمع الحديث بأصفهان من أبي بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن ماجه الأبهري ^(١) » ، و « بكرمان من الشريف أبي يعلى ابن الهبارية ^(٢) » . وكتب إلى السمعاني « الاجازة بجميع مسموعاته ومقولاته ^(٣) » .

ثم « غلب عليه الشعر » ، « وشعره من آخر عهد نظام الملك وهو عام ٤٨٦ » وكان يجيد الفارسية ويقرأ بها الأشعار وربما ترجم منها عدداً من الرباعيات ^(٤) . ولم تمنعه غلبة الأدب من مزاوله القضاء مدة حياته . فقد « كان ينوب في القضاء ببلاد خوزستان : تارة بستر وتارة بعسكر مكرم ، مرة عن قاضيه ناصر الدين أبي محمد عبدالقاهر بن محمد ، ومن بعده عن عماد الدين أبي العلاء رجا .. ^(٥) » ولم يكن في هذه النيابة - التي لم يرضها - بمنجى من المنازعين ^(٦) أو الكاشحين الذين يفلحون في دسائسهم - أحياناً ، ولكنه كان يستعين عليهم بأولى السلطان ^(٧) فيهرع يمدح من يبدع مصادره « كأقضى القضاء

(١) الأنساب ، ابن الجوزي ، الحنبلي .

(٢) السبكي .

(٣) الأنساب .

(٤) تنظر الخريدة مخ . ليدن حرف العين .

(٥) ابن خلكان ... « ومن ديوانه نقلت » .

(٦) ديوانه ص ٥٣ .

(٧) الديوان ص ٢١٢ - ٢١٣ .

ناصر الدين « إذ أعلن تسره بظله عن ريب الزمان واستعطفه :
لعل لعل إن قلت يرجع ناهضاً باقبالك الجدد الذي هو عائر
وإن معاشي في بقية عيشتي عليك فلا تشغلك غني المعاذر

وإلا فطياً للفيافي تجوز بي غداً أجازها وعذافر
ولا عيب أني عن جنابك راحل إلى جانب لي فيه تُرعى الاوامر (١)
يحمد الأرجاني هذا الجانب الثاني عند الوزراء والخلفاء والعلماء ومن اليهم :
يبحث اليهم بمداخه أو يرحل بنفسه ، في بغداد كانوا أم في سواها : يستمطعهم
ويستجديهم أو يوطد بموئدهم « شغله » أو يستعیده . ولكنه - لم يستطع -
على كثرة ممدوحيه أن يرتفع معهم قليلاً عن مستوى الضعيف المستمطع
المداخ ، ولم يستطع أن يرتفع بهم عن نيابة القضاء . وهو في ذلك دائم
الشكوى ، ولم يف ما يكسبه في القضاء بسد ديونه :

... لو كنت ترمي في القضاء بنظرة لمعجت من شبع القضاء وجوعي
أرشو ولا أرشي وتلك غبينة تمسي لها الأكباد ذات صدوع
وأخاف من تشنيمهم لو جرت في حُكمي وليس يخاف من تشنيمي (٢)
« ولم يزل نائب القاضي بعسكر مكرم » حتى توفي في شهر ربيع الأول
عام ٥٤٤ بتستر « وقيل بعسكر مكرم (٣) » .

-
- (١) كذا في جميع المصادر ، وإذا ورد على أنه « قاضي تستر » كما في
المنتظم مثلاً - فالمرجح في ذلك السهو أو التجوز في الاستعمال .
(٢) الديوان ص ٢٥٨ - ٩ يخاطب أبو شروان .
(٣) ابن خلكان .

ديوانه :

قال العماد : « شعره كثير والذي جمع منه لا يكون عشرة - وهو ديوان كبير . وأحببتُ جمع شعره » حتى وافيت عسكر مكرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة فلقيت بها ولده الأرجاني محمد المنعوت رئيس الدين فسألته أن يعيرني مسودات والده في مدائح عمي فأعارني إضبارة كبيرة فيه . وقد ضمن العماد خريدته مجموعة كبيرة من هذا الشعر مرتبة على حروف الهجاء للقوافي . ويظهر أن زيدان وهيار اعتمدا العماد - أو بمعنى أدق انهما اعتمدا ابن خلكان الذي نقل عنه - حين قالوا إن الذي جمع ديوان الأرجاني هو ابنه .

وعلى كل حال « ان مخطوطات هذا الديوان موفورة ، رأيت منها نسخاً في مكتبات القاهرة ولندن وطهران (ملك التجار) والمتحف العراقي ، فسكان الخلاف بينها غير ذي بال ، ولعلها كانت في الأصل « العشر » الذي يتحدث عنه العماد .

وطبع « ما وجد من ديوان ... الأرجاني » في بيروت سنة ١٣٠٧ به ٤٥٣ ص . ويظهر أن الناشر اعتمد نسخة واحدة ... لا تختلف كثيراً عن سواها من المخطوطات .

مأتم

يقوم الديوان على المدح أولاً وأخيراً ، أما غير المدح من غزل وشكوى فأمر عارضة . وقد لقي هذا الشعر تقديراً كبيراً - على مر العصور ، فقد قال السمعاني : « كان - الأرجاني - مليح الشعر رقيق الطبع ، سار ديوان شعره في الآفاق^(١) » وقال ابن الجوزي « وله الشعر المستحسن يتضمن المعاني الدقيقة » وجعل العماد الأرجاني مع الطغرائي والأبيوردي والغزي « أركان

الفضل « الذين » لم يسمع الزمان لهم بالمثل ولا يجتمع في قرن واحد أمثالهم «^(١) وان « شعر الأرجاني كالرحيق الأرجواني^(٢) » فهو « في نهاية الحسن »^(٣) وصاحبه « حامل لواء الشعر بالشرق »^(٤) وديوانه مشهور يتسابق الناس اليه : يزينون به مختاراتهم ومحفوظاتهم^(٥) .

كل تلك الاحكام ، نراها اليوم - ونحن نقسر انفسنا على قراءة الديوان - أقوالاً جزافاً وأعمالاً عجافاً ، طالما عودنا نقادنا - ساحبهم الله - أمثالها كلها شاموا تصفيها ما أو حكمة ما أو فكرة ما ... ولا بأس - بعد ذلك - بالركاكة والابتذال ، انهم بذلك يعكسون طرفاً من أذواقهم وأذواق عصورهم . ويدلون على ركود أذهانهم عند التقليد والمتابعة ؛ إنهم يرون أن الأرجاني شاعر كبير ، أما نحن فلا نستسيغه ولا نجد في حياته أو في ديوانه ما يستحق الوقوف . ولا نجد في شعره ما يروعنا لا في الأغراض التي هي مديح واستجداء رخيص ، ولا في التراكب التي هي رصف ثري لا يشير إلى موهبه ولا يدل على ابداع .

لقد كان ابن الأثير أقرب النقاد القدامى الى الاعتدال حيث قال « له شعر حسن » . و « حسن » هذه ليست بذات بال في أحكامهم . وكان على السمعاني أن يكتفي بالقول بأنه من أفاضل عصره . - وليست « فاضل » بذات خطر . اما « الشاعر » نفسه فقد ادعى كثيراً ، حتى خال نفسه مبتكراً منفرداً - معاذ الله . اتنا لا نقبل من أقواله إلا : -

انا اشعر الفقهاء غير مدافع في العصر أو أنا افقه الشعراء

(١) خريدة الشام ص ٢٨

(٢) ابن خلكان

(٣) الحنبلي في اللذرات وكأنه ينقل عن العبر

(٤) اختار للأرجاني ، ابن الشجري في حماسه .

وبالمعنى الذي نفهمه نحن عن « شعر الفقهاء » . إن بإمكان كثير من المتعلمين أن ينظموا مثل ديوان « الأمام فاصح الدين » وبعدة تقل عن الـ (٥٣) سنة .
رحم الله العباد « لم يكفه ما قال حتى زاد عليه : انه « قيسي النطق
أياديته ، فارسي القلم وفارس ميدانه ... جمع بين المذوبة في الري والريا . »
وتتصفح الديوان وإذا « المذوبة في الري والريا » أول ما تفتقد . ولم يكفه
ذلك حتى قال (في النصرة - هذه المرة - ٩٨) إنه « فريد عصره وقريع
دهره ونسيج وحده في نظمه ونثره - له أن يقول ، ولنا أن نستغفر
له الله .

الفضل السّادس

شعراء من المئة السادسة

(١) ابن الفضل « ابن القطان »

مصادره :

بلغنا من كتاب الذيل للسمعاني ما نقله ابن خلكان عن شعره و« حديثه » ومولده - وكان السمعاني سمعه ينشد وحفظ له ؛ وكذلك نقل لنا ابن خلكان خبراً عن مولد أب الشاعر ووفاته ؛ وابن الانباري يذكر عمره ؛ وابن الجوزي يذكر (١٠ : ٢٠٧) ، نسبه ، أباه ، علمه ، شعره ، وفاته ، وللمعاد تنظر النصرة ٢٠٢ - ٢٠٣ حيث يسخر الشاعر من المسترشد (بنداري ١٧٦ - ١٧٧) ؛ والخريدة مخ . ليدن ٢٢٤ - ٢٢٩ رآه شيخاً وسمعه منشداً ونقل من خطه ، أمثلة من هجائه ثم ذكر تاريخ وفاته . اما ابن خلكان فصدر لا يمكن أن يفصل ٣ : ١١٦ - ١٢١ ، ١ : ٣٦٠ ، ٢ : ١١٦ ، انه ينقل عن السمعاني والسلفي والمعاد وبيروي مساجلات الشاعر وحكاياته مع حيص بيص . ثم : ابن الأثير ١١ : ١٩٦ سن ٥٥٨ ؛ ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٧٤ ، ٢٨٥ - ٢٨٨ (مولده . طبيب . شعر) ؛ ابن الطقطقي ؛ ابن شاذكر ٢ : ٢٩٣ - ٢٩٥ ؛ ابن كثير ١١ : ٤٤٧ ؛ اليافعي ٢ : ٣١٥ ، حاج خليفة ١ : ٧٦٧ ، الحنبلي ٤ : ٢٤٧ ؛ المباسمي ٢ : ٥ .

مبانيه :

أبو القاسم هبة الله بن الفضل ابن القطان عبدالمزير بن محمد بن الحسين بن علي ابن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن القطان . بولد عام ٤٧٧ « وقال السمعاني سألته عن مولده فقال ولدت ضحى نهار الجمعة

السابع من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين « ببغداد
سمع الحديث من جماعة من المشايخ : من أبيه (١) ومن أبي الفضل أحمد بن
الحسن بن خيرون ومن أبي طاهر محمد بن الحسن الباقلاني وأبي عبد الله
الحسين ابن أحمد بن محمد بن طلحة بن محمد عثمان الكرخي وغيرهم ؛ سمع ،
وسمع عليه ، وقال السمعاني في الذيل « كتبت عنه حديثين لا غير »
كان أبو القاسم طبيباً وكحالا ، وكان بين من صحب المسترشد من أطباء في
حملته على السلطان مسعود . وكانت له في الطب مؤلفات لم تصل إلينا هي شروح
وأئلة وأجوبة . ولكن الشعر بما فيه من هجاء ومجون هو الذي غلب عليه .
وله مع حيص بيص ما جريات منها قصة السكابة ومنها قصة القطاة (٢) .
توفي ببغداد يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان وقيل يوم عيد
القطر من شهر عام ٤٥٨ ودفن بمقبرة معروف الكرخي بالجانب الغربي -
حيث قبر أبيه .
هاتمة :

قال ابن الجوزي : « كان شاعراً مضبوطاً » . وقال العماد « وله شعر كثير
لم يدون » ولكن ابن خلكان ينقل عن العماد انه قال : « له ديوان شعر » .
ويقول العماد « أكثره جد » وعبث فيه بجماعة من الأعيان وثلبهم ولم يسلم
منهم أحداً لا الخليفة ولا غيره « فقد » كان غاية في الخلعة والمجون ،
كثير المزاح والمداعبات ، مغرماً بالولوع بالمتعجرفين والهجاء لهم . وله في
ذلك نوادر ووقائع وحكايات طريفة » .
ان الهجاء أو السخف بمعنى أدق ، جزء من خلق ابن القطان وحياته .
والقليل الذي وصل إلينا من شعره يدل على أهمية ومكانة في العصر ، ولو
وصل إلينا ديوانه لجلا كثيراً من جوانب مجتمعه وجوانب أدبه .

(١) كان أبوه محدثاً ولد عام ٤١٨ وتوفي عام ٤٩٨

(٢) سيأتي الكلام عليها .

(٢) الحظري

مصادره :

سطران في المنتظم ١٠ : ٢٤١ سن ٥٦٨ ؛ صفحات ومختارات في الخريدة مخ . باريس رقم ٣٣٢٦ و ٥٠ أ - ٨٥ ب : نسبه ، الحظيرة ، كتيبي ، اسفار ، مؤلفات ، وفاة - كان العامد يحضر دكانه . والارشاد ٤ : ٢٣٢ - متأثر بالخريدة . وينظر ابن الأمير ١١ : ٥٩٦ ، ويشبه ابن الديبثي مخ . باريس رقم ٥٩٢٢ ص ١١٨ - ١١٩ الخريدة والارشاد ويزيد : « ذكره القاضي أبو المحاسن عمر بن علي القرشي فيما رسمه من التاريخ ، ومن خطه نقلت » ، وكان القرشي ممن رأى الحظري « وكتب عنه شيئاً من شعره ومن شعر غيره » . وبهذا وبما ينقله من الأخبار تزداد أهمية ابن الديبثي . ويعيد السبط في المرأة ٨ : ١٨٦ - ١٨٧ ما قاله الجد ثم ينقل أخباراً عن القرشي ، هي الأخبار التي نقلها ابن الديبثي « ولكنه لم يشر الى ابن الديبثي » كما انه ينقل من الخريدة .

وينص ابن خلكان (١ : ٣٦٢-٣٦٣) على الخريدة فيما يروي من أخبار ، ويعلق على مؤلفات الحظري ويحقق في وفاته ، وينقل الصفدي في الوافي (٨ مخ . باريس رقم ٢٠٦٤ و ١٢٤٤ أ - ١٢٦ ب سن ٥٧٨ (?)) عن ياقوت ويزيد أموراً تتعلق بمؤلفاته . وربما كانت « حنفية » الحظري من أسباب أهمال الحنبلي إياه . ومن المصادر ذات الاخبار المهمة ، تعليقة ابن جماعة و ١١٤ أ - ١١٤ ب

ثم ينظر : ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٧٧ - ٨ ؛ ابن الصابوني ص ٢٢ (مع حاشية للدكتور مصطفى جواد) ، ٢٤٣ ؛ حاج خليفة ١ : ٧٨٨ ، طاشكبري زاده في مفتاح السعادة ١ : ٢٢٤ ؛

بروكلان ١ : ٢٨٨ ، تكملة ١ : ٤٤١ ؛ هيار ص ٩٩ ؛ زيدان

٣ : ٢٣ كحالة (في معجم المؤلفين) ٤ : ٢١٢ (ومن مصادره المخطوطة :
الذهبي : سير النبلاء ١٢ : ٢٨٣)

مبارة :

الشيخ الامام أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم
الأنصاري الخزرجي الحظيري ثم البندادي المعروف بالكتبي أو بدلال الكتب
أو الوراق دلال الكتب . والحظيري ، هذه النسبة إلى الحظيرة وهي قرية
بديجيل مجاورة عكبرا فوق بغداد وينسب اليها كثير من العلماء . كان « سعد »
فيها ، ثم ترحل عنها :

ترحلت عن أرض الحظيرة هاربا من العشق حتى كادت النفس تزهرق
العشق ؟ أم الافلاس ؟ أم السعي وراء الشهرة وما يلحقها من علم ومال ؟
وحل بغداد ، « وكان وجيهاً عند أهلها »^(١)

اما نسبة الكتبي وما اليها فالى مهنته ، فقد كان « يبيع الكتب على
يده متعيشا » فهو « دلال بغداد فيها » « يعرف الكتب وما فيها والمصنفات
ومصنفاتها والمؤلفات ومؤلفيها » « مطلماً على أشعار الناس وأحوالهم »
وكان من الذكاء على غاية^(٢) « ولم يزل دكانه يجمع الفضلاء ، يبيع فيه
الكتب ويجتمع فيه عنده العلماء والفضلاء » . قال العماد « وكنت أحضر
عنده » ولا اذا حاورته لا تسمع غير النكت والنخب » . ولا بد من أن
يكون علي بن أفلح من هؤلاء الفضلاء ، فقد ذكر ابن الديلمي عن القرشي
أن الحظيري « صاحب أبا القاسم علي بن أفلح الشاعر مدة »
لم يكن الحظيري كتبياً حسب ، فقد « تفقه على مذهب أبي حنيفة »^(٣)

(١) الوافي

(٢) المنتظم

(٣) ابن الديلمي عن القرشي

و« كان فاضلاً » له معرفة بالشعر وفنونه « و« اشتغل بالأدب حتى برع فيه »
و« قال الشعر » « المستجاد » فكان « له كل معنى مليح » .

وتتصفح اليوم ما بقي من هذا الشعر فتعجب لهذا المتفقه كيف يطرق هذه
الموضوعات الغامضية - وغلماؤه كثر ، فهذا « معذر » وهذا « تحت شفته شامة
صغيرة » وهذا « أعرج » وهذا مجدور وهذا مغنٍ . . . وهو في كل ذلك
يتصرف في المعاني ويتفنن في التعليقات مما لا يمكنك أن تقبله على أنه لهو لسان
وظرف مزاج ، وقد صدق سبط ابن الجوزي حين قال : « إن ما رواه
الأصبهاني - للحظيري - من كلام فاحش يدل على أنه كان خليعاً » . وكان
المصري يستسيغ مثل هذه الخلاعة - كما يبدو .

وتمر بالإنسان أحوال تغير مجرى حياته ، كما فعلت مع الحظيري إذ « غلبت
عليه الفكرة وأحب الخلوة والانقطاع ، فخرج على التجريد سائحاً ورأى
عجائب وحصل على أشياء جيدة . وخرج إلى الشام وجال في أقطارها . وحج .
وعاد إلى بغداد واشتهر بين الناس . . . بالدين والتفقه والأمانة والفضل . . .^(١)
« وبني له بظاهر البلد صومعة وأقام بها مدة^(٢) » . « واعترضه مرض » فأت
ببغداد يوم الاثنين الخامس والعشرين (وقيل الخامس عشر) من صفر عام ٥٦٨
ودفن بمقبرة حرب أو « باب حرب^(٣) » بالجانب الغربي .

مؤلفاته :

« للحظيري التصانيف الحسنة » التي منها :

(١) زينة الدهر - وقد مر معنا خبرها ورأينا أهميتها^(٤) ، إلا أنها لم تصل إلينا .

(١) ابن الديلمي وسبط ابن الجوزي . (٢) الوافي .

(٣) حرب : وردت في المنتظم المطبوع . وقد مر خبرها عند الكلام

على وفاة ابن شبل .

(٤) أعلاه ص ٢٢ .

(٢) « ملح الملح في التجنيس » ، « ذكر فيه البلاغة وأقسامها وأورد فيه جملاً من كلام البلغاء وأشعارهم » « مما وقع لغيره من الجناس نظماً ونثراً » « وعمله على حروف المعجم » و « هو يدل على كثرة اطلاعه » . ومنه نسخة في الاسكوريال .

وقد هذبه الصفدي وسماه « حرم المدح في تهذيب ملح المنح » .
(٣) « كتاب الاعجاز في الأحاجي والألغاز » وأورد في آخره التصحيف . رأيت من « الاعجاز » نسخة - غير تامة - في مكتبة مشهد الرضا بخراسان . وفي القاهرة نسخة منه .

(٤) « صفوة الصفوة » وهو « نظم كله في الحكمة » .
(٥) ديوان شعر « صغير الحجم إلا أن أكثره مصنوع بمجدول تقرأ القصيدة منه على عدة وجوه » . لم يصل إلينا . ولكن العماد الذي يقول :
« لقد أعارني ما جمعه ... من أشعاره ورسائله » ، يذكر له مختارات كثيرة .

خاتمة

هذه المختارات بعيدة عن أن تكون « رفيعة » وهي لا تدل على فطرة شاعرة ولا تخرج عن الألعاب في الألفاظ والمعاني مع ميل بين للتجنيس والمطابقة والأحاجي والألغاز ، وترا كيب لا يغير من حقيقة نثريتها من مدحها « بجودة السبك » .

وقد يفسر هذا الاعتدال النفسي الذي لحظناه على أحكام القدماء بصدد شعره فلم يتعدوا كثيراً حدود « الجيد » - وفي « الجيد » شيء من الغلو أيضاً . وعجيب أن يكون الحظيري شاعراً ، ولكن هي العصور لها مقاييسها الخاصة ، ومن يدربنا ، لعل بين النقاد الأموات من قال انه كان « وحيداً في صياغة النظم ، فريداً في صناعة النثر » : ليقولوا - والزم من خير ناقد .

(٣) هيص بيص

مصادره :

تُحفظ مخطوطة المجموعة التي تسمى « ديوان هيص بيص » في مكتبة رامبور ، أطرافاً من صلاته بساسة عصره من خلفاء وسلاطين ووزراء وسواهم ما بين بغداد وخراسان والموصل . وإن عدداً من قصائد « الديوان » مؤرخ وفي ذلك ما يمين على تفهم حياته .

أقدم من كتب عن هيص بيص السمعاني في المذيل وقد وصل إلينا من كلامه نبذ عن طريق ابن الديثي في شاعريته وتفقهه ، وفي « الارشاد » و « الوفيات » ما ينص على تلعة السمعاني لحيص بيص وقراءة ديوانه عليه ... أن فقد هذا المصدر الأول أضاع علينا كثيراً من الفوائد .

وفي ابن الجوزي (١٠ : ٢٨٨ سن ٤٧٤) : الحديث ، وفاته ؛ وفي « النصر » (٢١٢ ب ، ٢١٣ أ ، ٢٢٠ أ ، ٢٢٣ ...) ساسة العصر . وقد احتفظ البنداري بجزء منها . والخريدة مصدر مهم جداً . وفي مخطوط ليدن ١٣٨ - ١٧٧ : الثناء عليه ، تفسير لقبه وجوانب من حياته ، عام ٥٢٠ ، صلاته ، مع مختارات كثيرة من الشعر والنثر - والهاد بمن قرأ ديوان الشاعر عليه . اما مخطوطة باريس فغير كاملة (١٠ أ - ٢١ أ) . ودخل هيص بيص في المطبوع من القسم العراقي ص ٢٠٢ - ٣٦٦ .

والارشاد ٤ : ٢٣٣-٢٣٦ مهم ؛ وفي « البلدان » تنظر : إيقار ، ايناران ، بعقوبة ، بعقيقية ، الزاب . ويفيدنا ابن الأثير ١١ : ٩١ سن ٥٤٤ عن سفرته إلى الموصل ، وص ١٠٦ سن ٥٤٧ عن حبس المسترشد إياه ، وص ٣٠٠ سن ٤٧٤ عن موته . ويذكر ابن دحية في البراس ص ١٤٦ - ١٥٠ غضب المسترشد على الشاعر (وهوى المؤلف في ذلك مع الخليفة) ، ويذكر ابن

الديبثي نخ . باريس « رقم ٥٩٢١ و ٦٠ أ ، ٦١ أ زيادة على الأخبار »
 أياتاً يرويها عن سمع الشاعر نفسه - وكان ابن الديبثي من معاصري حيص
 ييص ولسكنه لم يستطع مصاحبته . وابن النجار مهم حتى في « المستفاد »
 لأنه يحدثنا عن جد الشاعر وشبابه ودراسته ومكانته ولقبه ملك الشعراء .
 ويظل ابن خلكان - كمادته - سياسياً سواء في الترجمة التي عقدها عليه
 ١ : ٣٦٠ - ٣٦٢ فأبان جهل الشاعر بملاذه وطرفاً من غرابة أطواره ، وسبب
 لقبه حيص - ييص . وهو ينقل عن السمعاني ويشبه الارشاد وابن الديبثي ، و
 في الصفحات الاخرى ١ : ٢١٦ (بمقوبة) ، ٢ : ٤٩٤ (في الموصل »
 ص ٥١٩ - ٥٢٠ (السلطان محمود) ، ٣ : ٣٦ - ٣٧ هجاء الجواليقي نقلاً عن
 مختصر الخريدة ، ص ١١٦ - ١٢١ (مع ابن الفضل) ، ص ١٦٠ بيتان لم
 يرهما ابن خلكان في ديوان الشاعر « ص ٢٣٢ - ٢٣٤ (مع ابن هبيرة) ،
 ص ٤٣٤ يوسف ابن شداد ينشد ما سمعه من الشاعر نفسه .
 وينقل ابن جماعة في التعليقة ١١٤ ب - ١١٦ ب عن ابن النجار ثم يقدم
 معلومات ذات بال عن مولده ولقبه حيص ييص وملك الشعراء وأخيه وأخته ..
 مما لا نكاد نجده في مصدر آخر .

ثم : المرأة ٨ : ٢٢٤ - ابن الصابوني ص ٣٧١ (مع حاشية مهمة
 للدكتور مصطفى جواد) ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٨٥ - ٢٨٤ - ٢٨٥
 (ويذكر المستضيء والصحيح : المسترشد) - ابن الطقطقي ص ٣٥٥ ، ٣٣٥
 (الزيني ، انوشروان) - ابن الأثير في المثل السائر - ابن كثير
 ١١ : ٣٠١ - ٢ - العبر ٢ : ٢٢٨ - ابن الوردي ٢ : ٨٨ - حاج خليفة : ٧٨٦
 - السيوطي في البغية ص ١٨ - الحنبلي ٤ : ٢٤٧ - (وينقل عن ابن شهبة
 المتوفي ٨٥١) ، لسان الميزان ٣ : ١٩ - ٢٠ ابن تغري بردي ٦ : ٨٣ - ٨٤
 ومن مصادر حواشيه : عقد الجمان ، اليافعي ٣ : ٣٩٩ السبكي ٤ : ٢٢١
 الخوانساري ٣٠٨ - ٣٠٩

أبروكلان ، تكملة ١ : ٤٤١ - دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ٢٣٥ - ٦ -
 اهلوار في « مخطوطات برلين » رقم ٨٦٢٨ ص ٣٩ - الزركلي ٢ : ٢٠ - العاملي
 ٣٤ : ١٩٩ - ٢١٢ - كحالة : ٤ (ومن مصادره المخطوطة : الذهبي : سير
 النبلاء ١٣ : ١٥ ، الصفدي ، الوافي ١٣ : ١٤٢ - ١٤٦) ، ويدرس
 الدكتور مصطفى جواد « حيص بيص » في السنة السابعة والثامنة من مجلة
 الفري (حزيران ١٩٤٥ -) .

مباتر :

الأمير شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي ،
 المعروف بحيص بيص^(١) . نقل ابن جماعة عن ابن الفجار أن جد حيص بيص
 لأبيه سعداً فارق بني تميم قومه ، ونزل كرخ بغداد وولد به ابنه محمد وابن
 ابنه سعد ، وكان محمد طوايقياً^(٢) . وروى ابن الجوزي والعماد نسبة الصيفي
 من غير شك أو ما يدعو إلى الشك ، وكان الشاعر كثير الفخر بتميميته ،
 ولكننا نجد بين معاصريه من الشعراء من كذبه ونزبه وقال ان ليس فيه شعرة
 من تميم ، ونجد من المؤرخين من يقول : « كان يزعم أنه من ولد أكرم
 ابن صيفي التميمي حكيم العرب »^(٣) « وذكر الحيص بيص في شعره أنه
 من بني تميم فبلغ ذلك هبة الله بن الفضل الشاعر فضى الى أبيه . . . فحكي له
 قول ولده فقال : والله ما عرفت أني من بني تميم حتى أخبرني بذلك
 ولدي . . . »^(٤) .

(١) يلقبه ابن دحية الاستاذ ، والسبكي الشيخ . . .

(٢) التعليقة مخ . باريس . (٣) ابن خلكان ، التعليقة .

(٤) التعليقة . وجاءت الرواية في لسان الميزان - وهو كثير التصحيف -

على شكل آخر هو « ذكر ابن السمعاني عن إبراهيم بن سعد التاجر قال سمعت =

و « كان [حيص بيص] يقول - إذا سئل عن عمره ٠٠٠ انا أعيش في الدنيا مجازفة . لأنه كان لا يحفظ مولده » ^(١) وعلى الرغم من هذا ، وعلى الرغم من سكوت المؤلفين عن هذه الناحية ، نرى ابن جماعة يذكر عام ٤٩٢ بهجعة المتأكد ^(٢) . وليس هذا العام بالمستبعد ، وقد نص العهد على أنه كان سنة ٥٢٠ « في ريعان عمره » .

تلم سعد مبكراً ، فقد طلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة « وسافر الى الري وقرأ المذهب والخلاف هناك » . وألم بكل شيء حتى قال : « قد علم عصري وبنوه ، وزماني وأهلوه ، أني ابتدرت شعقات الفضل غلاما يفعه ، هاجراً اليه كل خفض ودعة ... فأنعمت في كتب العلوم جرياً ، وعمت في جمعتها ملياً ... ثم جاشت بالشعر مراجلي ، واستمرت اليه أغناق رواحلي ... »

لقد « كان عالماً له معرفة حسنة باللغة وأشعار العرب » بل كان « لغوياً » متضلماً باللغة « و « من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم » . كما انه سمع « شيئاً من الحديث » ببغداد من الشريف أبي طالب محمد الزيني ، وبواسط من أبي المجد محمد بن محمد بن جهور . وقد « حدث بشيء من مسموعاته » ، ومن أخذ عنه الحافظ أبو سعد السمعاني ، وقال ابن الديلمي ^(٣) :

= أن والد الحيص بيص كان يقول ما عرفت أني من بني تميم حتى أخبرتني أمي بذلك في سنه « ولعل الصحيح « حتى أخبرني أبي . . في شعره . »

(١) ابن خلكان . وقد ترد في المصادر الاخرى كالتعليقة جزافاً ، وجاءت هذه في لسان الميزان مصحفة على « حراما » .

(٢) التعليقة ، وتؤكد هذا رواية عمره في لسان الميزان .

(٣) ينظر عن معارفه ابن الديلمي ، ابن الجوزي ، ياقوت ... السبكي والخنبلي . ويذكر السبكي انه كان « ينصر مذهب الجمهور » ، والواضح =

« أدركته ولم يقدر لي به اجتماع ، فكتبت عن جماعة سمعوا منه » . كما تفقه على مذهب الامام الشافعي ودرس على القاضي محمد بن عبدالكريم الوزان بالري ، وتكلم في الخلاف وصار بصيراً بالمناظرة محجاجاً .

و « أخذ الناس عنه أدباً وفضلاً كثيراً » وقال بعضهم انه كان صدرأ في كل علم^(١) . ولكن الادب والشعر هما اللذان غلبا عليه .

وقد أكثر في شعره من المدح ، وكوّن له ذلك صلات بالخلفاء (المسترشد ، المقتني ، المستضيء) ووزرائهم (علي بن طراد الزيني ، أنوشروان ، ابن صدقة ، ابن هبيرة) والامراء (دبيس بن صدقة وحماد بن أبي الجبر) والسلاطين (محمود ، مسعود ، سنجر) ووزرائهم وأمرائهم (محمود بن أبي توبة ، علي بن الحسن البيهقي ، غازي بن زكي ...) .

= من سياق الأخبار أنه شافعي وأنه ألم بهذا المذهب أو ذاك . ومع هذا ، ان من الكتب مثل « لسان الميزان » ما يروى انه : « ذكر عبد الباقي بن رزين ... وكان من رؤوس الامامية أن المذكور [أي حيص يبص] كان مقدماً في عدة علوم ، وكان لزم الحلة ومدح آل مرئد [أي بني مزيد] ثم دخل بغداد ومدح الخليفة وكان إمامي المذهب » .

وذهب الخواصاري أكثر من هذا إذ قال : « إن حيص يبص الشاعر من شعراء الشيعة الامامية الحققة ، ومذكور في بعض التراجم المعتبرة وغيرها أيضاً بهذه الصفة . ولعل في مدفنه الشريف وأبياته السابقة [ملكنا فكان العفو منا سجية ... وستأتي] إيماء الى ذلك فليتأمل وليلاحظ . »

وبهذه الروح ترجم له السيد محسن العاملي في « أعيان الشيعة » . والأدلة في كل ذلك ليست من القوة بحيث تقنع ، وكل ما في الأمر انها وما سواها من الاخبار وفي صلته ببني مزيد تدل على انه لم يكن شافعيّاً عصبياً .

(١) السبكي في طبقات الشافعية .

وتقتضيه مثل هذه العلاقات - فيما تقتضيه - الأسفار إلى الحلة والبطائح وهذان (عام ٥٢١) وسرخس (٥٢٢) ومرو ونيسابور ... والوصل (٥٤٤) . ولم تكن صلاته كلها صلات مادح بمدوح . لأنه يختلف عن الأرجاني ومن إليه ، فلقد « تقدم عندهم » وكثيراً ما تشفع لديهم ثم إنه شاعر معتد بنفسه وبموافقه اعتداداً يخرج به عن طور أسوياء الناس ، ويدفعه إلى الدالة على المدح حين ، فهو يطلب من المسترشد بمقوبة كلها ، ومن أنوشروان أن يجلس عند الانشاد على كرسي من ذهب أو فضة ، ثم هو صاحب ضيعة أو ضياع يستعين عليها بالشعر ، وهو بعد ذلك - وقبلة - نديم يسبق على المجالس والمنتديات روح المرح الذي يذهب ضحيته ، والفكاهة التي يصبح مدارها ، ولا يعدم أن يجد بين زملائه كابن القطان من يتربص به الفرص . وخلقة الشاعر تتحمل ذلك وتستدعيه ، فقد كان غريب الأطوار ، « يلبس زي العرب - أو أمراء العرب - ويتقلد سيفاً - أو سيفين - ويحمل خلفه الرمح ويأخذ نفسه بما أخذ الأمراء » ويطول طرطوره :

« خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزينبي فنبش عليه جروكلب ، وكان متقلداً سيفاً فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابن الفضل [ابن القطان] فنظم أبياتاً وضمها بيتين لبعض العرب قتل أخوه ابناً له فقدم إليه ليقناده منه فألقى السيف من يده وأشهدها ... ثم ان ابن الفضل ^(١) ... عمل الأبيات في ورقة وعلقها في عنق كلبة لها أجرؤ ورتب معها من يطردها وأولادها إلى دار الوزير كالمستغيثة ، فأخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فإذا فيها : -

يا أهل بغداد ان الحيص ييمر أتى بفعله أكسبته الخزي في البلد
هو الجبان الذي أبدى تشاجعه على جري ضعيف البطش والجلد

(١) ينظر الوافي والسبكي والوفيات (في ترجمة هبة الله بن الفضل) .

وليس في يده مال يديه به ولم يكن ببواء عنه في القود
فأنشدت جمعة من بعدما احتسبت دم الأيلق عند الواحد الصمد :
« أقول للنفس تأساءا تعزية إحدى يدي أصابتي ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي »^(١)

« وحضر ليلة حيص بيص وابن الفضل ... على السماط عند الوزير في شهر
رمضان فأخذ ابن الفضل قطاة مشوية وقدمها الى حيص بيص فقال حيص بيص
للوزير : يا مولانا هذا الرجل يؤذيني » فقال الوزير : كيف ذلك ؟ قال
لأنه يشير الى قول الشاعر :

تيم بطرق اللؤم أهدي من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت^(٢)
وكان حيص بيص « يتبادى في لغته ويمقد القاف »^(٣) ولا « يخاطب أحداً
إلا بكلام عربي معرب » . وهذا هو الذي جر عليه اللقب حيص بيص أو
« الحيص بيص » ذلك « انه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد
فقال : ما للناس في حيص بيص ، فنقلت عنه وسارت ولقب بذلك . ومعنى
هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط »^(٤) .

(١) الوفيات (في ترجمة هبة الله) - والبيتان في حماسة أبي تمام .

(٢) الوفيات (« » ») ، وينظر لسان الميزان .

(٣) السبكي .

(٤) ينظر ابن الديثي ، ياقوت ، ابن أصيبعة ابن خلكان ، سبط
ابن الجوزي ، ابن جماعة « السبكي » . - وجاء في الوفيات أيضاً : « ويقول
العرب وقع الناس في حيص بيص أي في شدة واختلاط . » وفي لسان الميزان
« الحيص بيص وهو مهملات ومعناه الداهية » (١) . ونحدث الدكتور
مصطفى جواد في العدد ١٤ من السنة السابعة من مجلة الغري فقال : « والاقوال
مختلفة في سبب تلقيبه بحيص بيص . قال أحدهم انه قال لبعض أصدقائه في =

« وقال الحسن بن عمرو بن النحوي ... دخلت بغداد فقصدت الأخذ عن
حيص بيض ، فلم أصادفه في منزله ، فبينما أنا في درب إذ بفارس متقلدا سيفاً ،
وفرسه يلعب تحته ، وخلفه غلام راكب ومعه علم . وهناك رأيت صبيّاً يمشي ،
تخشي الحيص بيض أن تطأه الفرس ، فقال : يا غلام اتق بهذا النشنز « لئلا
يطأك الجواد بسنابكه . فلم يفهم الصبي كلامه ، فلولا أن بعض العامة أدرك
الصبي فحوله عن طريقه ، أصيب الصبي . فقلت من هذا البدوي ؟ قال : هذا
الحيص بيض «^(١)

والأمثلة على تقعر الحيص بيض والفلو في الاغراب غير قليلة . و « له
رسائل ومكانبات معدول بها عن الفن المعتاد والأسلوب المعروف ، وهي
كثيرة »^(٢) ، ونهجه فيها أن يتخير حوشي الألفاظ ووحشيها ، وأن يتصيد

= أصبهان « وقعت منك في حيص بيض فلقب به ... وقال ثالث : سبب هذا
اللقب أن عسكر بغداد كان قد هم بالخروج الى السلطان السلجوقي في أيام أمير
المؤمنين المقتني لأمر الله وكان الناس من ذلك في حديث كثير وحركة زائدة .
فقال : مالي أرى الناس في حيص بيض فلقب بذلك . ولا شك في ان لمنافسة
ومهاجية هبة الله بن الفضل الشاعر أثرا في انتشار هذا اللقب . وورد في شعره
حيث قال :

لئن أصبحت بينكم مضاعا أبيع الفضل مجانا رخيصة
وعاقتي الزمان من المعالي فصرت إلى حبائله قنينة
فاني سوف أوقمكم ببأسي وإن طال المدعى في حيص بيضا
(عن ابن جماعة في تذكرة الشعراء والمفشرين) .

(١) لسان الميزان ٣ : ١٩ - ٢٠

(٢) الخريدة ١ : ٣٦٣ « وتظر أمثلة أخرى في الخريدة ص ٣٦٣ -

٣٦٦ ، والارشاد والوفيات

الغريب ويلوي التعابير بحيث يصعب فهم ما يريد . ويعكس ذلك جانباً من غرابة أطواراة وشذوذ افكاره ، وعجبه بنفسه وخيالاته بعلمه . ومن هذه الرسائل ما كان بينه وبين المسترشد^(١) ، ومنها رسائل في العتاب واقتضاء الحاجات والشفاعات . ومن امثلة رسائله قوله :

« بلغني أن أنيسيانا يزود صغراً شأنه عن تسميته ، شقيم الرّواء والسّجناء ، مشؤوم المرافقة والصّحبة ، يفتاب حتى نديّ أمه ، أوسع شفعاي إليك لوما على صغره في ناديك ، وذلّه أن يصدقك عن عوارفك وأياديك . ولقد استوعر الخلف^(٢) ما استسهل ، وأوجف إلى حتف نفسه فمجل . فان كان مستنداً منك إلى جذم عناية ، فأذن بهجر ، فاني مجازيه ولو كان دونه خوط القتاد . وإن لم يكن كذلك ، فبمن أقدم ؟ وعلى من تقحم ؟ حذار أن تعتمد غير كتبه بارسال الثمن الأوفى والقيمة العليا . فالتقوا في ما سمعت ، والقائل والباذل من عامت ، والسلام »^(٣)

وقوله :

« وإيم الله ، لقد اخولقت في الاندية الحاشدة من طول جدال كاتبكم ، وهو موجف إلى الفتنة ، يأبى إلا المنع . وإني لقائلها شمعاء ولو جرت حتفاً . حذار ، حذار من اشتياط أفوه ، إذ اجنى الخامل^(٤) عاتب الشهير . ولئن جنّ الليل دون بعث المساجد المستقرة ، لتبعثن كتاب القول مشمعة لا تخص مقالا^(٥) ولا تستثني حمى ، ولغيرهم مثل السوء ، والسلام »^(٦) .

(١) ينظر النبراس ص ١٤٦ - ١٥٠ = الخريدة ١ : ٣٦٣

(٢) يقول ناشر الخريدة « لعلها الجلف »

(٣) الخريدة ١ : ٣٥٣ - ٤

(٤) في المخطوطة الخابل ، والخامل من تصحيحات الناشر

(٥) وفي نسخة طهران : مقاما . (٦) الخريدة ١ : ٣٥٤ - ٣٥٥

« ومن تقعر الحيص بيص في كتابته : ما حدث به بعض أصحابه أنه نفع من مرض فوصف له صاحبه هبة الله البغدادي الطبيب أكل الدراج فغشى غلامه واشترى دراجاً واجتاز على باب أمير وغلمانه يلعبون ، فخطف أحدهم الدراج فأتى الغلام الحيص بيص وأخبره الخبر فقال له : ائتي بدواة وقرطاس فأتاه بها فكتب الى ذلك الأمير : لو كان مبرز دراجة فتخاه كاسر وقف بها السغب بين التدويم والتمطر ، فهي تعفى وتسف وكان بحيث تنقب اخفاف الابل لوجب الاغذاذ الى نصرته ، فكيف وهو بيجبوحة كرمك والسلام . ثم قال لغلامه : امض بها وأحسن السفارة بإيصالها للأمير » فغشى بها ودفعها للحاجب فدعا الأمير بكتابته وناوله الرقعة فقرأها ثم فكر ليمبر له عن المعنى فقال له الأمير : ما هو : فقال مضمون الكلام أن غلاماً من غلمان الأمير أخذ دراجاً من غلامه . فقال : اشتر له قفصاً مملوءاً دراجاً واحمله اليه ففعل^(١) .

« وكتب إلى أمين الدولة ابن التاميد يطلب منه شياف أبار : أزكنك أيها الطب اللب ، الآسي النطاسي » النفيس النقريس ، أرجنت عندك أم خنور ، وسكمت عنك أم هوبر ، إني مستأخذ أشعر في خنادري رطباً ليس كلب شبوه ولا كنتخز المنصحة ولا كنتكز الحضب بل كسفع الزخيش ، فأنا من التباشير الى الغباشير لا أعرف ابن سمير من ابن جبر ، ولا أحس صفوان من هام ، بل آونة أرجحن شاصبا وفينة احنبطي مقلوليا ، وتارة أعرنزم ، وطوراً اسلتي ، كل ذلك مع أح أح^(٢) ، وهم قروتي أن أرفع عقيرتي بعاط عا ط

(١) في هامش الارشاد » فتخاه : الفتح عرض الكتف والقـدم ، كاسر من كسر الطير جناحه : ضمها يريد الوقوع ، التدويم والتمطر ، تدويم الطائر : تخليقه في الهواء أو طيرانه بدون أن يحرك جناحيه ، والتمطر : اسرغفه في هويه . تعفى : تحوم حول الشيء وترتفع . وتسف : تمر على وجه الارض ... (٢) في مطبوع دار المأمون أخ وأخ ويصلحها الدكتور مصطفى جواد بـ أح وأح

إلى هياط ومياط ، وهالي أول وأهون وجبار ودبار ومؤنس وعروبة وشيار
ولا أحيص ولا أليص ، ولا أغرندي ولا أسرندي ، فبادرني بشيف الأبار ،
النافع لعلتي ، النافع لفلتي .

فلما قرأ أمين الدولة رقمته نهض لوقته وأخذ حفنة شيف أبار ، وقال
لبعض أصحابه : أوصلها اليه عاجلا ولا تتكلف قراءة ورقة ثانية ^(١)

(١) في هامش ارشاد دار المأمون « شيف الأبار : دواء للعين . ازكنك :
اعلمك . الطب : الحاذق في عمله . اللب : الملازم لعمله المقيم عليه ، التقرير
الطبيب المدقق . أرجنت : أقامت . أم خنور : الدنيا . أم هوبر : الهوبر
الفهد أو جروه . حنادري : جمع خندوره وهي سواد العين . رطبا : دمعا كلب
شبهه : وشبهه علم على العقرب . المنصحة : الابرة . كنكز الحضب : أي لسم
الحية . سفع الزخيش : الاصطلاء بالجمرة . الفباشير : ما بين السحر والمساء ، وما
بين الغروب والمشاء من الضوء . ابنا سمير : الأجدان . وابنا جيمر : الليل والنهار ،
يقول لا أعرف الليل من النهار ، ويقال ابن سمير وابن جيمر بهذا المعنى . ويوم
صفوان : بارد ، وهام : يوم البرد الثالث . ارجحن : أهتز . شاصبا : شاقا .
أحضبتي : أمتلي غيظا . مقلوليا : قلقا متجافيا عن محلي . أعرنزم : أنجمع
وأنقبض . أسلتقي : انبسط على ظهري فأنام عليه . القرونة : النفس . عاط
عاط : زجر للذئب والخنيل ، وينذر بهما الرقيب اهله إذا رأى جيشا . هياط
ومياط : اضطراب ومجيء وذهاب وشر وجلبه . جبار ودبار : جبار يوم
الثلاثاء ودبار الاربعاء (من أيام الأسبوع وهي : أوهد : الأحد . أهون :
الاثنين ... مؤنس : الخميس . عروبة : الجمعة . وشيار : السبت) لا أحيص :
لا أعد ولا أحيده . ولا أليص : لا اجبن ولا اضعف . ولا أغرندي : لا أعلو
بالشتم والضرب والغلبة . ولا أسرندي بمعناها فهي اتباع .

واكثر رسائل حيص بيص من هذا النوع . واكثر حاجاته من هذا الضرب . وكما يطلب الدراج وشياف الأبار ، يطلب المسواك والحصان والقصيل .

وليس غريباً - بعد هذا - أن يكون حيص بيص طامحاً يحدث نفسه بالولاية ، ويأنف ان يقف عند الشعر !

وظل على ذلك حتى توفي ببغداد في شهر شعبان من سنة ٥٧٤^(١) عن اثنتي عشرة سنة^(٢) ، ودفن من الفداء - يوم الأربعاء ، بالجانب الغربي في مقابر قریش^(٣) .

ومع ان المؤرخين الثقات - مثل ابن الديلمي (الذي أدرك الشاعر) وابن خلكان - قد قالوا : « لم يترك عقبا » أو « لا عقب له » فانه لم يعدم من ينسب له من الخلف من يحفظ له صيغة حيص بيص فكان ان « سموا ابنه هرج مرج ، وابنته دخل خرج »^(٤) .

(١) ذكر ابن الجوزي أن ذلك ليلة الاربعاء السادس عشر منه ، وذكر ابن الديلمي وياقوت وابن خلكان انه ليلة الأربعاء في السادس منه ، ولا قيمة لما جاء في السبكي المطبوع من ان الوفاة كانت عام ٥٥٤ ، ولا لما جاء في لسان الميزان من أنها كانت في شعبان اربع وخمسين وسبعمائة ، فلا بد من ان يكون مرد ذلك التصحيف . ويذكر الذهبي - كما في رواية ابن تغري بردي - انه توفي في شوال .

(٢) جاء في لسان الميزان : « وأرخ ابن الحضري وغيره وفاته ... وله اثنتي عشرة سنة » .

(٣) هي بلدة السكاظية الحالية ، ينظر فهرس الأمكنة من تكملة إكمال الاكمال .

(٤) الحنبلي عن ابن شعبة في تاريخ الاسلام ، وفي التعليقة : « وكان ==

آثاره :

(١) لم يصل إلينا ديوان رسائله ، ولكن الخريدة حفظت مثلاً منها ، كما ان نصوصاً أخرى وردت في ارشاد الارب ووفيات الأعيان - وقد اقتبسنا منها نماذج تمثل أسلوبه وتعرب عن نفسيته وغرابة اطواره .

(٢) ديوان شعره ، وقد جمعه بنفسه وكان السمعاني بعض من قرأه عليه^(١) ، وظل مشهوراً معروفاً ، ولكنه لم يصل إلينا ، لأن النسخة الخطية التي تحتويها مكتبة رامبور باسم « ديوان حيص بيص » ليست في حقيقتها ديواناً وإنما هي أشبه بمختارات واسعة لا تخضع في تواليها الى نظام ، وتقع في ٢٥٥ ورقة على الرغم مما فقدت من أولها وآخرها . ويخمن تاريخ نسخها بالقرن التاسع أو العاشر ، وكأن الناسخ - أو المختصر - اعتمد نسخة للمؤلف (تنظر و ٤٤ ب ، ٨٢ ب) . وقد صور معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية هذا « الديوان » . وفي المجمع العلمي العراقي صورة لنسخة المعهد . ومما يذكر أن حيص بيص فضل - في خطبة ديوانه الشعر على النثر وقال : « وحسب الشعر نحرأ ، أن الانسان يسمع المعنى نثراً فلا يهزله عطقاً ، ولا يهيج له طرباً . فاذا حول نظماً فرّج الحزين وحرك الرزين ... »

هاتمة :

جعل العماد حيص بيص في « باب محاسن الشعراء » في العراق وابتدأ به . وقال « هو أفضلهم » - وما بالغ العماد ، لأنه أفضل بكثير ممن ذكره الى جواره .

= له أخ بلقب بهرج مرج = ولها أخت لقبها مجان بغداد بدخل خرج « - وينظر هامش ص ٣٧٢ من تكملة إكمال الاكمال .

(١) وجاء في « لسان الميزان » : « ومن شعره ما أنشد ابن النجار عن قيص بن مظفر عنه ... » .

من شعراء الخريدة ، بل اننا نرى النقاد معتدلين في ثنائهم عليه اعتدالاً لم نتعوده . قال ابن الديني : « ذكره ... ابن السمعاني في تاريخه وقال : كان حسن الشعر ، وله ديوان شعر أحسن القول فيه وأجاد^(١) » . وهذا حكم معقول مقبول ، وما كنا لنقول أكثر منه ، وليست « أحسن وأجاد » بالقليلة إنما الذي يضعفها ، اضافتها الى أحكام النقاد القدامى ومبالغاتهم في إطراء الشعراء الآخرين الذين ينزلون عن حيص بيص درجات كثيرة .

ولص العباد على أهم مميزات الشاعر حين قال : « ذو الجزالة ... والاصالة^(٢) » . وقد تقول انه غريب الأطوار ! وليكن ؛ لأن هذه الغرابة التي شغلت المترجمين - والتي لا يمكن أن تسلم من التزيد - لا تحول دون الاجادة ؛ وليس عجيباً أن تبدو أصالته على أوضحها في غرض الفخر الذي يجلو فيه مطامحه كما يتخيل أنه بالغها - في الأقل . وهو في هذه المطامح قريب للأبيوردي^(٣) . وكثيراً ما امتزجت الشكوى بالفخر .

(١) وجاء في « المرآة » : كان الحيص بيص شاعراً فاضلاً .

(٢) وقال : « أطاعه واعسر الكلام وسهله ... وكل شعره متناسب

مختار ، متناسق مشتار ممتاز . »

(٣) ... وليس بعيداً جداً من المتنبي .

الفصل السابع

شعراء آخرون

عج العصر بعدد عديد من الشعراء ، وقد ترجمنا - في فصولنا السابقة - لمن تجدر ترجمته ، وبقي - مع ذلك - كثيرون غيرهم ، لا تمكن الاطالة في الكلام عليهم لندرة ما بأيدينا من أخبارهم أو أشعارهم ، ولا يمكن الاستغناء عن التعريف بهم لأنهم بين مشهور في زمانه وبين مقل تدل نماذجهم التي وصلت إلينا على أصالة ما ، هذا إلى أنه سيجري ذكر هؤلاء وأولئك في فصولنا اللاحقة ، لهذا ، وتسهيلاً للمراجعة ، وحفظاً لهم من الضياع بين حواشي الكتاب ، رأينا أن نكرس لهم فصلاً خاصاً ينهج في ترتيبهم - قدر الامكان - على التواريخ الزمني لوفياتهم . ومن هؤلاء :

١ - أبو الجواز

الحسن بن علي بن محمد بن باري بن حمزة ، أبو الجواز السكاتب الواسطي . قال الخطيب البغدادي : « سمعت أبا الجواز يقول : ولدت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ^(١) » ، وقال انه « سكن بغداد دهرأ طويلاً » . وعده البهقي والعماد في شعراء الدولة القائمية . وذكر الباخري أنه رآه « بين يدي عميد الملك

(١) وهو التاريخ الذي تثبته المصادر الموثوق بها مثل الخطيب وابن خلكان ، ولا قيمة لما جاء في المنتظم والنجوم الزاهرة من أنه ولد سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، ولا بد من أن يكون مراد ذلك إلى التصحيح .

بمدينة السلام ينشده قصيدة جيمية في نهاية الحسن ... وهو يؤمئذ شيخ كبير
أكل الدهر عليه وشرب » .

لقد كان أبو الجوائز أديباً ، شاعراً ، ماهراً ، حسن القول ، حسن
الشعر في المديح والأوصاف والغزل وغير ذلك . روى البخارزي - والمهدة
عليه - ان « الجهاد لو غنى بشعره لطرب » ونص العماد على انه « كان شاعر
زمانه وفارس ميدانه ، وناظم درة جمانه ^(١) » .

وقال البخارزي انه « قد نجشم لتحرير جزء لي بخط يمينه ... مشتمل على
فوائد من مقوله ومنقوله ، ففجعتني به الزمان واقتطعتني عنه الحدتان ،
وصرف الرزايا بالذخائر مولع » وزاد ابن خلكان : « لأبي الجوائز تواليف
حسان وخط جيد ، وأشعار راتقة ، وقفت له على مقاطيع كثيرة . ولم أر
له ديواناً ، ولا أعلم هل دون شعره أم لا » .

ومن هذه المقاطيع ما نجاهه في الدمية ووشاحها والخريدة - وهي لا تدل
على شاعرية أو أصالة .

ولم يكن أبو الجوائز شاعراً حسب « فقد علق عنه الخطيب أخباراً
وحكايات وأناشيد وأمالى . ولكن الخطيب نفسه يستدرك فيقول « ولم يكن
ثقة فانه ذكر لي أنه سمع من ابن سكره ، وكان يصغر عن ذلك » ^(٢)

قال الخطيب : غاب عني خبره سنة ٤٦٠ ، وقال العماد في النصرة انه توفي
سنة ٤٦٠ ، وقال ابن خلكان : « قد صح أن وفاته كانت سنة ٤٦٠ » ^(٣) ،
اما ابن الجوزي فيجعلها سنة ٤٦٢ .

من مصادر دراسته : الخطيب البغدادي ٧ : ٣٩٣ - ٤ (وأكثر المصادر
الأخرى عيال عليه) ، الدمية ص ٨١ - ٨٢ ، من المطبوع ص ٥٨ - ٥٩

(١) ولعل الأصح أن تكون « در جمانه . »

(٢) توفي ابن سكره عام ٣٨٥

(٣) وكذلك جعلها صاحب الفوات

من مخطوط المتحف العراقي رقم ١١٦٦ ، ابن الجوزي ٨ : ٢٥٨ ، النصره
و٢٨ أ ، ١١ أ (وينظر البنداري ص ٣٤) ، الخريدة مج ١٢٥١ ب ، ابن
الأثير عام ٤٦٢ ، الوفيات ١ : ٢٤٨ (والقوات ١ : ١٦٥) ، النجوم
الزاهرة ٥ : ٨٥

٢ - البياضي :

الشريف ابو جعفر مسعود ... العباسي الهاشمي ^(١) ... « وانما قيل له
البياضي ، لأن أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من
العباسيين ، وكانوا قد لبسوا سواداً ما عداه فانه لبس بياضاً فقال الخليفة :
من ذلك البياضي . فثبت ذلك الاسم عليه واشتهر به .. » ^(٢)

كان البياضي (أو ابن البياضي) من الشعراء المجيدين المطبوعين ، وقد
توفي في السادس عشر من شهر ذي القعدة من سنة ٤٦٨ هـ . وخلف ديواناً قال
عنه ابن خلكان انه صغير ... وليس فيه من المدائح إلا اليسير .

(١) وقد اختلف في سلسلة نسبه . فبينما يقول ابن خلكان :
« مسعود بن عبدالعزيز بن المحسن بن الحسن بن عبدالرزاق ... هكذا وجدته
بخط بعض الحفاظ المتقنين » اذ يقول « ورأيت في أول ديوانه انه . . مسعود
بن المحسن بن عبد الوهاب بن عبدالعزيز بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب
بن هاشم القرشي الهاشمي » . وفي الكامل انه مسعود بن المحسن بن الحسن
بن عبدالرزاق « وعند أبي الفداء أنه : مسعود بن عبدالعزيز »

(٢) ابن خلكان . ويقول : البياضي نسبة الى ... « جماعة نسبوا الى
لبس الثياب البيض ببغداد واشتهر بذلك أبو علي محمد بن عيسى بن محمد بن
عبدالله بن عيسى بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي . » . وينظر
الأنسب في رواية نقلها السمعاني عن الخطيب عن أبي القاسم التنوخي .

من مصادره : دمية القصر ، - الأنساب و٩٧ ب (الباب ١ : ١٥٩) ،
ابن الجوزي ٨ : ٣٠٠ ، ابن الأثير ٩ : ٧٠ (= ٨ : ١٢٣ من ط .
الاستقامة) ، ابن خلكان ٢ : ٥٢٩ - ٥٣١ ، أبو الفداء ٣ : ١٩٢ ، النجوم
الزاهرة : ١٠٣ ، الحنبلي ٣ : ٣٣١ - ٢ ، وينظر أعلاه ص ١٤٨ .

٣ - العاصمي :

أبو الحسين عاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم بن مهران . ولد
سنة ٣٩٧ . وهو من أهل الكرخ كان يسكن باب الشعير . سمع أبا عمر
عبد الواحد بن مهدي وأبا الحسين أحمد بن محمد بن حماد بن المقيم الواعظ وأبا
الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران^(١) وغيرهم. وحدث في مكان ثقة متقناً ،
صدوقاً ، عفيفاً ، كيساً ، مكثراً من الحديث ونقل عنه الاشياخ كثيراً^(٢) .
وكان الى ذلك من ملاح^(٣) بغداد وظرفائهم مطبوع البادرة ، مليح
المحاوره ، وكان من أهل الفضل والأدب والفصاحة والشعر قال السمعاني
له شعر رقيق ، مليح في الغزل ووصف الخمر ، في غاية الحسن - وما عرف^(٤)
له صبوة ولا اشتغال قط بمأناة ذلك . قال العماد انه « قريب المأخذ بعيد
عن التكلف » وقال ابن الجوزي « له الاشعار الرائقة النادرة المستحسنة » .
واشتهرت مقطوعته :

(١) ابن بشران المحدث توفي عام ٤١٥ . وهو غير ابن بشران (ابني غالب
محمد بن أحمد بن سهل) النحوي الشاعر (٣٨٠ هـ - ٣٩٢ هـ . ينظر عنه الارشاد ،
المنتظم ...) . وسئل النحوي في نسبه الى ابن بشران فقال : « هو جدي لأبي
وهو ابن عم ابن بشران المحدث »

(٢) جاء في الانساب : « روى عنه أبو بكر الخطيب ومات قبله بعشرين سنة »
ولكن هذه العبارة جاءت في المنتظم المطبوع : « وحدث عن أبي بكر الخطيب » .
(٣) كذا وردت في المنتظم - مثلاً . وجاءت في الانساب على « مداح »
ولا وجه لذلك مع السياق ، وقد صححها أحد الفضلاء على الهامش
بـ « مزاح » . (٤) وترد : « ولم يكن له .. »

ماذا على متلون الأخلاق لو زارني فابسه أشواق
قال ابن الجوزي : « سمعت شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الأنطاكي يقول :
قال عاصم مرضت ، ففسلت شعري »
توفي عاصم في جمادي الآخرة من سنة ٤٨٣^(١) ودفن في مقبرة جامع المدينة .
إن القليل الذي بلغنا من شعر العاصمي يدل على نفس شاعر .
من مصادره : الانساب و ٣٧٨ أ - (واللباب ٢ : ١٠٥ ، ٢٤٥)
الخريدة ، مج ١ و ٤٢ أ - ٤٣ أ (من مخطوط باريس) ، ابن
الجوزي ٩ : ٥١ - ٥٢ ، المستفاد و ٣٩ ب ، ابن الأثير سن ٤٨٢ ، أبو الفدا
٣ : ١١٩ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٢٨ سن ٤٨٢ ، الياقعي ٣ : ١١٧ ، ١٣٤ ،
الحنبلي ٣ : ٣٦٨ .

٤ - ابن ناقيآ :

أبو القاسم عبدالله - وقيل عبد الباقي - بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيآ ،
الأديب الشاعر اللغوي المترسل . من أهل الحرم الطاهري ببغداد . ولد عام
٤١٠ هـ ودرس الأدب وسمع الحديث . ولكن ابن الجوزي يقول : « حدث
عنه أشياخنا ورموه بأنه كان يرى برأي الأوائل ويطن على الشريعة ، وقال
شيخنا عبد الوهاب الأنطاكي : ما كان يصلي ، وكان يقول في السماء نهر من
خمر ونهر من لبن ونهر من غسل ما سقط منه شيء قط ... »
ومن آثاره انه اختصر « الاغاني » في مجلد واحد ، وله ديوان شعر
وديوان رسائل ، ولم تصل إلينا هذه المؤلفات ، كما أن له كتاب مقامات مطبوع .
توفي ابن ناقيآ في محرم عام ٤٨٥ ودفن بباب الشام ببغداد .
ومن مصادره : ابن الجوزي ٩ : ٦٨ ، الخريدة مج ١ و ٥٦ ب (شاعر مجيد

(١) جعل ابن الجوزي وفاته عام ٤٨٢ ، وذكره ابن الأثير في حوادث
عام ٤٨٢ ثم عقب بأن الصحيح انه توفي سنة ثلاث وثمانين .

من شعراء الدولة القائمية . (ابن الأثير ١٠ : ١٢٨) = ٨ : ١٦٦ من ط .
الاستقامة) ، ابن خلكان ١ : ٤٧٥ - ٦ ، كشف الظنون ص ٢٥٢ من
ط . فلو جل .

٥ - ابن أبي الصقر :

أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن عمر ، المعروف بابن أبي الصقر
الواسطي ، من شهود واسط وأعيانها . ولد في ذي الحجة^(١) من سنة ٤٠٩^(٢) .
تفقه في بغداد على أبي إسحاق الشيرازي وعلق عنه تعليقات ، وسمع منه ومن
أبي بكر الخطيب وأبي سعد المتولي . وروى عنه أبو غالب الدهلي والحافظ
أبو الفضل محمد بن ناصر الدين وأبو منصور موهوب الجواليقي وغيرهم ، وجتود
الخط فبلغ فيه الغاية ، وكان كاملاً في البلاغة والفضل ، وغلب عليه الأدب
والشعر فبرع فيهما .

كان من شعراء الدولة القائمية والمقتدية والمستظهيرية ، وظهر تعصبه الشديد
لمذهب الامام الشافعي في قصائده المعروفة بالشافعية . وجمع ديوانه في مجلد .
عاش طويلاً . وقال - وقد طعن في السن وعجز عن المشي :

كلُّ امرئٍ إذا تفكرت فيه أو تأملته رأيت طريفاً
كنت أمشي على اثنتين قويا صرت أمشي على ثلاث ضعيفاً
وحضر عزاء طفل وهو يرتعش من الكبر ، فتفاضل عليه الحاضرون ، يشيرون
الى موت الطفل ، وطول حياته مع هذه السن ، ففطن لهم وقال :

إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاء وقد مات طفل صغير

(١) كذا في وشاح الدمية ، وجعله ياقوت في ذي القعدة ، وابن خلكان
في ليلة الاثنين ثالث عشر ذي القعدة .

(٢) يقول أبو الفدا : « كانت ولادته في نحو سنة سبع وأربعمائة » .

رأيت اعتراضاً على الله إذ توفي الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن دهر وما بين ذلك : هذا المصير
وله في كبره أبيات أخرى ، منها :

علة سميت ثمانين عاماً منعتني للأصدقاء القياما
فاذا عمّروا تمهد عذري عندهم بالذي ذكرت وقاما
ومنها :

ولما إلى عشر تسعين صرت ومالي إليها أبّ قبل صاراً
تبقّنت أني مستبدل بداري داراً وبالجار جاراً
فحببت إلى الله مما مضى ولن يدخل الله من تاب ناراً
توفي بواسط عام ٤٩٨^(١) ، يوم الخميس رابع عشر^(٢) جمادي الاولى^(٣) .

ولم يصل إلينا ديوانه ، وآخر أخبارنا عنه ما رواه ابن خلكان من أنه رآه
بدمشق في الخزانة الاشرفية . ولا تدل الأبيات التي قرأناه على « البراعة »
التي سكبها على شعره النقاد القدامى .

ومن مصادره : وشاح الدمية (ومن مصادرها ذيل ابن الهمداني) ابن
الجوزي ٩ : ١٢٥ . الخريدة ج ١ (باب ذكر محاسن أهل واسط) ص ١٣٥ ؛
الارشاد ٧ : ٢٣ - ٢٥ (= ١٨ : ٢٥٧ - ٢٦٠ من ط . المأمون) ؛
السبكي في طبقات الشافعية ٣ : ٨ ، ابن خلكان ٢ : ٣٨٤ ؛ ابن الأثير
سن ٤٩٨ (= ٨ : ٢٢٩ من ط . الاستقامة) ؛ أبو الفداء ٣ : ٢٢٠ ؛ المראה
٨ : ١٤ - ١٥ ؛ النجوم الزاهرة ٥ : ١٩٤ .

(١) وجاء في معجم الأدباء ط . دار المأمون انه توفي سنة ٤٦٨ وهو
خطأ مرده التصحيف وقلة التحقيق .

(٢) وفي كامل ط . الاستقامة : في رابع جمادي الاولى .

(٣) وشاح الدمية والارشاد . وجاء في الوشاح انه « عاش تسعين سنة
إلا شهوراً » .

٦ - سُبُل الرواة :

الأمير أبو الهيجاء مقاتل بن عطية ... البكري الحجازي من أولاد أمراء العرب ومن نسل أبي بكر الصديق . وقعت بينه وبين أخوته خشونة ففارقهم ووصل الى بغداد ثم خراسان وغزنة ، واختص بنظام الملك وصاهره ثم عاد الى بغداد وأقام بها مدة وقصد كرمان ونال عطاء مكرم بن العلاء وعبر جيحون « ودخل تركستان ومدح خانها » وعاد الى خراسان ونزل الى مدينة هراة واعتلق بها حبل امرأة ثم عاد الى مرو وسكن بها .

مرض آخر عمره وتسودن وحمل الى مارستان مرو وتوفي به في عام ٥٠٥ على روايه ابن خلصان . وخلف « كل مقطوع لطيف » .

ومن مصادره : الخريدة ج ١ و ٨٠ ب - ٨٢ (وجاء أنه توفي في حدود عام ٥٥٠ ، وفي ذلك تحريف) ؛ ابن خلصان ٢ : ٥٦٩ - ٥٧٠ الصفدي في الوافي ١٢ : ٢٧٠ ب - ٢٧٢ ب ؛ اليافعي ٣ : ١٩٢ - ١٩٣ ؛ محمد بن إبراهيم ص ١٩ - ٢٠ ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٠٤ سن ٥٠٥ ؛ ابن كثير (وينقل عن ابن خلصان) ؛ هارثمان ٤ : ٨٢٣ (ويذكر أنه توفي عام ٤٨٥ هـ)

٧ - السبسي :

القائد أبو عبدالله محمد بن خليفة النخعي العراقي الانباري ، أصله من هيت ، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد فكان من أنعم شعرائه . « ولما قتل سيف الدولة مدح دبيسا فلم يحسن اليه فوافى بغداد في الأيام المسترشدية ومدح الوزير ابن جلال الدين علي بن صدقة فأحسن اليه وأجزل له العطاء » . أكثر السبسي من الاسفار حتى انه عبر جيحون ورأى يوز كند . ومات ببغداد سنة ٥١٥ .

« كان خبيراً بأخبار العرب وأشعارها ، جيد الشعر مشهوراً بين أهل

الفضل والقريض » - واتهم - مع ذلك - بمرقة الشاعر المعروف بالبريفيث الشامي .

من مصادره : الخريدة مج ١ (باب الحلة) و ١١٤ أ - ١١٨ أ من مخ .
پاریس ، ٦٢ أ من مخ . لیدن في حديثه عن مقدار المطاميري ، معجم البلدان
٤ : ٨٦١ (النيل) ٢ : ٥٦٢ (مطامير) ، ص ٢٤ (ساوة) ٤ : ١٠٤٣
(يوزكند) ؛ ابن شاكر السكتي في الفوات ٢ : ٢٥٠ - ٢٥١ ، وفي عيون
الانباء ج ١٢ سن ٥١٥ و ٤٤ ب : هارتمان ج ٤ (ويذكر انه مات عام
١٥١٩) ، دائرة معارف البستاني ١ : ٥٢٩ . وينظر المخطوط الرقم ٢١٣١
من مخطوطات المكتبة الوطنية پاریس ، الورقة ٣٥ (علي ابن محمد السنبسي
شاعر مدح الامام المستظهر بالله ...)

جاء في الانساب ٣١٢ « سنبس قبيلة معروفة من طي » ، وفي الوافي :
« اسم أمه سنبسة » .

ومن مراجعه ما نشره الدكتور مصطفى جواد في السنة الثامنة من مجلة
الغري ، وقد استند عليه الشيخ محمد علي اليعقوبي في الجزء الاول من كتابه
« البابليات » المطبوع في النجف عام ١٩٥١ .

٨ - المطاميري :

مقدار بن بختيار ابن المطاميري ، شاعر دولتي المستظهر والمسترشد وأحد
شعراء صدقة الزيدي . تنظر عنه الخريدة مخ . پاریس مج ١ و ٢٩ أ - ٣٠ أ ،
مخ . لیدن ٢٠٢ - ٢١١ ، معجم البلدان (مطامير) - ومطامير قرية
بمحلووان العراق .

٩ - مرجا :

الصارم مرجا بن بتاه (؟) البطائحي ، خال مذهب الدولة ابن أبي الجبر .

كان « شاعرا هجاء ، على الثلب هجاء » ، هجا - فيمن هجا - ولده وامراته وخاله وابن اخته . ومن حوادث حياته زيارته لصدقة في الحلة ومنها هجاؤه الذين تصرفوا بالحلة بعد مقتل صدقة . ومنها أنه استعان بالمسترشد فأكرمه . هجا مرجا ابن حماد فأمر بقتله ، وكان في إحدى القرى فجاء بعض الاجلاف فطعمه فأرداه .

وفي القليل الذي بلغنا من شعره ما يدل على أصالته . وقد عده العباد (وهو مصدره الوحيد في خريدته ونصرته) من « فحول الشعراء وأعيان الفضلاء » . ولعل هذا الحكم يشير إلى نواح أخرى من حياته في غير السخف والهجاء .

١٠ - ابن الحازم :

أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبدالحالق . ولد حوالي عام ٤٧٠ ببغداد ، وأصل آبائه من الدينور قال العباد انه : « كان ظريفاً لبيا أديبا . . . كاتباً^(١) ، حاسباً ، وكان ثوب الزمان بعلمه معلماً وبفضله مطرزاً وبأدبه قشيباً ، وعين العصر بالنسبانه ناظرة ورياض الأمانل بأزهاره ناضرة » . وقال : « كتب لي ديوان شعره بخط ولده أبي الفتح نصرالله^(٢) ببغداد » من جمعه ، وذكر في خطبته : ولما درج الوالد يرجمه الله - . . . رأيت استهتار الصدور بلفظه المنظوم والمنثور ، شرعت في جمع الموجود من شعره « وتأليف نتائج فكره ، على قله لا كثره ، لأنه لم يكن من ذوي الاطماع والانتجاع . وجميع المدايح نظمها عند كونه يكتب عن أربابها وانقطاعه الى اصحابها » . استخرج العباد لخريدته من الديوان « ماهو منتخب بياناه وطراز

(١) كان أوحده وقته في الخط

(٢) تنظر عن أبي الفتح : الخريدة ، مخ . باريس ٤٨٠ ب . وينظر

ابن خلكان في ترجمة ابيه (أحمد)

زمانه ، على حروف المعجم » .

ذكر أبو الفتح أن والده توفي في صفر سنة ٥١٨ وله سبع وأربعون سنة » وقد نقل هذا التاريخ العماد ، وعن العماد ابن خلكان . ومع هذا ، جمل ابن الجوزي الوفاة عام ٥١٢ (وكذلك فعل سبطه) .

من مصادره : الخريدة مج ١ و ٥٩ ب - ٧٢ ؛ ابن الجوزي ٩ : ٢٤ سن ٥١٢ ؛ ابن الأثير ١٠ : ٣٨٣ ؛ ابن الديبثي ج ٢ نخ . باريس . رقم ٣١٢٢ ص ٩١ - ٩٢ ؛ ابن خلكان ١ : ٨١ - ٨٣ ؛ الحنبلي ٤ : ٥٧ ؛ المرأة ، مج ٨ ق ١ سن ٥١٢ .

١١ - ابنه حكيم :

أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن حكيمنا الشيخ الأديب الشاعر البغدادي من أهل الحریم الطاهري . كان من ظرفاء الشعراء الخلقاء « مكث مجيد ، وأكث أشعاره مقطعات . « أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطافة طبعه » وله نوادر من حقها أن تكتب بماء الذهب . « لم يجد الزمان بمثله في رقة لفظه وسلاسته ، وهو بمن سار شعره وحفظ نظمه واستجيد قوله . « وقد أكثر في المدح والهجاء والغزل والجدة والهزل » .

توفي ابن حكيمنا عام ٥١٨ . (وجاء في شذرات الذهب أنه توفي سنة ٥٢٩ أو ٥٢٨ . وكان يلقب بالبرغوث) . يرد اسمه على ابن جكيننا كما في مخطوطة ابن الديبثي والحسامي . وقد يكون مرجع ذلك الى التصحيف .

من مصادره : الخريدة مج ١ نخ . ليدن ص ٢١٤ - ٢١٩ ، نخ . باريس و ٣٠ ب ؛ ابن الديبثي مج ٢ نخ . باريس رقم ٢١٣٣ ص ٣٠١ ، ورقم ٥٩٢٢ الورقة الأولى ؛ المستفاد و ٣٠ ب ؛ فوات الوفيات ١ : ١٤٨ - ١٤٩ ؛ الحنبلي ٤ : ٨٨ - ٨٩ .

١٢ — النعماني :

أبو محمد طلحة بن محمد بن طلحة . والنعماني نسبة إلى بلدة على شط الدجلة يقال لها النعمانية بين بغداد وواسط . كان فاضلاً ، عارفاً باللغة والأدب والشعر . ورد بغداد وخراسان ، وورد البصرة أيام الحريري صاحب المقامات ، وقصد اليمن وله فيها قصائد منها واحدة مؤرخة بعام ٥٠٤ وثانية ٥٠٥ . وكان كثير الحفظ ، جيد الشعر ، سريع البديهة .

توفي النعماني سنة ٥٢٠

ومن مصادره : الخريدة مج ١ ، مخ . باريس مج ١ و ٢٠ ب - ٢٤ ب ، الارشاد (طلحة) تنظر ص ٢٦ من ج ١٢ من ط ٢ وتقابل بالطبعة الأولى . وينظر إنباه الرواة .

١٣ — ابنه الأصغر :

أبو علي الفرج ... ابن الاخوة المؤدب البغدادي الشيباني . مات سنة ٥٤٦ وأهم مصادره الخريدة مج ١ مخ . لندن . ولم يفسر العماد أن يقول فيه انه « أوجد عصره في نظمته ونثره . سلس اللفظ ، رائق المعنى ، سهل الأسلوب »

أخوه أبو الفضل جمال الدين عبد الرحيم بن أحمد ابنه الأصغر ... ولد بمدينة السلام ونشأ فيها ، ودرس الأدب والنحو والتفسير والحديث ، وسافر إلى خراسان والري وطبرستان ... وأقام بأصفهان أربعين سنة حتى كاد يعد من أهلها : قال العماد انه : « جامع للعلوم ، ومنفرد بإنشاء المتنوع والمنظوم ... يكاد شعره من اللطافة يذيب القلب القاسي ، معانيه أدق من السحر الحلال ، وألفاظه أرق من الماء الزلال ... »

مات أبو الفضل بشيراز عام ٥٤٨ هـ .

ومن مصادره : الخريدة مج ١ و ٣٧ ب ، وينظر من ديوان الراوندي ،

حواشيه ص ٢٦٢ - ؛ الفوات ١ : ٣٤١ ؛ ديوان الراوندي في المقدمة وص
١٨٩ ؛ مصطفى جواد في السنة السابعة من مجلة الغري (العدد الثالث والرابع
والخامس) (ومن مصادره : الذهبي في الميزان وأعاده المسقلاني في لسان
الميزان ، ومنها المجلسي في بحار الأنوار ٢٥ : ٢٧ - ٢٨ ، روضات الجنات)
والدكتور مصطفى جواد معجب بأبي الفضل بدليل قوله : « ونفسه نفس شاعر
مقتدر ... ولقد كان وانقاً بجلالة شعره وقوة قريحته .. لقصائده الغر وأناشيده
العذبة ... » .

١٤ - ابن أبي الفتوح :

الأمير نجم الدين أبو العباس أحمد بن أبي الفتوح المختار بن محمد بن عبيد
بن جبر بن سليمان الليثي - ابن اخي مذهب الدولة - وكان هو وأبوه من أمراء
البطبيعة .

قدم بغداد ومدح الامامين المستظهر والمسترشد ، ومدح المقتفي لأمر الله .
ولم يمدح أحداً يستجديه ، واقتصر على مدح أهله وذويه . وكانت له
مراسلات مع الحريري .

مات له ابن فبكي عليه إلى أن ذهبت عينه ثم تلتها العين الأخرى . فقال
يشكو الزمان :

كأنما آلى على نفسه أن لا يرى شملاً لائنين
لم يكفه ما نال من مهجتي حتى أصاب العين بالعين
توفي بالغراف سنة ٥٤٧ (وقيل ٥٤٨) . ولم يصل إلينا من « شعره الكثير »
إلا فقر روتها الخريدة ونكت الهميان (وينظر المستطرف ٢ : ٤٠١ في الباب
الثاني والثمانين)

١٥ - الأسطري :

أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف (وقيل أحمد) ، عرف بالبديع

الأسطرلابي^(١). كان حكيماً عارفاً بالطب والرياضة والهيئة والنجوم والرصد والزيج متقناً علم الآلات الفلكية والأسطرلاب فنسب إليه وحصل له مال جزيل من عمله (في خلافة المسترشد) ، ولم يخلفه في صناعته مثله .

وكان - إلى ذلك - أديباً فاضلاً قال الشعر الرائق الكثير . وقد جمع ديوانه بنفسه وكان كثير الخلاء يستعمل المجون في أشعاره حتى يفضي به إلى الفحش في اللفظ . وعمل مختارات في ديوانه ابن الحجاج رتبها على مائة وواحد وأربعين باباً وجعل كل باب في فن من فنون شعره ، وقفاه وسماه درة التاج من شعر ابن الحجاج^(٢) .

توفي البديع الأسطرلابي سنة ٥٣٤ بملة الفالج ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقي من بغداد^(٣)

ومن مصادره : الخريدة مج ١ مخ . باريس ص ١٠٩ - ١١٠ ، القفطي ص ٢٢٢ ، ٢٢٦ ، ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٨٠ - ٢٨٣ ؛ الارشاد ٧ : ٢٤١ - ٢٤٢ ، ابن خلكان ٣ : ١١٤ - ١١٦ ، الصفدي في الوافي ٩ : ١٨٤ - ١٨٥ من مخطوطة المتحف البريطاني ، رقم ٢٣٣٥٧ ، المستفاد و ٧٥ ب ، النجوم الزاهرة ٥ : ٢٧٥ سن ٥٢٩ (كذا) (وتجمل اسم أبيه الحسن وهو تصحيف) .

(١) هذه النسبة الى الأسطرلاب . والأسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس .

(٢) وهذا الوصف يقع على المخطوطة الوحيدة التي تضمها المكتبة الوطنية وقد حققها مؤلف هذا الكتاب معتمداً ما تيسر له من اجزاء ديوان ابن الحجاج . وتبلغ المخطوطة زهاء ٤٠٠ صفحة .

(٣) في هامش ص ٤٥ من تكملة إكمال الاكمال يذكر الدكتور مصطفى جواد ان الوردية هي مقبرة الشيخ عمر السهروردي الحالية . وينظر هامش ص ٧٥ .

١٦ - الراونري :

السيد ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي بن عبدالله الحسيني الراوندي من أهل قاشان ، وقاشان بلدة عند قم على ثلاثين فرسخاً من أصبهان ، وراوند قرية من قراها . قال فيه العماد انه « الشريف النسب ، المنيف الأدب ... العالم العامل ... ذو ... البديهة والارتجال ، الرائق اللفظ ، الرائع الوعظ ... له تصانيف كثيرة ... حصلنا اثبات النسبة بقاشان ... سنة ثلاث وثلاثين [وخمسة] . وكنت أرى هذا السيد أعني أبا الرضا وهو يعظ في المدرسة والناس يقصدونه ويردون اليه ويستفيدون منه ... » وقال السمعاني: « أدركت [بقاشان] ... أبا الرضا ... وكتبت عنه أحاديث وأقطعا من شعره . ولما وصلت الى باب داره قرعت الحلقة وقعدت على الدكة انتظر خروجه فنظرت الى الباب فرأيت مكتوباً فوقه بالجلس : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . »

وللسيد الراوندي « مشيخة عظيمة تزيد على عشرين رجلاً كبراً من الشيعة الامامية ... » وروى « عنه أيضاً جماعة أجلاء » وعد « استاذ أئمة عصره » . وكانت بينه وبين جمال الدين ابن الاخوة مراسلات ودية أدبية تعكس ما يكنه الواحد للآخر من احترام وتقدير .

وعلى كثرة من أطرى السيد الراوندي واثني على عمله وفضله ، لم نر من حدد تاريخ وفاته ، ولعل أهم ما نعرفه في هذا الباب ما ذكره العماد وقد تحدث في الخريدة عن السيد جمال الدين أحمد بن فضل الله فقال : « وسافرت في آخر سنة تسع وأربعين الى بغداد وهو ووالده بقاشان في بهرة القبول وعرض الجاه والطول ... فسمعت بعد سنين^(١) أن بدر السكال نقص ثم استقر ، وأن عيش والده من بعده مر ... فهدت قوة متن الشيخ ... وخرجت من بغداد سنة

(١) يشبه أن يكون : « بسنتين » .

اقتنين وستين [وخمسمائة] وأشأمت وما أنست لبيانه بهارقة ولا شمت ، وأنا بالشام الآن لا أدري أهو في الأحياء أم لحق بالسعداء ... » .

اما مدفنه فهو في قاسان قرب المسجد الجامع القديم .

وقد رأى العماد ديوان السيد الرواندي مع ولده كمال الدين ، ويظهر أن النسخة الكاملة فقدت ، ولم تبق إلا نسخة يمكن أن تكون مختصرة من الديوان المفصل . وعلى هذه النسخة التي تحتفظ بها « كتابخانه ملي » بطهران بنى السيد جلال الدين الأرموي المشتهر بالمحدث طبعه (مطبعة المجلس بطهران عام ١٣٧٤ هـ . ق = ١٣٣٤ هـ . ش) . ومن مقدمة السيد المحدث اقتبسنا أكثر أخبار الترجمة ، فلقد اعتمد - غير الخريدة^(١) - والانساب - المناقب لابن شهر آشوب وعمدة الطالب لابن عنبه والدرجات الرفيعة للسيد علي خان والذريعة لأغا بزرك ... الخ .

وتقع نسخة الديوان المختصرة بـ ١٩٨ صفحة أكثرها مديح وأكثر المديح في مجد الدين عبيد الله بن الفضل القاشي . وفي مطالع القصائد نسب يخيّل لقارئه أن الشاعر من أبناء البادية وما هو بذلك ولكنه التمكن من اللغة والتأثر بالنصوص عامة وبالشريف الرضي خاصة .

١٧ - سبطانه العراق :

أنوشروان (او نوشران) البغدادي الضرير . سافر الى بلاد الجزيرة وما والاها . ومدح الملوك والاكابر . وهجا أربيل ثم اعتذر من هجائه ومدح الرئيس مجد الدين داود بن محمد . وعاد الى بغداد سنة ٥٧٥ هـ ومدح المستفي . غلبت على شعر شيطان الطاق الخلاعة والمجون والفحش ، وسلك فيه طريق

(١) مجلد بلاد العجم مخ . ليدن ، فصل قاشان وسأوة ... » وقد وردت

« أبو الرضا » على « أبو الرضي » .

الهزل وركب سنن الفكاهة مورداً ألفاظ البغداديين والآخر كراد .

هامة

هؤلاء أهم أعلام « الفترة » . وإذا قابلنا بين الأبيات التي وصلت إلينا من أشعارهم وأقوال النقاد ، اتضحت المبالغة في أحكامهم إذ يعدحون بغير مقياس ويطرون من غير مكيال .

هذا ، وبقي بين هؤلاء وبين العهد المغولي أعلام آخرون أشهرهم الآخر . وابن التعاويذي وابن المعلم .

تعقيب ونصويب

١ — زاد الرفاق (تنظر ، أعلاه ، ص ١١٨)

بدار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة حسنة الخط والورق رقها ٥٨٢ وتقع في ٣١٥ ورقة ونسخت سنة ١٢٨٨ ، كتب على غلافها « زاد الرفاق في المحاضرات لصدر الدين الأبيوردي » .

نعرف منها انه كان للمؤلف صديق صافاه الود طويلاً ثم مال هذا الصديق عنه مشغولاً بخمره . وتكبر عليه معتداً بمعرفة العلوم المنقولة من رياضيات وفلك وما اليهما . ثم إن هذا الصديق احتساج إلى العلم بالأنواء عند العرب فرأى أن يستعين بالأبيوردي ، ولأجابه عن سؤاله كان الكتاب .

وقد بدأ المؤلف بعتاب مر على المقاطعة مع كلام في « فلسفة » الصداقة والصديق ثم دعوة الى التواضع العلمي مع سخريه لاذعة . ولم يكن بمستطاع من يحمل مثل روح الأبيوردي أن ينسب الذنب والفخر ببني أمية ، أو أن ينسب إظهار علمه في مختلف الفنون من لغة وأمثال وعروض^(١) وأدب وفلسفة ، بلهجة تعكس صوراً من نفسيته^(٢) .

والحقيقة أن الكتاب ثروة حضارية ودليل على سعة علم مؤلفه . ومن المفيد ان تنقل في أدناه اسطراً مختارة منه ... :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين .

(١) للمؤلف كتاب في العروض بدليل قوله : « ولقد أودعت كتابي

الموسوم ببغية الشادي من علل العروض . . (٢) هذه اللهجة يمكن أن

تكون دليلاً على صحة نسبة الكتاب الى الأبيوردي .

أحقا عباد الله أن لست لاقيا بثينة أو تلقى الثريا رقيبها
علام أيها الأخ وذاك الله المحذور ، ولقائك في مقاصدك السرور ، تضاهي
النجم ورقبيه في المقاطعة ، ولا تباهي الثريا والعيوق بالمطالعة ، فإلك على
الهجر مصرا ، وبمطية الغدر مستمرا^(١) ... فان نزحت دارك ، تراخت أخبارك ،
أو قرب مزارك لم يؤمن صدك وازورارك ، وكم زرتني مبكرا ، وبعمتي
معقبا ومهجرا ... فأدبر غريرك وأقبل هريرك ، وأذقتني مرارة البين ، وملت
إلى ارتشاف الأعذيين ، وألهتك قهقهة الابريق ، وأضربت صفحا عن
رعاية الصديق ...

وأنا أربأ بك عن خلق جبل عليه الأغبياء ، وترفع عن الالتباس به
الأنبياء ، وقد هذبتك الحسك اليونانية وادبتك السكك العدنانية ... ولولا
بطلان التتاسخ وتحرص من يدعيه وتعجب أولي الأبواب من تهافت افلاطون
فيه لادعت انك بطليموس تنجما .. وجالينوس الفاضل في طبه ،
وارسطوطاليس في لبه ، وأوميرس^(٢) في نظمه ... فقد أحطت علما بمواقع
النجوم وأربيت فهما على حكماء الفرس والروم ... ولولا ما أجنه من الشغف
بعلوم العرب واعتمده من نشر مناقبهم محافظة على النسب لجاذبتك أهذاب
هذه الفنون ، وبثلك ما استودعته من سرها المسكنون ، ولسكني بغيرها
موسوم ، وما منا إلا له مقام معلوم :

إذا هبطت حوران من رمل عاجل فقولوا لها ليس الطريق كذلك
وهذا العلم سامية رتبة ، غير متدانية شعبه ، ولا يقتمد الرئاسة فيه إلا من
وفر العناية عليه ، وتابع الدروب في الوصول إليه :
وإن جسيمات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأساود

(١) مستمرا : في المخطوطة ، مستقرا .

(٢) جاء في هامش المخطوطة : قوله وأوميرس : قيل انه أول من وضع
الشعر من أهل اليونان .

... وبيننا نسبة العلم والغربة ، وهي توفي على وشأنج القربى فى الرتبة ■ فلم تؤثر
البعدها بطولك ، وتغذوهم بالحكم فى فعلك وقولك ، وتحفو الأُدين من جيرتك ،
وترميهن بما ينافى المؤلف من سيرتك .. وإلام اناديك ولا تحيب ، وحتام
يحضرني خيالك ، وتغيب والمسافة دانية ، والقدرة على فراقك وانية ... :

هل تعلمن وراء الحب منزلة تدني إليك فان الحب أقصاني

وهذه الأسجاع ، تسترقص بها الاستماع ؛ ولا أروم السجع تمسقا ،
فأسوم الطبع تكلفا ؛ وهو فى محاورات الاخوان يستحسن ، وفى غيرها
إن كرهت القريحة عليه يستهجن ؛ فاني لا أمارس الألفاظ حتى يصح
أييها ، ويسمح فى مقادته عصيتها فترىغ هوايها إلى عجالا ، وتزدحم
شواردها على ارسالا ... فلم ليبت داعية الفراق ، وهلا أتيت ما يضاهاى دماثة
تلك الاخلاق ، فواصلت خلاشعره الشعرى ، ونثره النثرى ■ وهو فى النحو
فارس حليه ، وفى النسب فارغ هضبه ■ وفى اللغة أبو زيد ، وفى الغريب
أبو عبيد بن دريد ... وفى التصريف .. وفى العروض ... وفى الحديث .. وفى
علوم القرآن .. وفى التفسير .. وفى الفقه .. القراءة .. الحساب ... الحفظ ..
الانتقاد .. المغازي .. الطب .. الذكاء .. البلاغة .. تاريخ الأيام .. الفصاحة
عبارة الرؤيا .. الفلسفة .. الرواية .. السمر والقصص .. التمجيم .. الكلام ..
الغناء .. الدعابة ... الشطرنج ...

نعم وهو من أكرم أرومة ، وأشرف جرثومة ■ قد عرفت فيه ملوك
العرب ، وله من سروات العجم ذروة النسب ، اتاه المجد من هنا وهنا ، وكان
له بمجتمع السيول ، وكان آباؤه غياث^(١) الناس ، ومظان الجود والعباس ،
واياهم عنى بقوله أبو العباس :

ليت شعري أفاح رائحة المسك وما إن أخال بالخيف أنسي

(١) وردت فى المخطوطة على شكل [عمال]

حين غابت بنو أمية عنه والبهاليل من بني عبد شمس ...
و ... معاوية الاصغر .. هو جد آل معاوية بكوفن - وهي من ثغور خراسان
بين أيوردونس ، تدلع لسانها الى البر « وترمي بطرقها الى الجبل الوعر ،
ونقله اليها حبان بن حكيم الغامدي ومن بني عمه دنية زهير بن محمد صاحب
الزهرية بمدينة السلام وزهير آباد بكوفن وزوجه بنته [...] ^(١) وأمهـا
الفراء ^(٢) بنت أبي الفتيان حميد بن الأسود بن عبيد الله اليربوعي - وهو أول من
اختط كوفن ^(٣) من العرب . وجد أبيه من قبل أمه موسى بن كعب التميمي -
ولا عقب له من ابنته الفراء . وأول من نصب بها المنبر عبد الله بن الحسين بن
معاوية ، وكتب اسمه عليه « وغرم في ذلك ما لا له قدر . وكان ابنه محمد
ابن عبد الله من أمائل أهل ذلك الصقع « ولا حاجة بنا الى الاشادة بذكره ،
فاشتهاره يغني عن الاطالة ، وتكرير المقالة ، والثناء من البعيد أحسن ، ووصفه
أبوسهل أحمد بن الحسين الحمدوني الأيوردي وأبو أحمد السعيد الكوفي
لأمين الدولة محمود بن سبكتكين ، ثم أدخل عليه فلما بصر به أعجبت هيبته ،
فالتفت اليها وتكلم بشيء هذا معناه : ما كنا نظن أن نرى مثله - وأبو أحمد
هذا جدّ والذي لأمه ومن بني عمه دنية أبو العباس السعدي ، وهو الذي
ولي القضاء بمدينة السلام فولدت [...] ^(١) بنت حبان أبا مرفوعة منصورا
وعبد الله ابني معاوية الأصغر . ولأبي النصر الهذلي كتاب ذكر فيه أخبار
من نزل أيوردونس والقرى المنسوبة اليها من العرب فقال : ومنهم الغامدية أبو
مرفوعة منصور بن معاوية الأموي وهو الذي دخل على الرشيد بخراسان ... ^(٤)

(١) وردت على مبيحة ولعلها تصحيف صبيحة أو قبيحة .

(٢) وردت وكأنها الفراء ولعلها الفراء أو الفرعاء .

(٣) كذا وردت بضم الكاف .

(٤) وبعد أكثر من (٣٠٠) ورقة .

... وهلاً اقتديت بالصالحين الأخيار ، والتزمت ما تقتضيه الحكمة - فيها
اتسامك ، وانتهجت سنن سقراط في زهده - فهو إمامك .
والأليق بي أن أتوقى الاطناب والاطالة ، وأختم بإيضاح ما سألتني عنه
الرسالة . وهو تلخيص ما اشتبه عليك في كتب الأنواء من أقوال العلماء
والشعراء . وها أنا اجتهد في الابانة والتحقيق ، وها يهيبان بك الى القبول
والتصديق . فاعلم أن مذاهب العرب في النجوم غير مشاكلة لمذاهب أصحاب
القياس والرصد من الفرس والروم ...

٢ - ديوان الباهرى (تنظر أعلاه ص ١٦٦) .

كانت نسخة المتحف العراقي بقلم عبدالرزاق الملا محمد الحاج فليح (من أهل
حلة باب الشيخ) وقد كتبها سنة ١٣٤٨ عن نسخة قديمة ، كتبت سنة ٤٧٢
أي بعد وفاة الباخري بحوالي خمس سنوات . وذكر الكرملي في مقدمة
نسخة المتحف انه : لا وجود لهذا الديوان - ديوان الباخري - في خزائن
كتب العالم .

ولكن معهد المخطوطات بالجامعة العربية في القاهرة حصل على ميكروفلم
للمخطوطة من مكتبة الجمعية الآسيوية بـكـكـتا ، وتقع هذه المخطوطة في ٢٢٨
ورقة وهي ديوان للباخري ناقص من أوله ومن آخره . وتبتدي بقصيدة
بائية آخرها :

وعاش تحت ظلال الأمن في شرف عال يطرب فوق السبعة الشهب
وأول القصيدة في نسخة مكتبة المتحف العراقي ص ٣٦ :

الروض في حلة من خلعة السحب وابن الغمام محيياً بآبنة العنب
وتنتهي بقصيدة يرثي بها السلطان ألب أرسلان ومطلعها :

لي حب قلب ، رحي المنايا تدور في طحنه وجرشه

٣ - الأسمه (تنظر أعلاه ص ١٦٧) .

كما أن معهد المخطوطات في الجامعة العربية يضم نسخة من « الأحسن »

الذي عمله أبو الوفاء محمد بن محمد الاخسيكني امثالاً لأمر ضياء الملك في اختيار
البكر الثيب من شعر علي بن الحسن بن أبي الطيب - ورقم الميكروفلم في
المعهد ٦٩٩ .

٤ - وساح الرمية (ينظر أعلاه ص ١٧٠) .

وهي - كما ذكرنا - غير كاملة ، والموجود منها في معهد المخطوطات ميكروفلم
بـ ٢٥٣ ورقة يمكن أن نجد فيها « قسم محاسن أهل واسط والبصرة » كاملاً .
كما انه مصدر ذو بال للنساء الشواعر . ولكن أكثر أعلام الوشاح هم أعلام
الخريدة - فيما بعد - ويبدو أن العباد أفاد من الوشاح .

٥ - اذا تعددت طبعات كتاب ومخطوطاته ، فإن الباحث يتخذ احداها
(أصحها عادة) أساساً يذكركه من دون نص على تفصيلاته في الطبع وتاريخ
الطبع ...

وهذا معنى ما ورد في قائمة المصادر : « من غير نص » . فإذا اضطر الباحث
لأن يستشير غير هذه الطبعة أو هذه المخطوطة نص على التفصيلات .
وهكذا كل « ابن الأثير » في الهامش يعني الكامل ، طبعة ليدين ... فإذا
ذكر سواء « نص على الطبعة ومكانها الى جانب الاسم .

٦ - ص ٦٦ : ان الذي ذكر طبع الشام لديوان الطغراني هو محمد عبدالغني
حسن « ص ١٥٣ من كتابه معرض الأدب والتاريخ الاسلامي (القاهرة ، مكتبة
الآداب ، ١٩٤٧)

٧ - المقصود (ص ٧) بتاريخ أبي الفداء (أو أبي الفدا) كتاب المختصر
من أخبار البشر .

٨ - ص ١٦٧ الملتقطات تصحيح بـ « الملتقط »

٩ - ص ٥٦ : فلما عزله المقتدي عام ٤٥٤ ، صحيحها عام ٤٨٤ . وما
يذكر ان الخريدة المطبوعة ج ١ ص ٧٨ جعلت الخليفة ، المقتني ، وهو غير
صحيح .

١٠ - هامش رقم (١) من ص ٥٠ يصحح بـ سن ٤٦٤

١١ - ص ٥٥ : بنت ملكشاه = بنت ألب أرسلان . ويصحح هامش هذا الخبر بـ : ابن الأثير سن ٤٦٤ ، وينظر عن زواجه بنت ملكشاه « سيدات ... »

١٢ - ص ٣٤ درس الفقه تصلح بسمع الحديث

١٣ - يلاحظ الدكتور مصطفى جواد أن كلمة « الطاهر » الواردة ص ٦٩ ليست علماً لشخص بعينه ، إنما هي لقب لمن يتولى نقابة العلويين . ومن يقرأ هذا الكتاب يرى فضل الدكتور مصطفى جواد في السبق والتفنية والاجابة . ولا غرو فسيادته خير من يعرف تاريخ بغداد وتراجم اعلامها . حفظ الله استاذنا ونفعنا بعلمه .

١٤ - اصدر الدكتور ذبيح الله صفا الاستاذ في جامعة طهران الجزء الثاني من كتابه « تاريخ الأدب في إيران » - طهران ، مطبعة الجامعة ١٣٣٦ هـ . ش . وفيه مقدمة مسهبة عن أحوال إيران السياسية والاجتماعية والدينية والعقلية والأدبية في عهد السلاجقة .

وبعد دراسته المفصلة لتأريخ الأدب الفارسي في هذه الفترة أشار موجزاً (ص ١٠٣٧ - ١٠٤٠) إلى من كتب باللغة العربية من الفرس ، وعرف بالباخرزي والتبريزي والطغرائي وأنوشروان والأبيوردي . وقد ذكر الاستاذ المؤلف :

أ - أن لأنوشروان كتاباً في تاريخ السلاجقة مطبوعاً . (تنظر في أعلاه ، ص ٢١ ، ٢٤)

ب - أن تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الاصفهاني هو اختصار لتأريخ البنداري . (تنظر - أعلاه - ص ٢٥)

ج - أن الباخرزي قتل بيد تركي .

د - أن التبريزي شرح المعلقات السبع (تنظر ص ٦٨)

هـ - أن الأبيوردي توفي سنة ٥٥٧ (تنظر ص ١١٧)

١٥ - ومما أفادناه الاستاذ أحمد ناجي القيسي ان تكوين (تنظر ص ٣٩ ، ٤٠) تكتب بالكاف العربية ، انظر الكلمة في المعجم الفارسي برهان قاطع لمحمد حسين بن خلف التبريزي ١ : ٥٠٦ طبعة الدكتور محمد معين سنة ١٣٣٠ ش . جاء في التعليق على الكلمة أنها كلمة تركية معناها : الحسن التركيب ، الجميل الشكل ، وقد وردت في تركيب أسماء الأعلام مثل البتكوين . وتكتب بالكاف الفارسية : افازرگت ص ٦٧ ، الأتابگة ص ٧٦ ، گزیده ص ٩ ، ص ٦٢ ، گوهرائین ص ٥٨ .

وتصلح مجلس سوراى ملي ص ٨٧ ، ١٠٣ ، ١٢٠ - مجلس شوارى ملي . وسياسة نامه ص ١٥ - سياست نامه .

١٦ - ووقعت اخطاء في الحروف المتقاربة الشكل في الكلمة . وصحيح هذه الكلمات : رسايقها ص ٨١ ، الفاوون ص ١٣٣ ، الخبرات ص ١٤٥ ، اسلنقى ص ٢١٦ .

ومن الكلمات ما سقط منها حرف مثل الأيوردي ص ٩ ، اليمينية ص ٢٢ ...

ومنها ما وقع في حروفه تقديم وتأخير مثل الميناوي ص ١٥ ، ٩٢ ، ايلك ص ٣٥

١٧ - وقد وقعت أخطاء أخرى لا تخفى في جملتها على القاريء العربي . فقد وردت تاءات مربوطة من غير نقط مثل الجيدة ص ٥ ، اليقظة ص ١٩ ، موهبة ص ١٩٩ ... وهاءات (ضمير الغائب) بنقط ، مثل طبعه ص ٢٥ ، سابقه ص ١٨٤ ... ووردت ياءات من غير نقط مثل علي ص ٢٦ ، لقي ص ٨٣ ، توفي ص ٢٩ ... وألفات بنقط مثل مصطفى ... يُعنى ... وهمزات بنقط مثل تبتدىء ... امرىء .

١٨ - وأخطاء أخرى صحيحها : النظمين ص ٤ ، ملحّة الاعراب ص ٩ ، الثلاثون ص ١٦ ، عباسا ص ٢٧ ، لابن الديني ص ٣٢ ، مكاييد ص ٤٣ ،

هندوشاه ص ٥٣ ، ابن أبي الجبر ص ٥٤ ، يشاءون ص ٥٥ ، رهوس
ص ٥٧ ، معدم ص ٥٩ ، مصعب بن الزبير ص ٦١ ، استاذ ص ٦٩ ،
لدى العطل ص ٨٦ ، الآساس ص ٨٨ ، نال بها ص ١٠٩ ، الاسف هسalar ص ١١٥ ،
إياه ص ١٢٢ ، فانما ظهرنا على ص ١٢٢ ، بن ص ٦٦ (س ١) ، زاولوا
ص ٧ ، محمودا ص ٩٠ ، جوابه عن ص ١٠٠ ، ١٠٢ محمد محي الدين
عبد الحميد ص ١٠٨ ، أيتها المطي ص ١١٣ ، لا غرو ص ١٢٣ ، إكمال الاكمال
ص ١٢٣ ، المره ص ١٣١ ، متبخر ص ١٣٥ ، صفيرأ ص ١٥١ ،
الأخسيكتي ص ١٦٧ ، أن تستوعباه ص ١٩٤ ، أبي الشاعر ص ٢٠١ ،
بحي ١٢ ...

كان من الممكن تجنب كثير من هذه الاخطاء ، لو صلحت « التجربة »
اكثر من مرتين ، وقد وقع ما وقع ، فمعفوا .



الفهرست

الصفحة	
٢ - ٤	المقدمة
١٩ - ٥	المصادر والمراجع
٣٨ - ٢٠	دراسة المصادر
٧٠ - ٣٩	المدخل :
٣٩ - ٤٤	سير الأحداث السياسية والحربية
٤٤ - ٥١	النظم
٥١ - ٥٤	الامارات العربية (بنو مزيد ، بنو أبي الجبر) .
٥٤ - ٦٢	المجتمع
٦٢ - ٧٠	خطوط الحياة الثقافية

الباب الأول

الشعراء (مصادر دراساتهم - حياتهم - آثارهم) .	
٧٤ - ١٠٥	الفصل الأول : الطفراني
١٠٦ - ١٢٣	الفصل الثاني : الأبيوردي
١٢٤ - ١٤٥	الفصل الثالث : ابن الهبارية
١٤٧ - ١٧٧	الفصل الرابع : شعراء من المئة الخامسة
١ - ١٤٦	١ - صرّدر ١٤٦ - ١٥١
٢ - ١٧٢	٢ - الباخريزي ١٥٢ - ١٧٢
٣ - ١٧٧	٣ - ابن الشبل ١٧٣ - ١٧٧
١٧٨ - ٢٠٠	الفصل الخامس : شعراء من المئة الخامسة - السادسة .
١ - ١٨٤	١ - الغزي ١٧٨ - ١٨٤

٢ - البار ع . ١٨٥ - ١٨٧

٣ - ابن أفلح ١٨٨ - ١٩٣

٤ - الأرجاني ١٩٤ - ٢٠٠

٢٠١ - ٢٢٠ الفصل السادس : شعراء من المئة السادسة

١ ابن الفضل « ابن القطان » ٢٠١ - ٢٠٢

٢ الحظيري ٢٠٣ - ٢٠٦

٣ حيص بيص ٢٠٧ - ٢٢٠

back

٢٢١ - ٢٣٧ الفصل السابع : شعراء آخرون

(١) أبو الجواز (٢) البياضي (٣) العاصمي (٤) ابن ناquia

(٥) ابن أبي الصقر (٦) شبل الدولة (٧) السنبسي

(٨) المطاميري (٩) مرّجا (١٠) ابن الخازن (١١) ابن حكينا

(١٢) النعماني (١٣) ابن الأخوة (١٤) ابن أبي الفتوح

(١٥) الاسطرلابي (١٦) الراوندي (١٧) شيطان العراق .

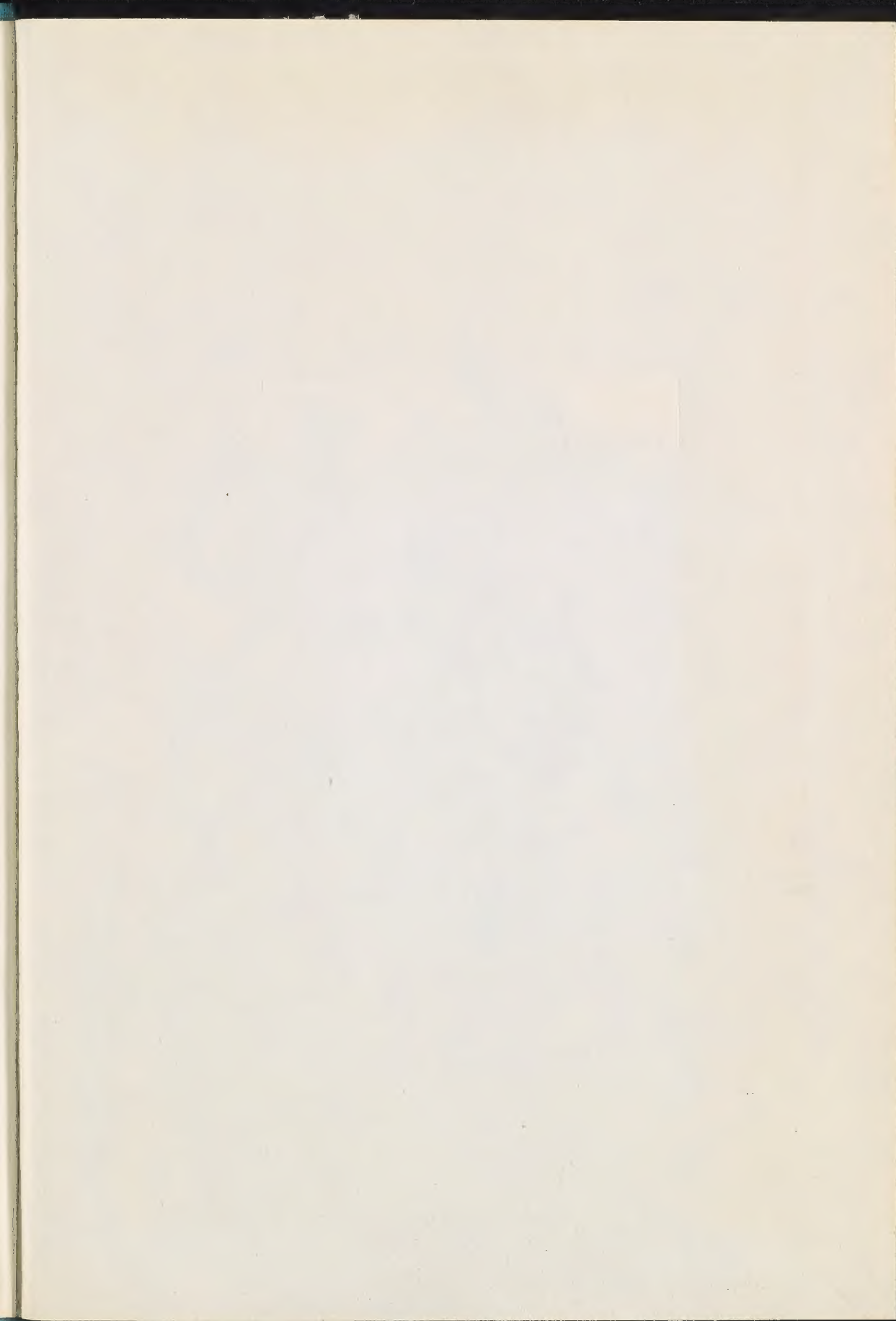
٢٣٨ - ٢٤٦ تعقيب . . وتصويب

5676

*PB-35271-SE
5-08T
CC

B







**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

Bookkeeper®

Deacidification for Libraries and Archives

September 2009

